GRADY HENDRIX

غريدي هيندريكس

مكتبة

# THE FINAL GIRL SUPPORT GROUP

NOVEL

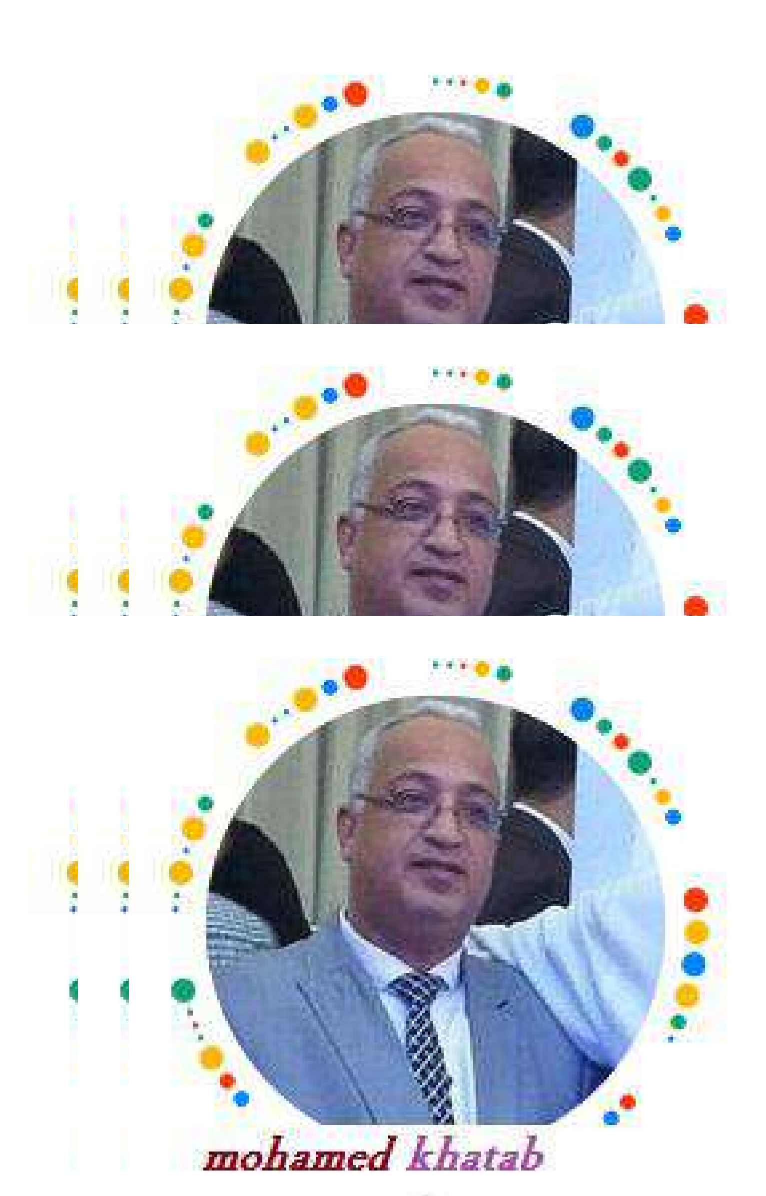
goodreads CHOICE AWARDS 2021

# مجموعة دعم الناجيات من القتلة المتسلسلين

رواية

ترجمة
يحيى صفوت




mohamed khatab

هيندريكس ، غريدي
مجموعة دعم الناجيات من القتلة المتسلسلين: رواية /غريدي هيندريكس
ترجمة : يحيى صفوت.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2024.
410 صفحة، 20 سم.
ردمك : 978-977-820-152-9
١-القصص الأمريكية
أ- صفوت، يحيى (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 2022 / 28877
الطبعة الأولى : يناير 2024.




---

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي





٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

# مجموعة دعم الناجيات من القتلة المتسلسلين

غريدي هيندريكس

ترجمة: يحيى صفوت

رواية







أماندا، الحب الحقيقي هو أن تضعي الطرف الآخر قبلك في كل شيء.

ولهذا، فقد رأيت أن تتقدمين قبلي... وتمشين فوق هذا الثلج الرفيع.

**في مدونة r /lastladies، منذ سبعة عشرة شهرا:**

حظى ملف «الكلمة الأخيرة عن الفتاة الأخيرة» على أكثر من اثنين مليون مشاهدة على اليوتيوب. هذا هراء! لو كانت أياً منهم فاتنة لكنت تفهمت الأمر لكنهن مجموعة من العجائز ذوات أعناق مترهلة، وقد سئمت السماع عنهم.

*Share Save Hide Report*

**في مدونة r /lastladies، منذ سبعة عشرة شهرا:**

لن يظل الزمن رحيماً بهن طويلاً، فقد حصلن على الخمسة عشرة دقيقة من الشهرة التي يستحققنها منذ خمسة عشرة عاماً. كفى.

*Share Save Hide Report*

**في مدونة r /lastladies، منذ سبعة عشرة شهرا:**

أتمنى أن يتلاشين من الوجود.

*Share Save Hide Report*

**في مدونة r /lastladies، منذ سبعة عشرة شهرا:**

الصبر. تذكروا أن ڤاير هانسن، ريكي والكر ووالتر سكروچ في السجن فقط وليسوا أموات. وهناك من يقول أن ملك الأحلام هو الآخر حراً طليقاً.

يوماً ما سينسى الناس هذه الأسماء، وحينها سيندمون.

*Share Save Hide Report*

**«الفتاة الأخيرة: هي الناجية الوحيدة في نهاية فيلم الرعب»**

**أستيقظ** وأنهض من فراشي، ألقي تحية الصباح على نبتتي ثم أفض الغلاف عن قضيب البروتين، وأشرب بعده لترًا من المياه المعدنية، أستغرق خمس دقائق كاملة لأستيقظ تمامًا ثم أتذكر أنني قد أموت اليوم؛ عندما تكبرين، تصبحين ليِّنة، ضعيفة.

في غرفة المعيشة أفرد جسدي، وأقوم بأربعين عدة على ركبتيَّ، ثم أربعين أخرى على كعبيَّ، يليهما تمرين الصعود الجبلي حتى تبدأ قطرات العرق تتساقط على الأرضية الخرسانية. أقوم بتمرين تسديد ضربات الكوع حتى تبدأ كتفيَّ تؤلمني، ثم أصعد على المشَّاية الآلية، وأرفع سرعتها إلى سبعٍ، ثم أركض حتى يشتعل فخذي وينخنق صدري، ثم أركض لمدة خمس دقائق أخرى؛ يجب أن أعاقب نفسي لأنني نسيت ما هي المخاطر بالضبط، خاصة اليوم.

أوصد بابِ الحمام من الداخل في أثناء الاستحمام، أقوم بترتيب سريري للتخلُّص من إغراء الزحف إليه مرة أخرى، أقوم بإعداد الشاي، ثم تنتابني نوبة الهلع الأولى لذلك اليوم حين تصدر الغلاية الكهربائية تكتها.



ليست بهذا السوء، مجرد تقلُّصٍ في صدري كأن هناك يدًا عملاقة تضغط رئتيَّ. أغمض عيني، وأركز على إرخاء عضلات حلقي، آخذ نفسًا عميقًا، وأسحب الأكسجين إلى قاع رئتي. ثم بعد دقيقتين ونصفٍ، أتمكَّن من التنفس مرة أخرى وأفتح عيني.

هذه الشقة هي المكان الوحيد في العالم حيث يصبح ذلك ممكنًا، الاسترخاء، غرفة نوم، وغرفة معيشة، ومطبخ، وحمام حيث يمكنني إغلاق عينيَّ لدقيقتين، هذا لو اتبعت الإجراءات الاحترازية. ففي العالم الخارجي القتل لا يتوقف، وإذا ارتكبتُ أدنى خطأ فسوف ينتهي بي المطاف جثة هامدة.

أذهب إلى غرفة المعيشة وأقوم بتشغيل السي.إن.إن لمعرفة عدد الجثث اليوم، ومن الصورة الأولى أعلم أن الأربع وعشرين ساعة القادمة ستكون سيئة.

تذيع القناة لقطة حية من طائرة صغيرة من دون طيارٍ لمعسكرٍ صيفي، لكن اللقطة نفسها تكاد لا تُرى تحت سيلٍ من الترهات. يظهر في الصورة سيارات سيدان وسيارات طوارئ مكدسة حول الكبائن، وهناك رجالٌ يرتدون ستراتٍ واقية بيضاء يسيرون بين الأشجار، وثمة حاجز شرطة من النايلون الأصفر يسد الطريق. ينتقلون إلى لقطاتٍ مسجلة من الليلة السابقة، وأضواء زرقاء تومض في الظلام، وهنا ضربني ما كان مكتوبًا في مقتلٍ: أحداث واقعية لمأساة ريد لايك المتكررة.

قمتُ برفع الصوت، القصة هي بالضبط ما كنتُ أخشاه، هناك من قتل ستة من منظمي معسكر ريد ليك في أثناء إغلاقهم المكان لهذا الموسم. استخدم القتلة مجموعة متنوعة من الأسلحة: منجلًا يدويًا، مثقابًا كهربائيًّا، قوسًا وسهامًا، وساطورًا، وكان سيصبح هناك ضحية

سابعة لولا أنها -الضحية الأخيرة التي تبلغ من العمر ستة عشر عامًا التي أعلنت السي إن إن أنها تُدعى ستيفاني فوجات- دفعت الجناة من فوق التبانة.

لم يتم التعرف على القاتل بعد، ولكن هذه هي ستيفاني على الشاشة، بوجهها المستدير وبشرتها الصافية، بابتسامة تحطم القلوب وتظهر معها دعامات أسنانها المعدنية. بعد الليلة الماضية، لن تكون سعيدة بهذه الدرجة مرة أخرى، إنها فتاة أخيرة الآن.

عندما تشاهد فيلمَ رعبٍ، ترى القاتل الصامت يقضي على شخصيات الفيلم، الواحد تلو الآخر، أنماط محفوظة، المدمن، الفاسقة، المهووس، الهزلي، ونائب المأمور، والآن يطارد جليسة الأطفال العذراء عبر الغابة. هي التي قالت إنه لا ينبغي لهم الاحتفال في هذا المخيم الصيفي المنبوذ، أو اقتحام هذا الملجأ المهجور، أو الغطس عراة في هذه البحيرة المعزولة، لا سيما أنه الهالوين، أو عيد الشكر، أو أيًّا كانت الذكرى السنوية لجرائم قتل لم تُحل منذ زمنٍ طويلٍ. القاتل لديه منشارٌ كهربائي/ خطاف قارب/ سكين جزار، وهذه الفتاة ليس معها شيء، لا قوة بدنية، ولا كتلة جسدية، ولا سلاح ناري. كل ما لديها هو تمارين قلب جيدة ووجه أمريكي للغاية. ومع ذلك فهي تقضي على القاتل بطريقة ما، ثم تحدِّق فاقدة الحس إلى ما حولها، أو تنهار في أحضان الشرطي الذي وصل لتوِّه، أو تركض باكية إلى صديقها. تلقي بمزحة أخيرة، أو تشعل سيجارة أخيرة، أو تطرح سؤالًا مؤلمًا أخيرًا، أو يتم نقلها في سيارة إسعاف وهي تصرخ وتصرخ، كأنها لا تنوي التوقف عن الصراخ.

هل تساءلت يومًا ماذا يحدث لتلك الفتيات الأخيرات؟ بعد أن يخرجهن رجال الشرطة من دائرة الاشتباه، وبعد تنشر الصحف صورهن لوجوههن ذات دعامات الأسنان المعدنية، والخدود الشبيهة بالبيتزا، والشعر الذي يمر بأسوأ حالاته، لينتهي بهن الحال على غلاف كتاب الجريمة الحقيقية؟ بعد الوقفة الاحتجاجية على ضوء الشموع ولحظات الصمت، بعد أن يزرع أحدهم الشجرة التذكارية على روح الضحايا؟

أنا أعرف ما يحدث لهؤلاء الفتيات. بعد توقيع صفقات الفيلم وفشله سينمائيًّا، بعد أن تدرك أنه بينما كان الجميع يملؤون طلبات الالتحاق بالكليات، كانت سجينة برنامج علاجٍ، متظاهرة أنها ليست خائفة من الظلام. بعد البرامج الحوارية، بعد أن يقبل طبيبها الثالث بدوره كمجرد آلة لإمدادها بعقار الزولوفت المهدئ، وأنها لن تحقق أي تقدم معه، بعد أن تدرك أن الشيء الوحيد المثير للاهتمام الذي يمكنه أن يحدث لها على الإطلاق قد حدث بالفعل عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها، بعد أن تتوقف عن الخروج، وبعد أن تبدأ في تصفُّح مجلات بيع الأقفال بنفس الطريقة التي تتصفح بها النساء الأخريات صفحات الموضة. بعد أن تغادر المدينة لأنها لا تستطيع التعامل مع نظرات "لماذا لم تلقي نفس مصير بقية الضحايا؟" التي يعطيها لها أهالي القتلى، بعد أن فقدت كل شيء، وعبرت من النيران، وبدأت تعرف من يلاحقونها بأسمائهم الأولى، وبعد أن ينتهي بها الأمر إلى حيث أنا ذاهبة اليوم: قبو الكنيسة في بيربانك، تجلس وظهرها إلى الحائط، في محاولة جمع شتات حياتها.

نحن كائناتٌ مهددة بالانقراض، وأنا ممتنة لهذا، لم يعد هناك سوى ست فتيات منَّا فقط. كان ذلك يحزنني، أنه لم يعد هناك المزيد منَّا، لكننا من جيل الثمانينيات والعالم قد تطور. لقد اعتادوا نفض الغبار عن طرود الذكرى السنوية لحادثنا أو إعادة عرض فيلمنا، ولكن أخبار هذه الأيام كلها عن التسريبات النفطية وويكيليكس، حركتيْ حفلة الشاي وطالبان. نحن الست ننتمي إلى عصرٍ آخر، غير مرئياتٍ لوسائل الإعلام، ربما من الأفضل ألَّا نكون موجودات من الأساس.

عندما أغلقت السي إن إن، أدركتُ أنني أخطأتُ الحساب، نحن سبع فتيات أخيرات، أنا فقط لا أحب التفكير في كريسي. لا أحد يحب أن يذكرها، لأنها خائنة. لذلك أستغرِق دقيقة، على الرغم من أن لديَّ ثلاث ساعات فقط للوصول إلى المجموعة، آخذ نفسًا عميقًا وأحاول استعادة تركيزي ونفض اسم كريسي من ذهني.

سوف تكون أدريان في حالة يُرثى لها؛ كان معسكر ريد ليك هو المكان الذي حدث لنا فيه ما حدث، لكنها اشترت المكان لاحقًا وحوَّلته إلى ملاذٍ لضحايا العنف، معظمهم من الناجين من حادث إطلاق نارٍ في مدرسة ما أو أطفال هربوا من خاطفيهم، وهذه كانت ضربة قريبة من حيث تعيش، على الأقل سيمنحنا هذا شيئًا جديدًا نتحدث عنه إلى جانب أي شيء آخر لا نزال إلى اليوم نتجادل بشأنه.

لا أستطيع تأجيل الأمر أكثر من هذا فأستعد للخروج. لقاءات المجموعة هي الدافع الوحيد الذي أغادر بسببه هذه الشقة، باستثناء عبور الشارع مرة واحدة في الأسبوع إلى صندوق البريد، أو التحقق من طرق الهروب مرة واحدة في الشهر، ورحلاتي نصف الشهرية إلى متجر الزاوية للحصول على الإمدادات. أنا لا أحب المخاطرة، شعري قصيرٌ

لأن الشعر الطويل يمكن أن يجذبه أحدهم، أرتدي أحذية الجري في حال اضطررت إلى التحرك، ولا أرتدي ملابس فضفاضة.

أقوم بجرد جيوبي: المفاتيح، المال، الهاتف، الأسلحة. توقفت عن استخدام سلاحٍ ناري في وسائل النقل العام بعد حادثة وقعت قبل عامين، لكن لديَّ رذاذَ الفلفل، وقاطعة كرتون في جيبي الأمامي الأيمن، وشفرة حلاقة مثبتة على كاحلي الأيسر. أنا لا أرتدي سماعات رأس، ولا أرتدي نظارة شمسية، وأتأكد من أن سترتي ضيقة بحيث لا يوجد ما يعيقني. أقول وداعًا لنبتتي الصغيرة، ألتقط نفسًا عميقًا، ثم أخرج من شقتي.

وأواجه العالم الذي يريدني ميتة.

***

ملاحظات دكتورة كارول إيليوت:

الحضور:

- مارلين توريس
- أدريان باتلر
- داني شيبهان
- لينيت تاركينجتون
- هيذر ديلوكا
- چوليا كامبيل

اكتشفت لتوي أن هذا الشهر يصادف السنوية السادسة عشر لبدء لقاءات هذه المجموعة. لم يكن تنظيمها شيئاً سهلاً، لكنها كانت ضرورية، فبعض أولائك النسوة تربطني بهن صلة طبية أطول من عمر أكبر أبنائي.

يحزنني ملاحظة تدهور "الحالة" العامة وفتور المودة بينهن منذ شهور. مؤخراً صارت الجلسات بها الكثير من الأحاديث الجانبية، الجدال غير البناء حول أشياء تافهة، ونقد شخصي لاذع.

تستمر أدريان في دورها المساعد في التنظيم، كمثال حي للسلوك النموذجي، لكن مارلين وداني تبدوان قلقتان. هيذر لا تزال تسعى للفت الانتباه وتصرفاتها التلقائية تسبب صراع دائم، بينما بدأت حساسية لينيت المفرطة تتحسن.

ما الذي يخدمه هذا الجمع الآن؟ من الذي سيبدأ بالابتعاد؟ أيجب عليّ أن أنهيه بنفسي؟

***

على الشاشة ماعز عبارة عن كرة من القطن تغني: يسوع يحب عنزته!

تخرج ثلاثة من الأشباح النحيلة من قبورهم معلنة أن: الأشباح مخيفة، لكن ليس الروح القدس!

لقد قام! هكذا يصرخ تشابك متعدد الألوان من الخربشات السحرية.

يجعلني هذا أتوقف، كل واحدٍ منَّا في المجموعة لديه علاقة معقدة بفكرة القيام بعد الموت.

يجب أن نجلس في دائرة، لكننا الخمسة نجلس في حرف C غير منتظمٍ لأن ليست منَّا من ستوجِّه ظهرها إلى الباب مرة أخرى. تجلس داني ويداها متقاطعتان، ساقاها مفتوحتان، جلسة راعي بقرٍ حازمٍ. أمامها جدارٌ برتقالي في أسود من ورق الحائط مزخرف بنقوشاتٍ لقرع عسل الهالوين الشهير مع قططٍ غاضبة، لكنها آخر شخصٍ على وجه الأرض يحتاج إلى تذكيرها بأن الهالوين قادمٌ.

تضع مارلين ساقًا فوق الأخرى، كوب ستاربكس في يدها، محفظة جديدة في حجرها؛ فهي لن تدعها تلامس الأرض. أخبرت جوليا أن ثمنها 1135 دولارًا، لكنني لا أصدقها، لا يمكنك دفع هذا القدر من المال مقابل حقيبة زائفة، ولن تدع مارلين الجلد الطبيعي يلمس بشرتها أبدًا.

"من الصعب أن أركز دون أن آكل" هكذا تقول هيذر بطريقتها التي لا تمل منها أبدًا، والتي تخبرنا بها أنها لم تنم منذ عام 1988. تميل إلى الأمام، تلوح بكفيها وهي تستطرد، "بسبب انخفاض نسبة السكر في الدم"، على ما يبدو، سوف يكون الجدال اليوم حول الوجبات الخفيفة.

تجلس جوليا في كرسيها المتحرك، من الواضح أنها تشعر بالملل، وتنقرعجلاتها بأصابعها، ترتدي قميصًا مثيرًا للسخرية عليه أعظم أب في العالم. تحدق إلى رسمٍ كبيرٍ متجعدٍ لرجلٍ طائرٍ ذراعاه ممدودتان بشكلٍ مستقيمٍ إلى جانبيه، ونقرأ عليه: يشوع حزين، ميت، على قيد الحياة.

كنت أعتقد أنه كان من الغريب أن نلتقي وسط رسومات مدرسة يوم الأحد تلك، ولكنه أصبح الآن أول شيء أتطلع إليه كل شهر بعد التحقق من خطوط الرؤية الخاصة بي ومخارج هروبي. وهذا ليس لأن التعبير الفني عن الذات لمجموعة من ضحايا القتل المحتملين يثير اهتمامي على الإطلاق. بل لأنني أبحث عن علامات تحذيرية: صور لبنادق تطلق النار وسكاكين ملطخة بالدماء، أولاد يرسمون أنفسهم على أنهم وحوشٌ بلا رقبة وأنياب مثلثة تمزق والديهم إلى النصف. أنا أبحث عن علاماتٍ تدل على أن أحد هؤلاء الأطفال يمكن أن يكبر ليكون عدوي، ليكون واحدًا آخر من تلك الوحوش التي حاولت قتلنا.

تقترح عليها الدكتورة كارول:

- لو أكلتِ قبل الجلسة، هل يساعد ذلك؟

الدكتورة كارول، الوحيدة في الغرفة التي يمكنها أن تعطي ظهرها إلى الباب، تجلس في فم الحرف C، كما فعلت خلال السنوات الست عشرة الماضية. تجلس باستقامة مثالية، قلم، ومفكرة مستقرة على ركبتها، تعالج هوس هيذر بالوجبات الخفيفة بنفس العناية والاهتمام الذي تطبقه على كل ما نقوله.

تقول هيذر: "هذا خارج جدولي اليومي. بصفتي مدمنة تتعافى، يجب الاحتفاظ بجدولٍ زمني، ويجب أن أغادر المنزل مبكرًا، فكما تعلمون، فقد سحب رجال الشرطة رخصتي ولم أستعدها بعد، لذلك يستغرق الأمر وقتًا أطول للوصول إلى هنا لأنني أعتقد أنه من المهم ألا تتأخر. لا تتمتع أدريان بنفس المستوى من الالتزام، على ما يبدو".

تقول الدكتورة كارول: "أنا متأكدة من أن لدى أدريان سببًا وجيهًا وراء تأخرها".

تعلِّق چوليا: "سأفاجأ إذا ظهرت أدريان على الإطلاق، من الواضح أنها شاهدت قناة سي إن إن أيضًا، هل اتصل بها أحدٌ؟ حاولتُ لكنني انتقلتُ إلى البريد الصوتي".

تقول مارلين: "أتخيل أنها أغلقت هاتفها"، ثم تصنَّعت الاشمئزاز كأنها اشتمت رائحة مقززة وهي تضيف، "بسبب الصحافة".

رفضت مارلين القيام بأي مؤتمراتٍ صحفية أو أن تعطي أي شخصٍ حوارًا استثنائيًّا بعد أزمتها، مما أثار غضب كل مراسلي أمريكا، ثم تزوجت من عائلة جمهورية نشطة سياسيًّا شديدة الثراء، لذا فقد ازداد الأمر سوءًا على مرِّ السنين، لكننا جميعًا نعرف هذا الشعور. الهاتف الذي لا يتوقف عن الرنين حتى تنتزعين سلكه من الحائط، المراسل الذي لم تريه مطلقًا يناديكِ باسمك الأول، ويتظاهر بأنه ذهب معكِ إلى المدرسة الثانوية بشكلٍ مقنعٍ لدرجة أنكِ تصدقينه، تظهر ابنة عمٍّ ما لكِ في المستشفى، كلها قلقٌ عليكِ، مع جهاز تسجيل داخل حقيبتها بجوار شيكٍ من صحيفة ناشيونال إنكوايرار.

تقول الدكتورة كارول: "لا أعتقد أنه من المناسب مناقشة وضع أدريان مع أي شخصٍ سوى مع أدريان نفسها، أنا متأكدة من أننا سنخوض في هذا عندما تصل إلى هنا. في هذا الأثناء، كيف تشعرن حيال مخاوف هيذر؟".

هناك لحظة صمتٍ غير مريحة، انتظرنا جميعًا لنرى ما إذا كان أيًا منَّا سيلتقط الطُعم، لكن لا أحد يفعل، نحن الفتيات الأخيرات، نحن جيدات في الهروب من الفخاخ.

تقول هيذر لكسر الصمت المحرج: "أنا أقول فقط أن لديَّ احتياجاتٍ معينة، وبما أنني لا أمتلك المزايا التي تتمتعن بها جميعًا، أود حقًّا أن نتناول بعض القهوة، وبعض البسكويت، أي شيء، لأن هذه الغرفة العارية الكبيرة محبطة".

يبدو أنها حقًّا لن تترك هذا الأمر، لكن هذا لا يفاجئني نحن النساء اللواتي واصلن القتال بغض النظر عن مدى الألم الذي نمرُّ به، اللواتي قفزن من نافذة الطابق الثالث، اللواتي جررن أنفسهن فوق ذلك السقف بينما كانت أجسادنا تصرخ من أجل أن نستسلم ونموت، بمجرد أن نبدأ شيئًا ما، يصعب علينا التوقف.

"لا أمانع في ما تجلبه هيذر" هكذا تقول مارلين بينما ترقص أساورها وهي تلوح بكوب ستاربكس يزيِّن غطاءه أحمر شفاه داكن. "أحضري بيتزا، أي شيء، ولكن هل يمكننا تغيير الموضوع من فضلكن؟".

هنا تقول الدكتورة كارول: "هذا مثيرٌ للاهتمام (رغم أنها الوحيدة التي تعتقد ذلك) هل تشعر أيٌّ منكن بما تشعر به مارلين؟".

عندما تكونين في غرفة مع نفس الأشخاص لمدة ستة عشر عامًا، فأنتِ تعلمين ما الذي سيفعلونه قبل حدوثه، مثل التفاعل الكيميائي،

إذا تم استيفاء شروطٍ معينة، ستحدث نتائج معينة، وبالفعل، ها هي جوليا تتدخل.

"أعتقد أن مجموعة من الأشخاص يأكلون ويشربون في مجموعة هو شكل من أشكال الانحراف". ولأنها لا تستطيع تفويت فرصة لتتجادل مع مارلين فقد أضافت: "اجتراع مارلين رشفة كبيرة من شاي الصويا بتلك الطريقة هي أكبر دليل أنها تنأى بنفسها عن المجموعة".

تتصنَّع مارلين الانبهار وهي تقول بلهجة أهل تكساس البسيطة: "أعلنها بكل صراحة، أنا مذهولة، كيف تأتين بهذه الأشياء؟".

جوليا: "منذ جلستين كنت تشتكين من أننا محبوسون في الماضي".

تنظر مارلين إلي كل واحدٍ منَّا وتقول: "حسنًا، هل تعتقد أيٌّ منكن أن هذا التجمع ضروري كما كان من قبل؟ الطريقة التي ينتقد بها ويهاجم بعضنا بعضًا، أشعر أنه يمكننا جميعًا الاستفادة من عطلة بعيدًا عن كل هذا، أليس الهدف من العلاج أن نصبح بلا حاجة إليه يومًا ما؟".

أشعر بتشنُّج في رئتيَّ وأعدُّ الأنفاس، أحتفظ به سبع عدات، وأطلقه بسبعٍ أخرى، أُبقي العد بطيئًا، أبقيه ثابتًا. إنها حتمًا لا تعني ذلك، المجموعة هي مركزنا جميعًا، حتى الدكتورة كارول. إمبراطورية الشفاء الإنسانية الخاصة بها مبنية على العمل الذي قامت به معنا منذ التسعينيات، ولكن سبب وجودنا في قبو الكنيسة هذا، وليس واحدة من عياداتها الفخمة المعدة بالكاميرات، هو أن هذا هو سرنا المشترك، مكان آمن خالٍ من الملاحقين والمشجعين والمراسلين ومؤلفي السير الذاتية. كيف يمكن لمارلين أن تتحدث عن التخلي عن كل هذا بهذه السهولة؟

ردَّت جوليا قائلة: "البعض منَّا لا يستطيع تحمُّل تكلفة إجازة، ليس الجميع محظوظون بزوج من عائلة ثرية.

تهزأ مارلين منها: "بوركتي، أليس هذا بالضبط ما فعله حبيبك السابق؟".

كان هذا شديد الانحطاط، حتى بالنسبة إلى مارلين؛ كانت چوليا لا تزال تتعلَّم كيف تتعايش مع كرسيها المتحرك عندما تزوجت من إخصائي العلاج الطبيعي. أنا أفهم دافعها جيدًا. يأتي أحدهم ويقول إنه سينقذك لتلقي بنفسك بين أحضانه وتدعيه يتخذ كل القرارات، يمكنكِ فقط أن تأملي أنه حين تستعيدين حواسك ورشدك، ألا يكونوا قد تسبَّبوا في الكثير من الضرر. في حالة چوليا، بحلول الوقت الذي استيقظت فيه، كان قد باع حقوق الامتياز الخاصة بها، وقام بتنظيف حساباتها المصرفية، ولم يترك لها أي شيء.

هنا تساءلت چوليا: "هل هكذا ستكون مجموعة اليوم؟ الإهانات اللاذعة؟ فتح الجروح القديمة؟ لا يوجد سببٌ يجعلنا نتصرَّف على هذا النحو المؤسف. نحن نساء قويات. تتمتع داني بحيلة واكتفاء ذاتي، مارلين لديها أموالٌ أكثر مما حصلنا عليه جميعًا، وأدريان عمليًّا مرشحة لجائزة نوبل للسلام".

"ما الجائزة التي ستنالينها يا ميريل ستريب؟" تسأل هيذر هازئة، "لأنني سأعاني من انتكاسة خطيرة إذا بدأتِ في قراءة سيرتك الذاتية مرة أخرى".

تقول چوليا وقد جرحها كلام هيذر: "لم أكن لأقول شيئًا عن نفسي".

هيذر: "كنت تخططين لهذا".

"ظني كما تريدين" هكذا ترد چوليا، وهي تعقد ذراعيها وتنحني إلى الخلف بكرسيها المتحرك. ترمي هيذر نصفها العلوي إلى الأمام بحيث يكون صدرها على ركبتيها، وترفع يدها كأنها تقسم على الكتاب المقدس.

"سأدفع لك عشرين دولارًا إذا نظرتِ إلى عيني وأقسمتِ أنك لم تكوني على وشك البدء في سرد درجاتك العلمية".

"هذا ما أتحدث عنه، هذه الطريقة العدوانية"، تقول چوليا، وهي تناشد الدكتورة كارول أن تتدخل.

"بدلًا من استخدام طاقتنا بشكلٍ بنَّاء، يهاجم بعضنا بعضًا؟ لقد اختطف الصراع الشخصي اجتماعنا، هذا يأتي بنتائج عكسية".

تكرر هيذر: "عشرين دولارًا".

ترد چوليا: "ليس لديك عشرون دولارًا للمراهنة بها".

تقول هيذر: "سأستعيرها من مارلين".

فتتدخل مارلين قائلة: "الاقتراض ليست هي الكلمة المناسبة لما تفعلينه معي".

تنفجر هيذر فيها: "لا تجرؤي على إهانتي! لقد تعاملت مع حماقة لا يمكنك أن تحلمي بها! اجترعت من الهراء الكوني ما يمكنه أن يجعلكِ تتغوطين ذعرًا في سروالك الساتان الداخلي".

"اهدئي". تقول چوليا لهيذر لكن مارلين تضيف: "من بين كل الناس، أنا في غِنى عن دفاعك عني أنتِ بالذات".

فتقول هيذر: نعم يا چوليا، هي في غنى عنكِ.

هنا تحذر مارلين هيذر: "احذري".

تتدخل الدكتورة كارول قائلة: "حسنًا، دعونا نهدأ ونقيِّم الموقف".

أتساءل عمَّا إذا كانت تصف لنفسها دواءً يجعلها تحتمل هذه الجلسات، على الجانب الإيجابي لم يعد أحدٌ يتكلم عن الوجبات الخفيفة.

"هل لاحظت إحداكن سرعة تتطور المحادثة بين مارلين وهيذر حول الوجبات الخفيفة إلى مشاحنة شخصية؟ هل لديكم أي أفكار حول سبب حدوث ذلك؟".

لو كانت أدريان هنا لكنَّا في الواقع سنتفق؛ عندما تكون في الغرفة، نشعر جميعًا أنه يتعين علينا الارتقاء إلى مستوى سمعتنا.

- لقد كانت مزحة.

هكذا تمتمت هيذر قبل أن تقول مارلين: "توقفي عن هذه الدراما، واشتري لنفسك كوب ستاربكس قبل أن تأتي، الكافيين يُفْقِد الشهية".

لكن هيذر تجيبها: "بعضنا لا يستطيع شراء قهوة الأغنياء، ثم أن أ.أ. لديهم قهوة دائمًا وبسكويت، لماذا لا تشترين لي بسكويتًا من ستاربكس؟ أنتِ مدينة لي، على أي حالٍ...".

تبدأ الدكتورة كارول: "يا سيدات،...".

- بماذا أنا مدينة لك بالضبط؟

تسأل مارلين فتجيبها هيذر: "لقد أفسدتِ عليَّ صفقة نجمة الرعب الأولى، كان كل شيء معدًّا ودخلتِ أنتِ ودمرتِه، كيف سأدفع لك إذا استمررتِ في إفساد صفقاتي التجارية؟".

"على من تضحكين؟" تسألها مارلين وهي تدير عينيها في مقلتيها باستهزاء، "كلانا يعلم أنكِ لن تردي ما عليكِ أبدًا".

هنا تنفجر هيذر، لكني تجاهلتها، كلنا نفعل، فقد سمعنا كل دفاعاتها من قبل. كيف تجرؤ مارلين على إهانة شرفها؟ كيف يمكنها أن تصفها بالمدمنة التي دَخَّنت وشَمَّت وتعاطت جميع المخدرات على هذا الكوكب؟ كيف تجرؤ مارلين على الإيحاء بأن كلمة هيذر ليست المكافئ اللفظي لعقدٍ صارمٍ صاغه فريقٌ من المحامين؟

هيذر دائمًا متعجلة، وهي لا تزعجني أنا وجوليا لأنها تعلم أننا لا نملك أي أموالٍ، وقد فقدت الأمل في داني لأنه لا توجد طريقة لجعل داني تفعل أي شيء لا تريده داني، لكنها تحاول باستمرارٍ مع أدريان ومارلين في مشاريع وصفقاتٍ. لقد علم من هم في قاع الهرم الغذائي في عالمنا منذ زمن بعيد أن هيذر هي أضعف حلقاتنا.

تقول الدكتورة كارول: "أعلم أن المال يشكِّل مصدر ضغطٍ للعديد منكن. هل يمكنكِ مساعدتي في التعمق في هذا الأمر يا مارلين؟ وماذا عنك يا لينيت؟".

أتفاجأ بإقحامي في الحوار فأقول: "امم، لقد تأخرت أدريان ستًّا وعشرين دقيقة".

"وماذا تشعرين حيال هذا؟" تسألني الدكتورة كارول.

"قلق؟" أقول في محاولة للعثور على الرد المناسب، فتقول جوليا: "لماذا نتحدث عن المال؟ تعتقد مارلين أن المجموعة لم تعد تخدم غرضها، وعندما نقضي نصف وقت الجلسة في تجنب الكلام عن الوجبات الخفيفة، فلا يمكنني الاختلاف معها، ما الذي حدث لنا؟ متى أصبحنا تافهات هكذا؟".

- تقول هيذر، وهي تأخذ نفسًا عميقًا: "أريد فقط أن يحضر أحدهم القهوة والبسكويت، ليس إلا".

- تتأهب الدكتورة كارول لتناول أزمة الوجبات الخفيفة الكبرى لكن داني تقاطعها، هي عادة صامتة كرعاة البقر، لذلك كلما تحدثت نستمع.
- لديَّ ما أقوله، ثم يمكنكن العودة إلى الوجبات الخفيفة.
- "أو لا" هكذا تعلق چوليا قبل أن تستطرد داني:
- هذه جلستي الأخيرة.
- جاءت بعدها وقفة طويلة ومروعة.
- داني هي واحدة من الفتيات الأخيرات الأصليات، إلى جانب أدريان ومارلين، سيؤدي خسارتها إلى تغييرٍ كبيرٍ في المجموعة، ولم تتغير المجموعة قبل هذا، فقد ناهضنا معًا حكم كلينتون وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، كنَّا خير سندٍ بعضنا لبعضٍ بعد كولومبين وفيرجينيا تك. عندما أعادوا تشغيل امتياز مارلين التجاري اضطرَّت إلى الاختباء، لكنها كانت لا تزال تأتي إلى لوس أنجلوس مرة في الشهر لهذا الاجتماع.
- ولكن على مدار العامين الماضيين، بدأت الدكتورة كارول في الانتهاء مبكرًا بضع دقائق كل مرة، وبدأ صبر مارلين بالناس يضيق، وأصبحت چوليا أكثر إلحاحًا بشأن سياستها، وأشعر أنه لولا هيذر لأنهى بعضنا ارتباطه بالمجموعة منذ وقتٍ طويلٍ، ولكن كان هناك دائمًا اتفاقٌ غير معلن على أنه يتعيَّن علينا الاستمرار في الحضور، رغم كل شيء، لأن هذا هو الشيء الوحيد المنتظم الذي يمكن لهيذر الاعتماد عليه في حياتها.
- والمثير للدهشة أن هيذر ليست هي من تُصدم بما قالته داني.

- كنت أعلم أن تأخر أدريان علامة.
- هكذا قلتُ قبل أن أغطي وجهي بكفي للحصول على بعض الخصوصية، وهذا لأنني لا أستطيع الذهاب إلى الحمام بمفردي. فتقول هيذر: "يا إلهي، إنها تبكي بالفعل".
- "أنا فقط مندهشة" هكذا قلت، وأنا أمسح كم قميصي في عيني وأردف: "هذه دموع المفاجأة".
- قالت داني بهدوءٍ: "أنا آسفة".
- أهز كتفي بلا مبالاة، لكنني أريد أن أصرخ، أريد أن أصرخ بأنها قد أفسدتِ كل شيء للجميع! يبدأ هاتف مارلين بالطنين في أعماق حقيبتها. اعتدنا أن تكون لدينا سياسة صارمة لإغلاق الهواتف، ولكنه شيء آخر تساهلنا معه خلال السنوات القليلة الماضية.
- "لا بأس، لا بأس، دعنا نغيِّر الموضوع".
- هكذا أقول لكن هاتف مارلين ظل يرن بلا انقطاع، أريد أن أصيح بها "أجيبي هاتفك!" لأنه إذا لم تفعل ذلك فسوف تتساءل عن هوية المتصل طوال الجلسة، إذا كنتِ ستتركينه مفتوحًا فيمكنك الرد عليه أيضًا!
- "يبدو أن لديكي ما تودين مشاركته معنا؟" تسألني الدكتورة كارول.
- "لا، ليس لديَّ أي شيء أشاركه، أنا فقط... أنا لا أعتقد أن داني تفهم عواقب ما تفعله".
- تجيبني داني: "إنها مسافة ساعتين بالسيارة من وإلى هنا".

- تصدى موسيقى إكسيليفون آلية فأرمي چوليا بنظرة حتى تسكت هاتفها، هل أنا الوحيدة التي لا تزال تحترم قاعدة "لا تليفون" هنا؟

- "ما رأيك ستكون العواقب؟" تسأل الدكتورة كارول.

- كيف لا يمكنهن رؤيتها؟ تجلس چوليا على كرسيها المتحرك مع سياساتها التي تلائم طلبة الدراسات العليا، وتقليعاتها، وقمصانها الساخرة، بجوار مارلين، التي تبدو كأنها ربة منزل كبيرة سمراء مستعدة لكاميرا برامج الواقع. هيذر عبارة عن أطرافٍ ملتصقة، أكواع متعرجة، وركب جرباء بالكاد متماسكة، مع الملابس التي تسوَّلتها من سلة التبرعات. أما داني فتبدو مثل بروس سبرينجستين إذا كان امرأة؛ مجموعة غير متجانسة على الإطلاق.

- "إنه شيء واضح جدًّا"، هكذا أقول، "لا أعتقد أنني بحاجة إلى توضيح. أعني، أنه واضح بالنسبة إليَّ. ستتركنا داني، وفي النهاية ستتوقف أدريان عن الظهور، تكره مارلين وچوليا إحداهما الأخرى، وستتوقف إحداهما عن الظهور بعد ذلك، وسيكون هذا هو العذر الذي تحتاج إليه هيذر للعودة إلى تعاطي المخدرات، من سيبقي؟ أنا؟ إذا غادر أحدنا، فسننهار جميعًا. ربما ليس في جلسة واحدة، أو اثنتين، أو حتى ثلاث جلسات، ولكن في النهاية ستكون هذه مجرد غرفة فارغة كبيرة مليئة بالكراسي القابلة للطي ورسومات جدارية. هذا واضح جدًّا. إنها ليست كارثة، ليست مشكلة كبيرة في الحقيقة، أعني، أعلم أن كل شيء إلى نهاية وعلينا جميعًا المضي قدمًا، ستة عشر

عامًا هي فترة طويلة، لكنني أشعر فقط أنه يجب على شخصٍ ما توضيح ذلك، يجب على البعض أن يشرح لداني بالضبط ما تفعله".

يصدر أزيز هاتف مارلين مرة أخرى، كأنه علامة ترقيم مزعجة في نهاية خطابي الكبير، تقول داني:

"أريد أن أكون بجوار ميشيل الآن، جئت لأخبركم شخصيًّا بدافع الاحترام".

- أفكر في البقاء في المنزل أول خميس من الشهر المقبل، أفكر في أن حياتي تتضاءل لتصبح المربع السكني الذي أقطن به فقط، ثم إلى شقتي، إلى غرفي الأربع، أفكر في عدم رؤية إنسان آخر يعرفني حقًّا مرة أخرى.
- "لكن بعد وفاة ميشيل ستكونين بمفردك" هكذا أخبرها، رغم أنه من الخطأ قول ذلك، "ستحتاجين إلينا بعد ذلك، ستعودين إلينا زحفًا بعدها".
- "حسنًا" قالت داني وهي تنهض، "هذا يكفي، كلكن تعرفن بريدي الإلكتروني".
- تقول الدكتورة كارول: "من فضلك ابقي، لا يزال هناك نصف ساعة، هل يمكنكِ أن تخبرينا على الأقل سبب قرارك؟".
- تتنهد داني، وتحسَّس جرحها الرمادي قبل أن تقول:
- "عندما بلغت الخمسين من عمري بدأت أفكر في أنني أقرب إلى النهاية من البداية، لا أريد أن أعيش في الماضي بعد الآن، أريد المضي قدمًا".

- "أو لا تشعرين أن لقاءاتنا تساعدك على المضي قدمًا؟" هكذا تسألها كارول ليأتي دوري وانفجر:

- هذا ليس فقط عن الماضي!

- تحذر الدكتورة كارول: "لا تردي كلام أحدٍ".

- أتجاهلها وأستطرد:

- "وماذا عنَّا؟ نحن نتحدث أيضًا عن الحاضر، نحن أصدقاء، أليس كذلك؟ نحن جزء من حياة بعض، ما نفعله هنا يمسنا جميعًا، يمس صداقتنا".

- تدور داني بعينيها في الدائرة، تتوقف عند كل واحدة منَّا، ثم يبدأ هاتف مارلين بالرنين، ويستمر، ويستمر، كأنه يسخر مني، يمكنني أن أقول إن مارلين لا تعي ما يحدث حولها، تفكر فقط في هاتفها اللعين، ثم ترتعش يد چوليا عندما يبدأ هاتفها بالاهتزاز هو الآخر، هنا تقول داني:

- "ما أراه هنا هو مجموعة من نساء بالكاد أعرفهن، مهوْوسات بما حدث لهن في المدرسة الثانوية".

- "بالكاد تعرفينهن، عمن تتحدثين؟" أسألها، غير مصدقة أنها قالت ذلك لتوِّها قبل أن أردف: "نحن نعرف بعضنا منذ سنوات".

- "ما الذي نعرفه عن بعضنا؟" تسألني داني، "لم تخبرينا حتى بعنوان منزلك، متى كانت آخر مرة سألني فيها أيٌّ منكن عن ميشيل؟ لقد سئمت من التظاهر بأن ما يحدث هنا شيء غير حقيقته".

- "ماذا عن هيذر؟" أصرخ بها، وصوتي يرتد عن الجدران، تحدق إليَّ داني قبل أن تنظر إلى هيذر.
- هيذر؟ ماذا عنك؟
- لا أعرف ما الذي تثرثر به هذه المخبولة.
- تجيبها هيذر لأقول بعدها مخاطبة داني: "إنها ستنتكس، أنتِ تعلمين أن هذا هو سبب استمرارنا جميعًا في القدوم، ألا تدركين كم تحتاج هيذر إلى هذا في حياتها؟ ألا تفهمين أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنها الاعتماد عليه؟ إذا كنتِ لن تبقي لنفسك، فابقي من أجل هيذر".
- تبدو داني محرجة، بينما تعبث مارلين في حقيبتها، تقوم هيذر بقرص الجلد الداخلي لمعصمها، حركتها الكلاسيكية، لكنهن لا ينظرن إليَّ، باستثناء جوليا، التي تبدو مرتبكة.
- اعتقدت أننا جميعًا نواصل القدوم من أجلك؟
- هكذا تقول جوليا أخيرًا، إنها مزحة، إنها نكتة أخرى من نكات جوليا الغبية.
- "من أجلي؟" أقول ضاحكة لكنه نباح فقمة مختنقة، "نحن لا نأتي إلى هنا من أجلي، لماذا أحتاج إليه؟ أنا لستُ في حاجة إلى هذا، أنا بخير".
- سكت الجميع، حتى هيذر، كما لو كنتُ أنا من تسبَّب في الإحراج، ثم بدأ هاتف مارلين يرن مرة أخرى، ثم هاتف جوليا، يجب على شخصٍ ما أن يقول شيئًا، لذلك التفتُّ إليهم لأقول ما كنت أتوق إلى الهتاف به طيلة الدقائق الخمس الماضية.

- "هل يمكنكن الرد على هواتفكن اللعينة من فضلكن؟".
- هنا تقول الدكتورة كارول: "أعتقد أننا جميعًا بحاجة إلى التوقف وإعادة تجميع أفكارنا، ماذا قولك يا لينيت؟".
- "لستُ بحاجة إلى استراحة، داني هي من تحتاج إليها، إنها الطريقة التي تدفع بها الناس بعيدًا عنها".
- أنا أبعد الناس عني؟

هكذا تسأل داني لأجيبها:

- "وماذا تسمين هذا؟ تعيشين في وسط اللا مكان، أقرب جيرانك على بُعد عشرة أميال، وها أنتِ تتركين المجموعة".
- تقول داني: "أنا لديَّ صديقة حقيقية تعيش معي، وماذا عنك؟".
- تحاول جوليا المشاركة لأنها تعتقد أنها الشخص الأكثر عقلانية في الغرفة، "أنتن يا رفيقات تتراشقن بالكلمات، الدكتورة كارول على حق، دعونا نأخذ قسطًا من الراحة".
- "أوه، ضعي تلك الراحة في مؤخرتك أيتها الساذجة"، هكذا كان ردي بعد أن انقلبتُ عليها، "لقد سمحنا لك بالانضمام إلينا فقط لأننا جميعًا شعرنا بالأسف تجاهك".
- تريد جوليا أن تقول شيئًا، لكن هيذر تشم رائحة الدماء، وتتسلق الحلبة متعطشة إلى العراك، "لماذا لا تأخذين بنصيحتك أيتها المعاقة ذهنيًّا، أنتِ لستِ حتى فتاة أخيرة حقيقية".
- أدرك أن الأمر قد انفلتَ زمامه فأفتح فمي لمحاولة إصلاحه لكن مارلين منعتني، منعت الجميع.
- "يا إلهي..".

- هكذا تقول ببطء ووهن شديدين لدرجة أننا جميعًا قد التفتن إليها لنجدها محدقة إلى هاتفها، نعلم في قلوبنا أن خطبًا ما قادمٌ.

- "لقد ماتت أدريان".

- هكذا تختتم جملتها ليتدفق الأدرينالين في عروقي التي انقبضت مثل شبكة يتم شدها بإحكامٍ، تبرد يدي وقدمي بعدها، وتجحظ حدقتي عيني لتضيء الغرفةَ، ثم تتوتر عضلاتي مما يجعل الشعر على ساعدي يقف.

- لقد نالها المسخ، أخيرًا نال الوحش الآدمي أدريان، أي واحدة منًّا يمكنها أن تصبح التالية.

***

لو لجرائم القتل مشاهير لقلنا أن ثلاثة منهم يتشاركن الآن طاولة واحدة في تلك الحانة الأنيقة بمنهاتن. رغم أن الكوميديان الشهير جيري ساينفيلد كان يلتهم البطاطس المحمرة في الخلف، ورغم أن المخرج العبقري سبايك لي قد توقف لتوه لتحية أسطورة الأزياء كالفين كلاين، لكن الأعين لا تلتصق سوى بثلاثتهن: أدريان باتلر بلون بشرتها البني اللامع، جوليا كامبل النشيطة بكرسيها المتحرك وطبيبتهن النابهة كارول إيليوت. اثنان منهن موجودين معنا فقط لأنهما نجحا في الخروج أحياء من صراع مميت.

"ليس هذا ما أحب أن أعرَف به، لقد اختلفت مع قاتلي فقتلته". تقول جوليا ببساطة.

"أصعب أنواع الاختلافات". تعقب أدريان.

"نعم، لقد أراد لحياتي أن تنتهي"، أنهت جوليا.

ثم ضحك ثلاثتهن من سخرية الموقف.

مرحباً بكم في حفل إحياء ذكرى الفتيات الأخيرات.

هؤلاء النسوة قد أصبحن شهيرات في الثمانينات لنجاتهن من جرائم قتل بشعة بيد متسلسلين مقنعين، مما بدأ حقبة جديدة من نوعية أفلام السفاحين. ثم في نهاية الثمانينات انخفضت شعبية هذه النوعية لتحل محلها أفلام عظيمة مثل "جوست" وأفلام كيڤين كوستنر الوسيم. والآن، وبفضل جوليا، فقد عادت تلك الشعبية، ربما ستعجبك أنت شخصياً أحد تلك الأفلام.

"قابلت العديد من هؤلاء النسوة على المستوى الطبي، وقد كنت محظوظة فقد تعلمت منهن الكثير" تقول دكتورة كارول بامتنان دون أن تفشي أسرار مرضاها.

وقد كان ما تعلمته هو محور كتابها الأحدث: عندما يقطع الصمت، ستة ناجيات يتكلمن، استخدمت فيه تجارب مرضاها في وقت كان الحديث الإعلامي كله عن انحرافات قائد الشرطة وكيف أن الحركة النسوية العالمية قد ماتت.

نحن لا نبقى، بل نتشتت. نحن الفتيات الأخيرات، الاعتناء بأنفسنا هو ما نفعله، نصعد من البدروم إلى الطابق الأرضي لنجد أحد أيام لوس أنجلوس الخريفية المشرقة حيث لا يمكن أن يحدث شيء سيئ. من الممكن أن يرانا البعض كمجموعة من أمهات لاعبي فريق كرة القدم الصغار، يغادرن الكنيسة بعد التخطيط لكرنفالٍ للرسم على الوجوه وركوب المُهر. لم تترك مارلين الهاتف طوال الطريق إلى سيارتها المرسيدس الفارهة، بينما تأخذ جوليا المصعد إلى ساحة انتظار السيارات، تضع كرسيها في الجزء الخلفي من شاحنتها الصغيرة، وتتأرجح على عكازين في طريقها إلى مقعد السائق، هذا وتخترق هيذر الساحات الأمامية والممرات لتشرد في نواحي أحياء ألاميدا. معظم الناس لا يميزون التفاصيل الفريدة التي تجعلنا مختلفات: داني تقف بجانب شاحنتها، سلاح بيريتا أسود غير لامعٍ في يدها، خلف ساقها، تراقب الجميع للتأكد من خروجنا بأمانٍ.

أما أنا فَهَشّة، بلاستيكية ومشوَّشة، لكن لديَّ نظامي الذي لا يزال بعد كل هذه السنوات يتولى زمام الأمور ويحافظ على سلامتي. أمشي إلى محطة الحافلات، رافعة مؤشر إدراكي الحسي الخاص بالمدن والضواحي إلى أعلى مستوى، ألتزم بالشارع، وأبقى خارج صف السيارات المتوقفة، أتجنَّب الأرصفة، أدور برأسي باستمرارٍ، أتحقق من زواياي وأقيِّم التهديدات المحتملة.

ظل تركيزي يتشتت بسبب ما قالته جوليا، أراقب من يمشون ورائي، السيارات التي لديها لوحات من خارج الولاية، الرجال الذين يرتدون نظارات شمسية وقبعات منخفضة، لكن عقلي يستمر في الجدال مع جوليا، أنا لست المشكلة.

هل الرجل الجالس في تلك السيارة المتوقفة يصطنع الكلام في هاتفه الخلوي؟ لماذا انزلق إلى الأسفل عندما رصدته؟

أنا لستُ المجنونة، لست السبب الذي يجعلنا جميعًا نواصل الحضور إلى المجموعة، هيذر هي التي يجب أن ننتبه لها، هي التي تحتاج إلينا، أنا العاقلة، أنا الآمنة.

تلك الهوندا التي تقوم بالانعطاف يمينًا، عليها لوحات ولاية يوتا، أحفظ الرقم في حالة عودتها مرة أخرى. أتابع النوافذ المظلمة وأراقب الدراجات النارية، لا أفكر فيما قالته جوليا، لا أفكر كيف لم يجادلها أحدٌ. أراقب الشاحنات الصغيرة، لن أبدأ في الحديث عن الشاحنات الصغيرة وما تمثِّله.

لا أهدأ إلا عندما أصبح في حافلة المدينة؛ في الشارع، يمكن لأي شخصٍ أن يأتي من أي اتجاه، في الحافلة، هناك زوايا محدودة للهجوم، إنهم يعلنون عن فيلم رعبٍ واللافتات الحمراء تجعلني أفكر في أدريان، لكني بحاجة إلى البقاء في قمة تركيزي. يجلس بعض الأولاد في الخلف، يحملون حقائب أدوات ورؤوسهم منحنية، منغمسون في شيء ما على أحد هواتفهم.

لا يتعيَّن على الرجال الانتباه بنفس الطريقة التي نتبعها، يموت الرجال لأنهم يرتكبون أخطاء، لكننا نموت لأننا إناثٌ، انظري إلى أدريان، لا، بل انظري إلى أحذيتهم. احفظي وجوههم وملابسهم وأحذيتهم، خاصة أحذيتهم.

أستقل الحافلة إلى وسط المدينة، أنزل في شارع أوليف وأسلك الطرق الرئيسية إلى مجمعٍ قريبٍ. عندما أكون في الشارع، أعطي ظهري إلى الحائط وأتظاهر بالعبث في هاتفي. لو كان هناك من يمشي ورائي

سيضطر إلى التوقف أو المرور بي. حذاء نايكي ناصع البياض يمرُّ في مجال رؤيتي، وآخر أسود لامع من ماركة روكبورتس، أو تيمبرلاند؛ إذا كان هناك من يتتبعني فيمكنه تغيير سترته أو قبعته، ولكن من الصعب جدًّا تغيير حذائه.

لست بحاجة إلى النظر إلى الأسقف أو فحص النوافذ، إنه الحذاء ما يجب أن أقلق بشأنه لأن الوحوش في حياتنا تفضل الاقتراب إلى المساحة الشخصية. هجوم من قناص سيكون مثل محاولة التودد لي جنسيًّا بالبريد، هم بحاجة إلى لمسي.

بعد أن أشتري تذكرتي، أقف في الردهة، ظهري إلى الحائط، وأراقب الأحذية مرة أخرى، أحصي ماركات وأشكالًا عديدة.

أشاهد الإعلانات على الشاشة الهائلة، أجلس في الصف الأمامي في صالة العرض، ثم أستدير كما لو كنت أبحث عن رفيق موعدي الغرامي. إنه فيلم رسوم متحركة للأطفال، لذا من السهل تحديد ذكر بالغ من دون أطفال، هذا ليس مستحيلًا، لكن الاحتمالات ضئيلة أن يأتي من يتبعني بطفلٍ للتمويه. أركّز على ذي العضلات والشعر الأحمر مع التوأمين أسودي الشعر، وأيضًا هذا الأشقر ذي اللحية الذي يصطحب صبيًّا صغيرًا، قام كلاهما بمسح المسرح بأعينهما عندما دخلا، كما لو كانا يبحثان عن شخصٍ ما.

عندما يبدأ الفيلم أخيرًا، أهرع إلى مخرج الطوارئ على يسار الشاشة، أنطلق أسفل الدرج، وأخرج إلى الشارع. لا أرى أحمر الشعر أو صاحب اللحية، لكنني أرى هوندا أخرى تحمل لوحات يوتا لكنها رقمٌ مختلفٌ. أحفظ هذه اللوحة أيضًا، النوافذ المتربة والمصد المغطى بالطين، ملصق Triple A على زجاج النافذة الخلفي، أستقل حافلة وأتجه إلى مركز بيفرلي.

في أثناء وجودي بالحافلة، أجلس بالقرب من السائق قدر الإمكان، أراقب الأحذية في كل محطة، أحاول أن أحافظ على تركيزي -نايكي وكاتربيللر وأحذية ممرضات بيضاء- لكن أدريان تواصل اقتحام أفكاري، لقد طردتني هي وچوليا من لعبتي.

أدريان كانت أولنا، وأفضلنا، كانت السبب وراء انضمام معظمنا إلى المجموعة. أزمتها هي التي حددت المنهج. ينجو الكثير من النساء من العنف، لكن ما يميز مجموعتنا الصغيرة هو أن كلًّا منَّا قتلت مسخها، أو هكذا كان اعتقادنا، حتى حدث لنا مرة أخرى. اعتقدنا جميعًا أن أدريان كانت الوحيدة التي لم تحصل على جولة أخرى، لكننا كنَّا مخطئات، لأنه بعد ثلاثة وثلاثين عامًا، عاد مسخها مرة أخرى، لإنهاء المهمة. اعتقدت أدريان أنها كانت آمنة، لكنها كانت مخطئة، تُرى، في ماذا (فيما) أيضًا كنَّا مخطئات؟

حدثت أزمة أدريان في نفس الصيف الذي حدثت فيه أزمة مارلين، كانتا متشابهتين بما فيه الكفاية بحيث اهتمت بهما الصحافة، لكنها أصبحت مشهورة بسبب ما حدث لاحقًا، مع أفلامها. كانت مستشارة في معسكر ريد ليك، وقد حضر الموظفون مبكرًا لتجهيز المكان للنزلاء. كان لا بد من تهوية الكبائن، ورش أعشاش الدبابير، وإخراج الزوارق من المخزن. في الليلة الأولى، قُتل تسعة من أصدقائها، أربعة منهم كانوا مستشارين في عامهم الأول لم تكن تعرفهم جيدًا، لكنها كانت تعرف الخمسة الآخرين منذ أن كانوا أطفالًا في معسكر ريد ليك، كانت اثنتي عشرة ساعة طويلة ومظلمة هي التي غيَّرت بقية حياة أدريان.

تبين أن القاتل هو طباخ المعسكر السابق، أب أعزب يُدعى بروس فولكر، الذي ادَّعى أنه قبل عشرين عامًا، ترك اثنان من المستشارين ابنه تيدي ليغرق في أثناء ممارستهما الجنس، قال إن تيدي عاد من القبر لقتل جميع المستشارين، للانتقام، على الرغم من أنه لم يشرح أبدًا سبب انتظار تيدي كل هذا الوقت للبدء، على أي حال، توقفت عمليات القتل عندما قطعت أدريان رأس السيد فولكر بالساطور.

ثم ساءت الأمور عندما اكتشفوا أن بروس فولكر لم ينجب ابنًا غرق في ريد ليك، بل لم يكن لديه ولدٌ على الإطلاق. كان بروس فولكر مجرد رجلٍ عجوزٍ وحيد ذي هوسٍ بالأطفال وله مزاج متأرجح، لكنه جعل من أدريان أول "فتاة أخيرة"، واستغلت أدريان ذلك لتحقيق كل أحلامها.

تبصق مكابح الهواء باب الحافلة، وأنظر حولي لكني لا أتعرَّف على زوجٍ واحدٍ من الأحذية. كم عدد الأشخاص الذين صعدوا ونزلوا بينما كنت في أحلام اليقظة؟ تجلس ورائي جدة شديدة الهزال مع زوجٍ مطابقٍ لها، كلاهما يرتدي ملابس ريبوك متطابقة وقبعات بيسبول حمراء متسخة، لم أرهما يصعدان الحافلة.

أضغط زر الطوارئ، لا أطيق الانتظار حتى تنفتح الأبواب قبل أن أنزل. أنا على بُعد ثلاثة شوارع من مركز بيفرلي ولا يمكنني الركض، لأنه لا يركض أحدٌ في لوس أنجلوس. أمد الخُطى وأركب الحافلة رقم 14. تعيدني هذه الرحلة الأخيرة بالخطأ إلى "الخط الأحمر"، وعندما أصل إلى محطة فيرمونت/ بيفرلي، يكون الترام موجودًا بالفعل على رصيفه، إنسل داخلة قبل أن تنغلق الأبواب. هناك خمسة عشر شخصًا في السيارة، أجد مقعدًا على مسافة متساوية من الأبواب الموجودة في

نهاية العربة ومقدمتها. أفحص الأحذية، لا يبدو أيٌّ منها مألوفًا. بعد خمس محطات انتقلت إلى خط وادي الظباء.

أحتاج إلى العودة إلى المنزل، لكن لا يمكنني التسرع في روتيني، أريد معرفة ما حدث لأدريان. قرأتْ مارلين بقية المقال من هاتفها، لكن التفاصيل كانت شحيحة: قتلها رجلٌ في منزلها، لكنني كنت بحاجة إلى معرفة المزيد، وهذا لأنه خارج المجموعة كانت أدريان هي الشخص الذي أتحدث إليه كثيرًا، من أتى بي إلى المجموعة بعد أزمتي، من كانت تتصل بي كل شهر للاطمئنان عليَّ. حسنًا، كل شهرين، وفي بعض الأحيان ثلاثة، ربما ليس منذ وقتٍ طويلٍ في هذا العام، لكني شعرتُ أنه كان يكفي، المهم أن أدريان كانت تجد لي الوقت دائمًا.

عندما أعود أخيرًا إلى بيربانك، أنزل في محطة المطار، وأركب حافلة عامة لفترة من الوقت. عندما أقتنع بأن أحذية جديدة فقط هي التي تصعد في كل مرة تتوقف فيها حافلة النقل العام، أستقل أتوبيس المدينة، وأقوم باجتيازها مرتين، وبعد ثلاث ساعات تقريبًا من بداية رحلتي، أصل إلى بيتي.

يختلف مساري في كل مرة، لكنَّ الأساسيات هي نفسها: أتحرك ببطء، وفي حلقات صغيرة ضمن حلقات أكبر، أبقى متيقظة، أبقى مدركة لما يحدث حولي، أراقب الأحذية. فقط لا تكوني غبية، لا تموتي. لا يمكنك تجاوز الخط الفاصل بين توخي الحذر الشديد وعدم توخي الحذر الكافي إلا مرة واحدة.

لا أستطيع حتى أن أصف كيف يبدو مصعد بنايتي من الداخل، لأنني أستخدم السلالم دومًا. المصعد عبارة عن صندوقٍ ببابٍ واحدٍ. يمكن لأي رجلٍ أن ينالك في مصعدٍ، حتى لو كان سمينًا كبيرًا لأنه

ليس لديك مكان للركض. على الدرج لديَّ خياراتٌ، بالإضافة إلى أنها جيدة لتمارين القلب. استغرق الأمر مني بعض الوقت للاستقرار في الطابق الثالث، لكنه الارتفاع المثالي: مرتفع جدًّا بحيث لا يستطيع أحدهم الوصول إلى نافذتي، ومنخفض بما يكفي لأتمكن من النجاة بالقفز. أتأكد من عدم وجود أي شخصٍ آخر في الردهة، ثم أقوم بفتح القفل المزدوج وأدخل قفصي.

عندما انتقلت إلى هذه الشقة قبل ستة عشر عامًا، كان المبنى عبارة عن مكبِّ نفاياتٍ، لم يهتم المالك بالتجديدات التي أجريتها ما دام لم يشكُ أحدٌ. كان لا يزال لديَّ القليل من المال المتبقي في ذلك الوقت، ونتيجة لذلك فإن شقتي هي المكان الوحيد الذي تمكَّنتُ من جعله آمنًا حقًّا.

تعاملتْ كل واحدة منَّا مع صدمتها بشكلٍ مختلفٍ؛ أصبحت داني مكتفية بنفسها، شاركت أدريان في برامج المساعدة الذاتية، تزوجت مارلين ودفنت رأسها في الرمال، لجأت هيذر إلى المخدرات، وأصبحت جوليا ناشطة سياسية.

أما أنا، فقد تعلمت كيف أحمي نفسي.

قفصي الخاص عبارة عن صندوق شبكي من الفولاذ بحجم كشك هاتف عمومي ومثبت بمسامير على الحائط بجوار باب منزلي. الشبكة صلبة والقفص نفسه شديد الضيق بحيث لا يستطيع أحد استحضار قوة دفع كافية لاختراقه. باب القفص مغلق بأربعة براغي كهرومغناطيسية، لا توجد طريقة لفتحها من دون إدخال الكود الصحيح على لوحة المفاتيح، وإذا كان هناك انقطاع في الطاقة تنغلق الأقفال آليًّا، كذلك إذا أُدخِل الرمز بشكلٍ خاطئ تنغلق الأقفال. إنها طريقة لمنع أي شخصٍ يأتي إلى شقتي من الاقتراب ما لم يحصل على إذن مني. كنت أفضِّل

استخدام باب أمامي من الصلب وأضع اثنين من الكاميرات الأمنية في القاعة، ولكن هذا من شأنه أن يلفت الانتباه إلى باب منزلي، لذلك استقر رأيي على القفص.

بعد إغلاق الباب الأمامي ورائي، أقوم بإدخال الكود لتنفتح الأقفال الأربعة، ثم أدخل شقتي. أغلق القفص خلفي، وأدخل الكود مرة أخرى. تبيت الأقفال في أماكنها مصدرة التكة المعدنية المريحة التي تجعلني أعرف أنني قد أصبحت بأمانٍ، أتنفس رائحة شقتي المطمئنة المشبعة برائحة مسحوق النظافة.

"مرحبًا يا فاين"، أقولها لنباتي، "الأمور ليست جيدة، سأخبرك بها بعد أن أقوم بتأمين المحيط".

أنا على قيد الحياة فقط لأن لديَّ قوة الإرادة وضبط النفس، أفتح خزنة بندقيتي وأخرج بندقيتي عيار 38. إذا كان الألماس هو أفضل صديق للفتاة، فإن الأسلحة النارية التي يمكن الاعتماد عليها، والتي تتمتع بقدرة كبيرة على الردع هي كذلك "للفتاة الأخيرة". ليس لديَّ أي أوهامٍ: هذا النوع من البنادق لم تردع ريكي ووكر في المرة الأولى، ولم تردع شقيقه أيضًا، لكن رصاصتين في وسط جسد شخصٍ ما ستبطئانه لفترة كافية كي ألجأ إلى "غرفة الذعر" الخاصة بي. حسنًا، ربما ليست غرفة، لنقل خزانة الذعر.

بندقيتي في متناول يدي، وأنا أمسح شقتي لخمس عشرة دقيقة. فقط بعد التأكد من أنها خاوية تمامًا، وأن باب غرفة الذعر الخاص بي مستعدٌّ، وأن هاتفي الخلوي قيد الشحن، وستائري منسدلة، وأن الأبواب الداخلية مقفلة، عندها فقط أجلس وألتقط فاين وأضعه في حضني.

أقول له "أدريان.."، ثم أدرك أنني لا أستطيع أن أحكي ما حدث لها دون أن أبكي، لكنني سأفعل ذلك على أي حالٍ، "لقد ماتت".

أجلس هكذا لفترة من الوقت، تتساقط دموعي على أوراق فاين، أتساءل عمَّا إذا كانت المياه المالحة ضارة له، لكنه لا يشتكي، فهو مستمع جيد، هو صديقي المفضل.

فاين هو الكائن الحي الوحيد، بجانب نفسي، الذي أنا مسؤولة عنه. استغرقت وقتًا طويلًا لآخُذ هذه الخطوة الجريئة. ثم أن النباتات الثلاثة الأولى التي اشتريتها لم تنجُ، لكن الرابعة نجحت، أنا فتاة أخيرة، وهو نبات أخير؛ نحن نكوِّن فريقًا جيدًا.

لقد بقينا معًا لمدة تسع سنوات، وعندما أصيب بسوس العنكبوت منذ عامين لم أستطع التعامل مع فكرة إلقائه في سلة المهملات، لذلك فقد ظللت مستيقظة لمدة ثلاثة أيام متواصلة، أفرك أوراقه بالماء، ثم بمحلول صابون، ثم بالكحول، ثم الماء مرة بعد مرة، أغفو فوق أوراقه، وأتأكد من أني تمكَّنتُ من كل سوس عنكبوت، لم آمن لأفقد صديقًا آخر، وبالفعل تمكَّن من عبور المحنة وأصبحت الأوراق التي احتفظ بها أرق وأنظف أوراق نبات فلفل على الإطلاق.

لقد عاد بكامل صحته الآن، ولكن لا يزال في إمكاني رؤية بعض الندوب على جسده من الأوراق التي لم أستطع إنقاذها.

هدأ بكائي قليلًا، وأريد أن أخبر فاين بكل التفاصيل، لكنني أدرك أنني لا أعرف شيئًا. هل كانت (أدريان) في رد ليك هذا الصباح؟ كانت اللقطات التي شاهدتها هي لمسرح الجريمة حيث قُتلت؟ وهل الحادثتان مرتبطتان؟

ذهبتُ بفاين إلى المكتب، وقمنا بتشغيل السي إن إن، وجه أدريان في كل النشرات الإخبارية، لقد مرَّ وقتٌ طويلٌ منذ أن اهتم أي شخص بفتاة أخيرة على قيد الحياة، لكني أعتقد أن واحدة ميتة ستجلب السيرك إلى المدينة.

يبقى معظمنا بعيدًا عن ماضي الآخرين، لكنني كنت أبحث مؤخرًا في ماضي أدريان لأسبابٍ شخصية، والصور التي يعرضونها أمامي على السي إن إن تبدو مألوفة. اللقطة الوحيدة الجديدة هي من داخل ثلاجتها بينما تطل صورة ماثلة لرأس السيد فولكر المحنطة مُضافة رقميًّا إلى المشهد، وهو أمرٌ سيئ للغاية، فهي الصورة الوحيدة التي أريد أن أراها.

مذيعة سي إن إن منزعجة للغاية -رغم أنها لم يسبق لها أن تواجدت في نفس الغرفة مع أدريان- تتحدث بصدقٍ إلى الكاميرا كما لو أن أختها هي التي ماتت، لقد استغرقت قناة سي إن إن على الأقل وقتًا للتأكد من أن تكون المذيعة سوداء.

"...الموت الصادم لأدريان بتلر، الناجية مما هو معروف باسم جرائم قتل معسكر ريد لايك، والمعروفة بأنها أول فتاة أخيرة في أمريكا، وهي رائدة في مجتمع التعافي، وقد كرست حياتها لوضع نهاية...".

إذا كان عمرك خمسة عشر عامًا، ولا تشاهدين سوى أفلام الرعب، فربما تكون هذه هي المرة الأولى التي تدركين فيها أن أدريان سوداء. جعلوها فتاة بيضاء في أفلام مجزرة صيفية، وكان هذا خطأهم، أنا مقتنعة أنه السبب الذي جعل أدريان تلاحقهم في المقام الأول كانت فخورة بعرقها وأنهم يصنعون أفلامًا مبنية على حياتها، وطمس شيء مهم للغاية هكذا هو ما جعلها تنفجر.

كان أول فيلم مجزرة صيفية ناجحًا بالفعل، وكان الجزء الثاني له على وشك الخروج عنه حين قام محامي أدريان بتحرير دعواه. كان عليه أن يقدم أكثر من دعوى، لكن بحلول الوقت الذي قبل القاضي أخيرًا الدعوة المقدمة، كان الجزء الثالث من مجزرة صيفية بتقنية ثلاثية الأبعاد في دور السينما. كان لدى عائلة أدريان المال الكافي بالإضافة إلى التسوية التي منحها لها أصحاب المخيم، لذا فقد استأجرت محاميًا أقرب إلى سمكة قرش حقيقية للدق فوق رؤوس منتجي الفيلم حتى الخضوع. عندما خضع العاملون بالأستوديو أخيرًا، أجبروا على الجلوس إلى طاولة المفاوضات أخبرتني أدريان بما قالوه.

"ماذا تريدين منَّا؟" هكذا سألوها، معتقدين أنها سترضى بشيكٍ، تقديرٍ على شاشة العرض، أي شيء لا يغير الأمور كثيرًا بالنسبة إليهم.

ابتسمت أدريان، وقالت لهم:

"أريد كل شيء".

وقد حصلت عليه. بحلول الوقت الذي انتهت فيه القضية، امتلكت حقوق الامتياز كاملة: الأفلام الثلاثة الأولى وأي أجزاء مستقبلية، حتى إنهم اضطروا إلى إعطائها السيناريو الذي كلفوا به بالفعل من أجل الجزء الرابع. شكلت قضية أدريان السابقة الأولى التي جعلت الحقوق في القصة للناجي الوحيد، وليس عائلات الضحايا، ولا أي أستوديو عرض فيلمه على الشاشة أولًا- لكن للفتاة الأخيرة؛ صوابًا كان أم خطأً، فقد غيَّر هذا كل شيء؛ أعطانا القوة.

بمجرد أن حصلت أدريان على حقوقها، أحرقت هذا الامتياز تمامًا وفصلت الجميع، استغرق الأمر شهرين للتنظيف وراءهم، صرخ فيها الأستديو مثل خنزير عالق، وحاول المحامون توضيح أنها لا تفهم كيف

تدار الأمور، وكيف أن هناك عواقب غير مقصودة، كيف سيتضورون جوعًا في الشوارع، ثم قامت أدريان بآخر شيء يتوقعوه: أدارت مفتاح التشغيل مرة أخرى.

كان هناك منتجة صغيرة في سلسلة مجزرة صيفية جعلتها أدريان منتجة تنفيذية بمفهومٍ واضحٍ، وهو أن هناك شخصًا واحدًا فقط يجب أن يكون راضيًا، أدريان. تفاوض محاموها على عقدٍ معدلٍ مع الأستوديو، وفي الصيف التالي، تم عرض الجزء الثالث من مجزرة صيفية بتقنية ثلاثية الأبعاد في دور السينما، وهو ما كان رائجًا في تلك الأيام، وبعد شهرين، ظهر الجزء الرابع على الشاشات.

قبل ظهور هذا الجزء، شاركت أدريان في جميع البرامج الحوارية، وتأكدت من أن الجميع يعرفون أن عائدات هذه الأفلام لن تذهب إليها، بل إلى منظمتها غير الهادفة إلى الربح، صندوق "أدريان لمنع العنف ضد المرأة". وبينما انتقدت الصحافة أفلام السفاحين الأخرى باعتبارها كارهة للنساء، ففي نفس الوقت صنعت هالة حول أفلام أدريان. لم يشعر أحدٌ بالذنب حيال شراء تذكرة لأن كل الأرباح تذهب إلى الخير. بحلول منتصف التسعينيات، كانت أدريان مثل أوبرا وينفري في صراعها مع العنف ضد المرأة، حتى إن بعض الناس لم يدركوا علاقتها بالأفلام.

كتبت مؤلفاتٍ، ألقت محاضراتٍ، سجلت برامج تلفزيونية، عقدت ندواتٍ ونظمت ورش العمل، استخدمت أموال الفيلم لشراء مخيم ريد لايك وتحويله إلى معتكفٍ لضحايا العنف. كانت لا تعرف الكلل، كانت مخلصة، كانت إيجابية ومتفائلة؛ كانت الفتاة الأخيرة المفضَّلة لدى أمريكا.

وجعلت بقيتنا نشعر كأننا محتالون، كما لو أننا لم نرتقِ إلى أقصى إمكاناتنا، كأنه ينبغي لنا أن نسأل عما يمكن أن نفعله من أجل البلد بدلًا من وضع قضبان الأمان فوق نوافذنا وتعلم استخدام السلاح، لكن أدريان لم تحكم قط على اختياراتنا، وهي بالتأكيد لم تعتقد أنني مجنونة.

لم تكن غنية مثل مارلين، لكنها كانت أكثر سخاءً.

دفعت لچوليا لجعل المنزل الذي أحبَّته سهل الوصول إليه والتجول فيه بواسطة الكرسي المتحرك. وعندما انتقلت داني إلى أرضها، تولَّت أدريان تكلفة غرفة الذعر، قالت: "هذا ليس لكِ، بل لكي أتمكَّن من النوم ليلًا، بعد أن أتأكد أن احتمالات نجاتك قد ارتفعت قليلًا".

كانت أفلام "مجزرة صيفية" هي المحرك الأسود الخاص بإمبراطورية أدريان، المحرك الذي يحوِّل ألمها إلى نقودٍ. كان هناك تسعة أفلام أصلية في السلسلة، أكثر مما حصلت عليه أي واحدة منَّا على الإطلاق، كان هناك إصدار خيال علمي يحدث في المستقبل حيث يستيقظ تيدي من النوم الجليدي، ويبدأ في قتل الناس في محطة فضاء. كان هناك صلة مع فيلم هيذر "ملك الحلم" في محاولة من إدريان لوضع الأموال في سكة هيذر، لكن ذلك انتهى بشكل سيئ لأنها، حسنًا، لأنها هيذر. كان فيه شخصيات أفلام حركة، دمى قطيفة، وللغرابة لم تصر أدريان على اختيار ممثلة سوداء لدور البطولة، أدريان دائمًا كانت لديها عقلية واقعية عندما يتعلق الأمر بالضحايا اللائي تتعاطف معهن طبقة أمريكا الوسطى.

سألتها چوليا ذات مرة إذا كان يضايقها أن الرجل الذي حاول قتلها، الرجل الذي قتل صديقاتها، يتم إحياء ذكراه على صناديق الغداء وعلى القمصان، ربما كان أكثر شهرة من أدريان نفسها.

قالت أدريان مبتسمة: "لم يكن تيدي هو من قتل أصدقائي، تيدي لم يكن موجودًا قطُّ. إذا علم بروس فولكر أن الكذبة التي قالها تساعدني ضد العنف مع المرأة كان ليؤرقه هذا في قبره، وذاك يجعلني سعيدة للغاية".

بينما أشاهد مع فاين قناة سي إن إن، علمنا أنه لم يكن لبروس فولكر ابنٌ اسمه تيدي، بل كان لديه ابن أخ اسمه كريستوف، الذي كان في الثالثة من عمره عندما مات عمُّه، الآن هو في الخامسة والثلاثين من عمره، وهو منزعج من أن مأساة عائلته أصبحت إمبراطورية ترفيهية عالمية، ولم يفكر أحدٌ في أن يعطيه نسبة.

أنا على دراية بالاسم، كان كريستوف واحدًا من عشرات المجانين الذين رفعوا دعاوى مزعجة ضد أدريان، لكن كان لديها دائمًا المزيد من المحامين والمزيد من المال، ومعظم القضاة ينظرون نظرة قاتمة إلى ابن أخ القاتل في محاولته لأخذ المال من إحدى ضحايا عمِّه المتوفى. أصبحت دعاوى كريستوف لعبة ملاهٍ ثم بعد أن صار مفلسًا وشبه مختلٍّ قرر أن يأخذ استراحة من هوليوود.

قبل بضع سنوات، كان قد بدأ في التسلل إلى ممتلكات أدريان في مخيم ريد لايك حتى حصلوا على أمرٍ من المحكمة لمنعه من الاقتراب بمسافة أقل من ألف قدم. ولقد احترم ذلك حتى الليلة الماضية عندما توقف فجأة، حفر قبر عمِّه، وذهب إلى المخيم ليقتل أفراد الطاقم الذين كانوا يغلقونه لهذا الموسم، دفعوه من فوق مخزن التبن، وتفادى رجال الشرطة وهو يعرج، ثم قاد سيارته لمدة ثلاث ساعات إلى منزل أدريان ليضع رأس عمِّه المحنط في ثلاجتها. عندما نزلت إلى الطابق السفلي لتعد قهوتها الصباحية خرج من المخزن وطعنها في مؤخرة جمجمتها اثنتين وعشرين مرة بالفأس.

مثل بقيتنا، لم تكن العلاقات هي ما يميز أدريان، ولهذا لم يعثر أحدٌ على جثتها حتى جاءت الشرطة لتخبرها عن جرائم القتل التي حدثت في معسكرها.

يرن هاتفي الخلوي، أتحقق من هوية المتصل، لا أريد التحدث إلى هذا الشخص بالذات الآن، أنا بحاجة إلى تخفيف الضغط على أعصابي، بحاجة إلى الاستقرار على شيء مريح. أقوم بتغيير القناة إلى نيتفليكس والنقر للوصول إلى فيلم "الحب، في الواقع" حين يأتيني صوتٌ لا يزال يخيفني، حتى بعد كل هذا الوقت.

شيء ما يدق باب منزلي.

أنظر إلى فاين لأجده خائفًا مثلي، أنقر حتى أصل إلى شاشة عرض كاميرات نظام الأمان، كان من المستحيل أن أترك بابي يصبح نقطة عمياء، لذلك بعد أن انتقلت إلى العيش هنا، وضعت كاميرا في حجم الدبوس في عين الباب السحرية.

لا يوجد أحدٌ بالباب.

ثم تأتي ضربة أخرى.

وضعت فاين على مكتبي، بعيدًا عن طريق الأذى، سلاحي عيار 38 في يدي وزر الأمان مرفوع. هناك كاميرا مخفية أخرى خارج باب بيتي، إلى الأسفل قليلًا. عندما أنتقل إليها أدرك لماذا لم أره المرة الأولى، فقد كانت الكاميرا الأخرى أعلى من اللازم، أرى چوليا في كرسيها المتحرك، تطرق بابي، أغمض عيني وأتمنى أن تغادر، لكن دقَّها يزداد قوة.

"أعلم أنكِ بالداخل يا لينيت" هكذا سمعت صوتها عبر الباب، عبر القفص الخاص بي، عبر الغرفة الفارغة، يخترق عالمي الآمن.

"سوف ترحل"، همستُ إلى فاين، "إذا بقينا من دون حراكٍ ولم نصدر صوتًا، سترحل".

لا أحد يعرف أين أعيش، ولا أقود سيارة لأنني لا أثق بإدارة تسيير المركبات للحفاظ على عنواني آمنًا، ليس لديَّ بطاقة مكتبة، لا أصوِّت في الانتخابات؛ أفعل كل ما في وسعي للابتعاد عن قواعد بيانات الدولة. أما البيانات الفيدرالية فلا أستطيع فعل أي شيء بصددها، لذلك يمكنني فقط أن أدعو أن تكون أكثر أمانًا. الجانب السلبي لهذا أنه لو لا أحد يعرف أين أعيش، كيف سيعرفون إذا أصبحت في عداد المفقودين؟ كم من الوقت سيمرُّ قبل أن يُلاحِظ أحدٌ اختفائي؟ وماذا سيُفعل بي في هذه الأثناء؟

قبل ثماني سنوات، قمتُ بمقامرة، كانت چوليا أحدث عضو في المجموعة، وأعتقد أنني اخترتُها لأنها الأصغر، وأنها ستكون أكثر طاعة لي. أرسل إليها رسالة نصية مرتين في اليوم، التاسعة صباحًا والتاسعة مساءً، حتى تعلم أنني على قيد الحياة. وتركت لها مظروفًا مختومًا في حالة أن لم أفعل، وقد وعدتني ألا تفتحه خلاف ذلك، وهذا المظروف يحتوي على اتجاهات لشقتي.

على الشاشة، أرى أن چوليا توقفت عن الطرق وتقهقرت مسافة ذراعٍ، لقد استسلمت، وسترحل. تعبث بشيء ما في حجرها ثم بدأ هاتفي الخلوي يرن، أبحث بسرعة عن زر كتم الصوت لإسكاته، لكن الأوان كان قد فات، إنها تعرف بالفعل أنني في المنزل.

جُنَّ جنون چوليا وصرخت عبر بابي.

- لينيت، توقفي عن حركاتك الغريبة، هذا مهم!

أتخشَّب مكاني وكذلك فعل فاين، لا نصدر صوتًا، ولا نتنفس، تسطع إنذاراتٌ عديدة على شاشتي بينما تتصل هذه الخائنة بهاتفي مرارًا وتكرارًا، وفي المرة الثامنة ترحل.

أطلقت سراح أنفاسي المحتبسة، وكذلك فعل فاين ثم ينظر أحدنا إلى الآخر، ماذا الآن؟ لقد تم انتهاك أمان موقعنا، هل نبقى أم نهرب؟ إذا كانت جوليا قد أتت إلى هنا لا بد من أن أفترض أن شخصًا ما تبعها، وهو الآن يراقب شقتي، لكن لا يمكنني المغادرة، هذا هو مكاني الآمن الوحيد.

لديَّ ما يكفي من الطعام لمدة ثلاثة أسابيع، لستُ مضطرة إلى فتح الستائر، سأغلق هاتفي وأختبئ، لا أحد يستطيع الدخول.

ستكونين آمنة بما فيه الكفاية، دعي الآخرين يتعاملون مع "حالة الطوارئ" التي تكلمت عنها مع جوليا، يجب أن أبقى على قيد الحياة.

خلال فيلم "الحب في الواقع"، كان هناك طرقٌ آخر على بابي، أخفض مستوى الصوت، وأشغل شاشتي وأستدعي صورة الكاميرا السفلى، وكلي أمل أن تتركني جوليا وشأني. تتسمر يدي الممسكة ببندقيتي، إنها جوليا بالفعل، بجانبها يجلس الشبح في ردائه الأسود وقناعه أبيض، يسدد سكينه إلى حلقها.

هذا ليس حقيقيًّا، إنه مجرد فيلمٍ، لا بد أنني ما زلت على نيتفليكس ونقرت عن طريق الخطأ لقطة ذبح في أحد أفلام جوليا. هذه الفتاة التي تظهر على الشاشة تلعب دور جوليا بتمكُّنٍ عالٍ في تجسيد الخوف، عيناها الواسعتان، فمها المفتوح، وصدرها الذي يعلو ويهبط من فرط الإثارة.

وأنا أفعل مثلها.

إنه فيلم، هذا كل شيء، أنا أشاهد فيلمًا، لأنه لا يمكن أن يكون حقيقيًّا. لقد اتخذت كل الاحتياطات، أنا حريصة، لا أخاطر، ثم يحوِّل الشبح عينيه السوداوين إلى الكاميرا، ويرفع ورقة طباعة، مكتوبًا عليها بقلم ماركر أسود "افتحي الباب، وإلا ستموت يا لينيت".

لدينا اتفاقٌ، غير منطوق، لكنني أعلم أنه موجود، بنفس الطريقة التي علمت بها أن والديَّ أحبَّاني، وأن شقتي هي أماني وفاين هو أقرب أصدقائي. الاتفاق يقول: عندما تأتي الوحوش، نساعد بعضنا، بغض النظر هو مسخ أيٍّ منَّا، بغض النظر عما يجب أن نفعله.

هذا ما يحدث عندما تكونين فتاة أخيرة، تصير جلسة المجموعة لقاء شهريًّا يذكِّرنا بالاتفاق.

لم أكن أعتقد أن جوليا ستكون أول من تدفع ثمن شهرتها، أحكم قبضتي على سلاحي ذي الثمانية والثلاثين عيارًا، أتأكد من رفع ذراع الأمان،

ثم أضغط الزر الذي يفتح بابي الأمامي وأنتظر دخول المسخ.

***



الفيلم الذي يسمى "الفتاة الأخيرة" هو مجرد مطحنة لحم دموية يستخدمه المنتجون والاستديو ليغذوا المنحرفين جنسياً بما يُشبع رغباتهم المريضة. لكن لا أحد يقول أنها تحكي مآسي حقيقية عن نسوة حقيقيات عذبهن مسوخ آدمية ومثلوا بجثث أحبائهم أمامهن. ولو ذكر أحد هذا الأمر لقيل عنه أنه هادم للمرح، هذا ما قيل عني على الأقل.

النسوة نفسهن يبقين صامتات دون التعليق على مشاركتهن رغماً عنهن فيما يحدث. ولو أصبح أحد المعجبين مزعجاً أكثر من اللازم، لتم تحذيره بهدايا تذكارية تخلد ذكرى جريمته المفضلة، والتي ترقت لتوها إلى مصاف أخبار المشاهير.

وصفها بـ "منحرفة ومريضة" لا يفي مثل هذه الأفلام حقها.

***

ينطلق الجرس الذي يعلن تحرر مزلاج باب شقتي، أتخذ وضع إطلاق النار الذي كنت أتدرب عليه كل ليلة، الوضع الذي يعني أن كل ما يمكنه أن يحدث خطأ قد حدث، بعد أن أصبحت المعركة داخل شقتي. أصوِّب الفوهة إلى ارتفاعٍ محسوبٍ، فوق رأس چوليا حيث أعتقد أن جذع الشبح سيكون. ذراعاي ترتجفان، معصماي ضعيفان وأصابعي مخدرة، لا أستطيع معرفة ما إذا كانت سبابتي على الزناد أم بعيدة عن الزناد، يمنعني ذعري من أن أحوِّل عيني عن الباب للتحقق.

القفص سيكون منطقة تصويبي، لا يمكنني القلق بشأن خطتي الاحتياطية الآن، ولا أستطيع التفكير فيما سيحدث للرصاصات التي تخترق الجدران الأمامية للشقة ثم عبر الردهة.

أشعر بالحرج.

أنا ملتزمة بدوري أكثر من اللازم، بصورة مبالغة، فما أفعله لا يبدو لي صوابًا. أنا لم أصوب مسدسًا إلى إنسان في حياتي قطُّ. هذا شيء لا تفعلينه بسهولة، ليس في المدينة، وبالأخص ليس في منزلي، لكن الذعر يمنعني أن من أخفض ذراعيَّ المتيبستين. أقف كالحمقاء، ممسكة بسلاحي كأنني أحد الأشقياء العتاة، كأن عالمي لا ينهار.

يدفع كرسي چوليا المتحرك الباب ليفتحه، وتدخل القفص. تنقبض عضلاتي انقباضًا غير ملحوظٍ، لكن لا أطلق النار. أنا بحاجة إلى أخذ بعض الأنفاس العميقة قبل أن أفقد الوعي. الشبكة السميكة لا تسمح لي برؤية وجه چوليا، لكنني أعرف بالضبط كيف تشعر، لقد شعرت به من قبل. لا يمكنك تصور إلى أي مدى يمكن الخوف أن يتمكن من الإنسان قبل أن تمر بما مررنا به.

هناك رنينٌ عالٍ في أذني، القفص نفسه في مركز رؤيتي لكن كل ما حوله مغطى بالضباب الرمادي.

سأحميك، أطمئن فاين في ذهني، هو لا يستطيع تخطي القفص، لكني لا أعرف ما إذا كنت أتحدث مع فاين أم مع نفسي.

الشبح يدخل خلف جوليا، لا أفكر للحظة وأضغط الزناد، حينها عرفت إجابة سؤالي: لم يكن إصبعي على الزناد. أتصبَّبُ عرقًا، فينزلق إصبعي وأخفق في إطلاق النار. أقرفص بسرعة وأمسك بمسدسي الزلق بأطراف أصابعي قبل أن يلمس الأرض، لا أكترث بالوقوف أو إحكام قبضتي، ويجد إصبعي الزناد.

"لينيت! لينيت!" تصرخ جوليا.

سوف أنقذك وأنقذ نفسي يا فاين.

الشبح ينتزع قناعه، تصرُّف غريب، لكني لن أتوقف حتى أكون في أمانٍ.

"لينيت! توقفي!" تصرخ جوليا.

أضغط الزناد.

يطعنني الصوت في طبلتيْ أذني، وتمتلئ الغرفة بالدخان، يرتد رسغي إلى الخلف لألكم نفسي في وجهي وأتذوق طعم المعدن على أسناني، فجأة أجد نفسي جالسة على الأرض.

صاح صوت رجلٍ مكتوم: "لقد بلت على نفسي".

"لينيت! إنه راسل، إنه راسل ثورن!".

أقف مرة أخرى، مسدسي في يدي اليسرى، أقوم بتحويله إلى الاتجاه الصحيح.

صرخت جوليا مرة أخرى "لينيت، بحق المسيح، لا تطلقي النار، لا تطلقي النار، ما هي كلمتك الآمنة؟ بحق المسيح".

أرفع مسدسي مرة أخرى، الشبح عالق في ثيابه السوداء، يحاول فتح الباب للخارج إلى الردهة، لكنه عالق بين الباب وكرسي جوليا.

"ساعديني!" يصرخ في جوليا، ساعديني ساعديني!".

تعثر فوهة سلاحي على منتصف صدره.

أعرف هذا الاسم.

"لينيت، إنه راسل ثورن، لقد قام معك بلقاء حواري من قبل!!" هكذا تصيح جوليا.

"راسل ثورن"، هكذا كررت، لكن في الغالب كنت أتساءل ما الذي أوقف رصاصتي، لماذا لم يمت الشبح؟ ولماذا الشبح هو راسل ثورن؟.

أضغط الزناد مرة أخرى.

يهتز القفص ولكن هذه المرة أحتفظ بتوازني، هذه المرة أشعر فقط أني كسرت معصمي.

"توقفي عن إطلاق النار علينا!" هكذا صدت صرخات راسل ثورن.

خلع قناعه، وأرى لحيته البنية، يصعد فوق جوليا في كرسيها المتحرك، ليدخل القفص، حيث تتلاحم الأذرع والسيقان.

"لم تكن فكرتي!" تصرخ جوليا، "لكنكِ لم تفتحي الباب لي".

أشعر بالتعب الشديد، لساني ثقيلٌ، بينما شعرت أن جفوني قد صُبَّت من الرصاص. الغرفة معتمة بسبب دخان السلاح، الذي يحرق عيني ويجعلني أشعر بالنعاس.

تقول جوليا: "فتحت مظروفك، لأننا يجب أن نتحدث".

لقد عشت هنا بهدوءٍ لفترة طويلة والآن أطلقت النار مرتين، وفي غضون خمس دقائق، ستأتي الشرطة، وسيدخل هذه الشقة عددٌ من الناس في النصف ساعة التالية أكثر مما فعلوا طيلة ست عشرة سنة.

لا أشعر بوجهي، قمت بإدخال الرمز في لوحة المفاتيح لتنفتح الأقفال، تتحرك جوليا بكرسيها إلى الداخل.

قالت جوليا بصوتٍ مرتعشٍ: "أنت بحاجة إلى أن تأتي بمنشفة لراسل بعد أن بال على نفسه، لا أصدق أنك أطلقت النار عليَّ، اللعنة، سأعاني من نوبة قلبية".

"هذا لن يدخل"، قلت مشيرة إلى قناع الشبح وردائه، وأنا ما زلت أمسك بالمسدس، يتخلص راسل من ردائه كأنه مشتعلٌ.

"في الصالة بالخارج"، هكذا أمرت.

ينكب كي ينزع عنه الرداء، ويلقي به في الخارج ويصفق الباب. فاين لا يحب هذا، فهو يفضِّل أن نكون نحن الاثنين فقط، لا يريد غرباء هنا.

قلت لفاين: "لقد فات الأوان".

"ماذا؟" سألت جوليا، وهي تضع إحدى يديها على صدرها.

ينظر راسل إليَّ كأنني مجنونة ويقيس المسافة إلى الباب. أتقدم لأغلق باب القفص، فتنغلق الأقفال، ينتفض راسل وعندما أترك القفص أجده جالسًا على مقعدي.

"اجلس على جهاز المشي، إن سروالك مبتلٌ" هكذا أقول له.

أرى لون وجهه يتحوَّل إلى الأحمر أسفل لحيته لكنه ينفذ الأمر، يدقق في كل شيء في آنٍ واحدٍ. عيناه اللزجتان تزحفان على الحوائط،

الكمبيوتر، على شاشته، يدوِّن الملاحظات داخل رأسه، يألف جملًا عني تحكم عليَّ:

نبذة عني (غرفة نوم واحدة بسيطة بجدران ذات لون أصفر صناعي، الستائر مغلقة بإحكامٍ كما لو أنها تخشى ضوء الشمس بقدر ما تخشى الرجل الذي أساء إليها قبلها بسنواتٍ)، يختلق نظريات عني (امرأة محاصرة داخل شقتها، تقضي عقوبة مثل الرجل الذي...).

يتظاهر أننا لم نكن نتحدث الأسبوع الماضي.

أفحص قفصي، هناك نوعان من الإنبعاجات المتحرقة، الرجل الذي بناها أكد لي أن رصاصة من عيار 0.38 لن تواجه مشكلة في الاختراق لكنه إما كان كاذبًا وإما غبيًّا؛ كم وضعت من خطط أخرى بناء على معلومات خاطئة؟

"واو"، هكذا تقول چوليا، وهي تحاول أن تبدو شجاعة وتضع إصبعها المرتعشة على أحد الخدوش، "لقد أطلقتِ النار علينا حقًّا".

"كان من المفترض أن تخترق الشبكة"، كان ردي.

"حسنًا، أنا سعيد حقًّا أن ذلك لم يحدث"، هكذا يعلق راسل من مجلسه على جهاز المشي.مكتبة سُر مَن قرأ

"لم يكن من المفترض أن تفتحي رسالتي إلا إذا لم أبعث إليكِ برسالة الوصول"، هكذا قلتُ لچوليا التي أسرعت بالرد: "كان أمرًا عاجلًا".

- هذا انتهاك كامل لخصوصيتي.

- في المجموعة هناك من يقوم بتأليف كتابٍ، وقد علم ابن شقيق فولكر بذلك الأمر.

فجأة، أصبح صوتي أخنف.

"لماذا أتيتِ إلى هنا؟" أغمغم.

يطرق أحدهم بابي.

"ابتعد!" أصرخ فيه.

صاحت امرأة بصوتٍ عالٍ: "سوف أتصل بالشرطة".

أتحقق من الكاميرا الخاصة بي، إنها الممثلة التي تعيش في نهاية الممر، تقف في بنطالٍ رياضي وحذاء عدو مفكوك الرباط.

أصرخ فيها: "نحن نتدرب على مشهدٍ".

نشاهدها جميعًا على الشاشة وهي تمشي عائدة إلى شقتها.

"لماذا قدمتِ؟" أكرر سؤالي لجوليا.

"لأنني أعرف أن هيذر هي من تؤلف هذا الكتاب عنَّا، أحتاج إلى مساعدتك في العثور عليها".

ينظر إليَّ راسل من مكانه على الأرض، مستعيدًا ثقته بنفسه، جوليا تريد إجابات. الرجل الذي قتل (أدريان) يعرف أن شخصًا ما في مجموعتنا يؤلف كتابًا، هل تعتقد جوليا أن هيذر هي من تكتبه حقًّا؟

"أحتاج إلى دقيقة لأفكر، أريدكما أن تصمتا لمدة دقيقة" هكذا قلت لهما.

كان قاتل جوليا هو الشبح، ذلك الذي ارتدى الجلباب الأسود وقناع عيد الهالوين لكن في النهاية اتضح أنه صديقها، مقلب مرعب يريد به أن تكون فتاته هي "فتاة أخيرة" في سنته النهائية بالمدرسة الثانوية، شارك زي الشبح مع أفضل أصدقائه وشقُّوا معًا طريقهم في أجساد الطلاب الخريجين، بالنسبة إليهم، كل هؤلاء القتلى من الفتيات كانوا جزءًا من نكتة واحدة كبيرة.

لقد كانوا أطفالًا أذكياء، حصلوا على درجاتٍ جيدة في اختبار "السات" ومستقبلهم مضمون في جامعة ما، أطفالًا لم يأخذوا أي شيء على محمل الجد لأنهم افترضوا أنهم أذكى من الآخرين، الشيء الوحيد الذي لم يفكروا فيه أنه إذا كانت چوليا ستكون "فتاة أخيرة" فعليها أن تقتلهم.

اتضح أن چوليا لم يكن لديها مشكلة في ذلك، قالت إن أسوأ شيء كان مزاحهم، بغض النظر عن عدد المرات التي أطلقت فيها النار على صديقها ظلَّ يلقي نكاته الغبية.

كانت أمريكا قد فقدت شغفها بالفتيات الأخيرات في نهاية التسعينيات، ولكن عندما دخلت چوليا الجامعة، وخرج الجزء الجديد من فيلمها تجدد شغف أمريكا.

نحن نسميه الجزء الجديد لأن القاتل دومًا يعود إلى فتاته الأخيرة، بصورة ما. أحد زملاء دراستها المتعطشين إلى خمس عشرة دقيقة من الشهرة، ارتدى زي الشبح وقتل خمسة أشخاصٍ، وأُعتقل وحُكِم عليه بعقوبة الإعدام وخُفِّفَت إلى المؤبد، وبهذا فقد جعل من چوليا نجمة، فالكل يعشق عودة البطلة.

كانت الطريقة التي أوقفت بها الشبح الثاني هي بدفعه من النافذة لإنقاذ حياة زميلتها في السكن، أصيبت بكسرٍ جزئي في إحدى فقرات عمودها الفقري العلوية، ومنذ ذلك الحين، وهي على كرسي متحرك مع إمكانية طفيفة لحركة الجزء العلوي من ساقيها، وقد أغفلوا هذا الجزء في فيلمها عندما أعطوا دورها لراقصة باليه صحيحة الجسم بأعين واسعة، واتضح أنها كسرت ظهرها من أجل لا شيء، فقد ماتت رفيقتها

في الطريق إلى المستشفى؛ هكذا هي الحياة، دائمًا ما تسحقك عندما تكون في أضعف حالاتك.

تمَّت ترقية إخصائي العلاج الطبيعي الخاص بجوليا إلى زوجٍ، وأقنعها بالظهور في البرامج الحوارية. أعرف كيف يبدو الأمر، لا تريدين أن تغضبي أحدًا، وخاصة لو كان رجلًا، فتقولين نعم لأشياء لا تريدينها، تفعلين هذا لأنه لا توجد خارطة طريقٍ لمكان تواجدك، لا يوجد ما يرشدك سوى علامة تسطع في ذهنك بنور نيون تخبرك ألا تغضبي الرجال.

لم تعول دائرة البرنامج الحواري على مدى غضب جوليا، وهي تقول إنها لم تدرك ذلك أيضًا. كان أول ظهور لها مع سالي جيسي رفائيل حيث وصفتها بأنها مصدر إلهام. نظرت جوليا إلى عينيها مباشرة، وقالت، "إذن لماذا لا تلهمينهم هنا كي يضعوا بعض المنحدرات اللعينة لأصحاب الكراسي المتحركة". اتصل المنتج في منتصف العرض، وترك رسالة صوتية تقول إنهم آسفون جدًّا، لكن الحلقة قد تم حجزها لإد بيجلي جونيور وسيارته التي تعمل بالديزل الحيوي، ولم يُحجز ميعادٌ بديلٌ.

أدريان هي من جاءت بجوليا إلى المجموعة، ونحن تقريبًا لم نقبل بها لأن كل ما كانت تفعلته هو العراك، تشاجرت جوليا مع هيذر، وفي غضون عشر دقائق من مقابلتها، رغم أن الشجار مع هيذر مضيعة للوقت. في إحدى الجلسات قضت جوليا فيها خمس عشرة دقيقة كاملة في محاضرة لمارلين عن الإمبريالية الأمريكية، دعتها أدريان إلى قضاء عطلة نهاية الأسبوع في معسكر ريد ليك؛ بقيت جوليا لمدة أسبوع لم تقل ما حدث خلال ذلك الأسبوع، ولكن مهما كان ما فعلته أدريان معها، فقد نجح.

وعندما عادت دفنت نفسها في الكتب وحصلت على شهادة محاماة، ثم على ماجستير في الطب الرياضي، ثم أخذت دروسًا في الدفاع عن النفس، وتعلَّمت إطلاق النار وهي على كرسيها، ثم تعلمت الصمت، بقدر ما كان يمكنها أن تصمت.

اكتشفت أيضًا أن إخصائي العلاج الطبيعي السابق وزوجها الحالي قد اختلس كل أموالها. منع الطلاق من أن يزداد الأمر سوءًا، لكنها استغرقت بعض الوقت لإعادة ترميم حياتها. مرة كل عام، يقدم راي كارلتون -الشبح الثاني- استئنافًا، ومرة واحدة في السنة، يدحضه القاضي. تقوم جوليا بالعمل شبه القانوني الخاص بقضيتها وهو ما يسعد مكتب المدعي العام، أي مساعدة خارجية مجانية هي شيء جيد، وفي نفس الوقت تشعر جوليا بالرضا.

- لقد عرضت حياتي للخطر.

هكذا أخبرها فيعلق راسل: "إنها سكين بلاستيكية".

- هذه ليست القضية.

فتقول جوليا: "لدينا مشاكل أكبر من شكِّكِ المرضي هذا".

أكرر: "لقد عرضت سلامتي للخطر".

يقول راسل: "سيداتي، قبل أن يبدأ شجار القطط، ربما نستطيع إجراء مناقشة أكثر عقلانية".

موقفه الصلب لا يتماشى بتاتًا مع صوته الرفيع وبنطاله المبتل بين ساقيه.

"كيف عرفتي أن هناك من يؤلف كتابًا؟" أسأل جوليا.

يجيبني راسل: "لقد أخبرتها".

لا أجد كلماتٍ، مهما كان السيناريو الذي كنت جهزته، فقد ذهب الحوار لتوّه في اتجاه لا أفهمه، حقيبتي معلّقة من خطّاف بالقرب من القفص، يمكنني التقاطها والخروج من هنا في ثوانٍ.

تقول جوليا: "إنه كريستوف فولكر، هل رأيتِ الأخبار؟ هل سمعتِ ما فعله بأدريان؟".

لا أثق بنفسي كي أجيبها، لذا فقد أومأت برأسي قبل أن تستطرد هي: "هذه المدعوة ستيفاني فوجات، الناجية من المذبحة التي حدثت في مخيم ريد ليك بالأمس، أخبرت الشرطة أن كريستوف كان متقمصَ دور كاتي الثرثارة. طوال مطاردته لها كان يقول إن النساء هذا، والأمهات العازبات ذاك، يتحدث عن شهادة ميلاد أوباما، والجنسية المثلية، ومعسكرات الموت الفيدرالية. من الأشياء التي تتذكرها أنه أخبرها أنه تحدَّث إلى شخصٍ ما في مجموعتنا، وأنه كان يكتب كتابًا وسأله عن تفاصيل حول دعواه القضائية ضد أدريان".

يقول راسل: "مبدئيًا، هناك من يسرِّب معلومات منكن يا سيداتي، وهذا المجنون قد علم بذلك".

- إنها هيذر.

هكذا قالت جوليا التي لا تستخدم الكلمات التي يستخدمها معظم الناس كما أعتقد أو في رأيي، هي فقط تعبِّر عن رأيها كأنه حقيقة.

"هيذر لن تفعل ذلك"، هكذا أعقب فتبادرني جوليا:

"إنها لا تشعر بنفس الولاء الذي نشعر به، حاولت أن تؤلف كتابًا من قبل، لذلك نعلم أنها لا تعارض الفكرة، وهي دائمًا بحاجة إلى المال".

- لا يمكن أن تكون هيذر.

تعارضني جوليا: "بالطبع إنها هيذر، لقد عرجت على منزلها في الطريق، لكنها لم تعُد من الجلسة، من المحتمل أن تكون قد سمعت عن فولكر فهربت لأنها كانت تعلم أننا سنلقّنها درسًا".

- لكنكِ تعتقدين أنني مجنونة.

"ماذا؟" تسألني جوليا.

"في الجلسة قلتِ إنني السبب وراء تماسك المجموعة، وليس هيذر، قلتي إنني المجنونة، وجعلت من الأمر حدثًا كبيرًا".

"حسنًا"، قالتها جوليا وهي تجول ببصرها في أنحاء شقتي، "هذا لا يبدو كأنه نتاج عقلٍ سليمٍ".

يتدخل راسل: "لا أريد أن أكون وقحًا، لكن لم يكن لديَّ أي فكرة أنك بهذا الخبال".

"اخرس"، تهتف به جوليا، "لينيت، أنا آسفة إذا كنت قد جرحت مشاعرك وهززت ثقتك بي، لكن ما يحدث الآن هو أن هيذر تعد كتابًا، وهو ما يعرضنا جميعًا للخطر. أي كتابٍ عن مجموعتنا هو دليلٌ عمليٌّ لكل معجبٍ غير مستقر نفسيًّا لديه الرغبة في أن يجرب حظه مع من قتلت إلههم المختل".

"هيذر ليس لديها الصبر لتأليف كتاب"، هكذا أجيبها، "وهي أكثر أنانية من أن تقتسم الربح مع كاتبٍ خفي كي يساعدها في ذلك، الكتاب ليس مهمًّا، كيف حصل فولكر على عنوان أدريان؟".

تقول جوليا: "إنه مترصدٌ، أنتِ لا تفهمين، هل أحتاج حقًّا إلى شرح ما سيحدث إذا أصدرت هيذر كتابًا بعنوان مجموعة دعم الفتاة الأخيرة؟" لقد قضينا جميعًا الكثيرَ من الوقت تحت أنظار الجميع، لكنهم

لا يعرفون شيئًا عن المجموعة. أفكر في وحوشنا الآدمية وهم يتعفَّنون في السجن أو في انتظار الإعدام، أفكر في جماهيرهم المحتشدين بالخارج، في الصحافة التي تبدو كأنها قد تعطَّشت إلى دمائنا مرة أخرى بعد أن قُتلت إحدانا. أفكر فيما سيحدث إذا علموا أننا كنا نلتقي مرة في الشهر في قبو كنيسة في بيربانك.

"ما زلت لا أفهم سبب وجوده هنا"، أقول وأنا أومئ بذقني ناحية راسل فتجيبني چوليا: "اتصل بي بشأن ما قاله ذلك الطفل عن فولكر، سألني أيضًا عمَّا إذا كنت أعرف مكان إقامتك، لم أكن أعرف أنه سيتبعني إلى هنا".

"ولقد تمكَّنت من فتح بابك" قالها راسل متفاخرًا كما لو كان سرواله ليس ملطخًا ببوله"، وهذا إثبات أنني لست عديم الموارد، ستجدين أن التعاون معي سيكون مفيدًا".

"هل أخبرك بما قاله فولكر؟" أسأله، مصَّاص الدماء البغيض هذا قام بدور ذكر الناموس في حياتنا جميعًا، ولسنواتٍ، ربما لا يزال في إمكاني قلب هذا الموقف لصالحي، فبادرته: "كيف تعرف أنه لا يكذب عليك؟".

زفر راسل في إحباطٍ، ربما يتمنَّى لو كنَّا رجالًا، لأنه سيمكنه التواصل معنا كما يتواصل مع الكبار. يخطو إلى النافذة، ويتوقف بحركة دراماتيكية بجوار الستائر، في وضعية محامٍ يخاطب هيئة المحلفين، ويقول:

"لقد كنتن دومًا تقلِّلن من شأني، أقترح الآن أن نجدِّد روح التعاون بيننا".

ثم فتح ستائري لينظر إلى الشارع، أنا لا أفتح ستائري أبدًا؛ هذا يعطيهم هدفًا، عتبة النافذة تنوء بالغبار والعناكب الميتة.

"أغلقها"، أقولها له فيجيبني وهو ينظر إلى الشارع: "يبدو أن أحدهم اتصل بالشرطة"، ثم يسحب ستائري ليغلقها فيدفعني فيضان الضوء إلى التراجع إلى عمق الغرفة، وهو يقول: "لقد أصبح المربع السكني يعج برجال الشرطة".

"كاليفورنيا لديها عقيدة القلعة، إطلاق النار داخل منزلٍ شيء مبرر تمامًا".

هكذا أقول في نفس اللحظة التي سمعنا فيها زجاجًا ينكسر بلمسة معدنية، ثم يصبح ضجيج الشارع أعلى بعد أن ارتطم شيء ما بالجدار المقابل، يتطاير غبار أسمنتي في الهواء، ويهدر الرعد في الشارع بالخارج.

بوووم كراش.

وهذا واحدٌ آخر، ترتعش الستائر في يد راسل، ويدفع شيء ما جوليا إلى الخلف بكرسيها فترتطم رأسها بالأرض كأنها ثمرة جوز الهند فارغة. يندفع الهواء النقي من خلال فتحتين في نافذتي فأحدق إلى قطعة زجاجٍ معلقة لثانية قبل أن تنفصل وتقع على حافة النافذة، قبل أن تنفجر الشبابيك كلها.

بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش.

قلعتي أصبحت ساحة للرماية، تمزق شظايا الرصاص الستائر لتحيلها أسمالًا، ينثر الزجاج المكسور على الأرض، ويقشر الجبس من على الجدران.

ينتشر الغبار الأبيض الخانق في الهواء ويملأ حلقي. هذا قناص. ألمح وميض ماسورة خافتًا فوق عبر الشارع، أعلى منًّا؛ لديه زاوية رؤية

مثالية. لم أعمل حساب قناصٍّ، لم أعتقد أبدًا أنهم سيحاولون قتلي من بعيدٍ.

يبدو الصوت كأن العالم يمزِّق نفسه إلى نصفين من دون توقف، ينكمش راسل على الأرض، كتفاه محنيَّتان، ويداه فوق رأسه.

ثم يسكت كل شيء.

"إنهم يطلقون النار!" يصرخ راسل ليشق الصمت المفاجئ، "إنهم يطلقون النار علينا!".

تنطلق شحنة طاقة في جسدي، ألقي سلاحي وأجلس متأهبة لثوانٍ قبل أن أركض عبر الغرفة، متجهة إلى فاين، نباتي العزيز، أمسكتك، قلتها في ذهني وأنا ألتقطه، لن أتركك.

ثم ألتفتُ إلى حيث ترقد جوليا عالقة في كرسيها بلا حراكٍ، أقوم بخطوة طويلة تجاهها فينفجر العالم مرة أخرى.

بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش.

"لا! لا! لا!" يصرخ راسل، "أنقذوني!".

أحاول الاقتراب من جوليا لكن الجدار ينفجر بجواري، ويغطي غبار الجبس عينيَّ. أعكس اتجاهي وأثبِّت قدمي في الأرض كي أتوازن إلى الخلف وأنزل بقوة على وركٍ واحدة، يطير فاين مني ليسقط على الأرض تاركًا خطًّا من الطين وراءه.

"فاين!" أصرخ قبل أن يستقر هو في الزاوية البعيدة، ينتفض راسل من على الأرض وينطلق كالقذيفة إلى الباب الأمامي، ساحقًا إحدى يدي في طريقه.

بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش.

يطير راسل بجانبه ويضرب الجدار وهو يعرج، ثم يسقط على الأرض. أقف وأحاول مرة أخرى الوصول إلى جوليا، لكن إطلاق النار يعيدني إلى مكاني، يجعل عقلي يلتهب. ومن دون تفكيرٍ غيَّرت الاتجاه، التقطتُ حقيبة الهروب، ثم أُدخلت الرمز إلى لوحة المفاتيح لأفتح الأقفال، كل هذا وأنا متوقعة رصاصة تمزق ظهري في أي لحظة، كل شيء قضيت سنوات خائفة منه يحدث كله في وقتٍ واحدٍ؛ ندباتي القديمة تؤلمني كأنها طازجة، كل ما أراه هو باب القاعة، لا أبدو مريضة بالبارانويا الآن.

بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش بوووم كراش.

القفص يهتز حولي.

بوووم كراش بوووم كراش.

أنا مدينة بالشكر للرجل الذي باعني شبكة معيبة، أفتح باب الردهة على مصراعيه، وأركض.

أنا آسفة، أفكر في جوليا وفاين، لقد تخليت عنهما.

لينيت! هذه صرخات فاين، أو ربما جوليا: لا تتركيني!

وها أنا ذا في الردهة، تاركة منزلي ورائي، تاركة أعز أصدقائي ورائي، تاركة جوليا؛ اتضح أنه عندما اشتد الوطيس أنقذت نفسي فقط.

***

لقد سأم المشاهدون من أفلام الشيطان في السبعينات وصاروا مستعدين للمرحلة الجديدة من الرعب، وهنا جاء فيلم "بانهاندل ميت هوك Panhandle Meat Hook". إسم صريح ومكشوف أزيد من اللازم لكن هذه النوعية لم تكن قد استنفذت حيلها بعد ولذلك فقد كان وقع الاسم على الناس قوياً.

انتقل الاسم كالنار في الهشيم من فم لآخر رغم وجود الأفلام العملاقة مثل "روكي" و"مون والكر". ثم جاء "بانهالندل" و"آليان - Alien" ليغيروا وجه السينما تماماً في صيف 1979. الفرق الوحيد أن الأول كلف 140000 دولار بينما كلف الثاني عشرة ملايين.

لم يستخدم المنتجين الاسم الحقيقي للضحية (مارلين توريس) فقط بل الأسماء الحقيقية للقتلة أيضاً وهذا أضاف مصداقية وواقعية للعنف الصادم الذي عرضه الفيلم.

شَوَّه فيلم "بانهاندل ميت هوك" مشاعر الأمريكان وأصابها في مقتل حين صور تلك الحقيقة وتلك المشاهد الدامية شديدة العنف. وكما قال هانسن -الأب الروحي لهذه الجرائم- وهو يحشو ماكينة فرم اللحوم بجسد الفتاة: "هذا هو الغذاء الذي يستحقه الرجال – غذاء للروح والجسد"

***

انعطفت يسارًا، وتجاوزت باب شقة مفتوحًا تلو الآخر، أرى في كل فتحة ضيقة منهم عمودًا من الوجوه المذعورة بعضها فوق بعض، يمنعهم الخوف من تقديم المساعدة، ويمنعهم الفضول من البقاء في الداخل. اقتحمت الباب في نهاية الردهة ثم نزلت الدرج، وأنا أدعو أن يكون رجال الشرطة في المصعد في طريقهم إلينا. ثَبَّتُّ حزام حقيبتي فوق كتفي وأنا أركض أسرع من أن أشعر بالذنب حيال فاين، أسرع من أن أفكر في چوليا. أقفز فوق السلالم الخرسانية، خمسة درجاتٍ في كل مرة، أسحب مكشطة الدهان البلاستيكية من جيب حقيبتي الجانبي.

سأعود من أجلك يا فاين.

أعدك.

لم يكن لديَّ خيارٌ.

سوف تفهم چوليا.

في أسفل الدرج يوجد باب الطوارئ المؤدي إلى الخارج بقضيب دفعٍ عليه علامة حمراء تقول: اضغط للفتح، سوف ينطلق جهاز الإنذار. ينكشف لسان القفل، ومثلما تدربتُ مئات المرات، أدخل مكشطة الطلاء بين قضيب الدفع وإطار الباب كي لا ينطلق الإنذار؛ ينفتح الباب بسهولة وأنزلق إلى الخارج.

الجو رمادي، السماء مليئة بالغيوم البرتقالية مع غروب الشمس فوق التلال. يواجه الجزء الخلفي من المبنى سياجًا من السلاسل يفصله عن مجموعة متطابقة من شقق صندوقية. أرمي مكشطة الطلاء وأركض فوق أعقاب السجائر وعلب البيرة المنسحقة، ثم إلى الفتحة المنخفضة في السياج الذي صنعتها منذ فترة طويلة وأتفقدها مرة كل شهر.

انزلقتُ على بطني إلى موقف السيارات التالي، في أثناء هرولتي فوق الأسفلت القديم أقوم بارتداء حقيبة الوسط التي كانت ملصوقة بشريطٍ في جانب حقيبتي، مطمئنة إلى وجود سلاحي الناري بالداخل، ليس لديه قوة ردعٍ كبيرة، ولكن ليس للمتسولين أن يشترطوا.

لا أفكر كثيرًا، وتركت الأمر للبرنامج الذي وضعته، أبطأتُ عندما وصلت إلى الشارع، مبتعدة عن شقتي، من دون أن أنظر مرة واحدة ورائي. يمكنني سماع صرخات فاين تتلاشى داخل رأسي، لقد تركته.

أنا آسفة.

تركت جوليا.

لكنني أتبع البرنامج بحذافيره.

أبتعد عن مبناي، وأشق طريقي إلى مرآب السيارات، تمزق صفارة الإنذار هدوء الشفق بينما يتحوَّل بيتي إلى مغناطيس يجتذب جميع سيارات الطوارئ المتاحة. تمرُّ سيارة أخرى بجواري وأستطيع سماع تواصلهم من خلال جهاز الإرسال "الدوبلر"، هذه المدينة فخٌّ؛ لا أستطيع التنفس.

يستغرق الوصول إلى مرآب السيارات خمس عشرة دقيقة بالضبط. أصعد بئر السلم "أ" ممسكة بمفتاح سيارتي، وأتجه إلى سيارة الهروب الخاصة بي، في المستوى الثالث.

قررت منذ فترة طويلة أنني لا أستطيع المخاطرة بوجود عنوان منزلي في شبكة إدارة تسيير المركبات، لكن لديَّ بطاقتيْ تعريف شخصية مزوَّرتين تنفعان في حالة الطوارئ. وعلى مدى السنوات الخمس الماضية، استأجرت مكانًا في هذا المرآب لسيارة ماركة شيفروليه لومينا

اشتريتها مقابل ثمانمائة دولار. أتأكد مرة كل شهر من أنها لا تزال تعمل، أضع معداتٍ للتخييم في صندوقها، والخطة هي القيادة إلى آلباسو، ثم أختفي. إنها دولة كبيرة ويمكنني التحرك بسرعة.

أول شيء أراه عندما أنزل من الدرج هو سيارتي رابضة في الطرف الآخر من المكان، أضع يدي فوق سلاحي الناري داخل حقيبة الوسط، لكن في منتصف المسافة رأيت المشكلة: لقد قام شخصٌ ما بشقِّ جميع الإطارات الأربعة، ذهني يتحوَّل إلى اللون الأبيض من الخوف لكني أثق بالبرنامج ومن دون تردد أستدير وأهرول على الدرج "ب". أشعر بأعين تتلصص عليَّ.

أنا لا أؤمن بالمصادفات، بطريقة ما عرف أحدهم مكان سيارتي، وعبثوا بها، قطعوا عليَّ هذا الطريق للهروب.

لا أصرخ لأنهم ربما لا يزالون يراقبون المكان، تحاول رئتاي الانقباض من التوتر لكني أجبرهما على الامتلاء بالهواء كي لا تنتابني نوبة هلع. أمنع نفسي من الركض في الشارع وإطلاق النار على الأشخاص المريبين لأنني احتطت لهذا. لديَّ خطة بديلة لخطتي البديلة لأن واحدًا لا يعتبر شيئًا، بينما اثنان هما بمنزلة واحد، هكذا علمتني داني.

أجد معي رقم هاتف تاكسي خاص بمدينة لوس أنجلوس، أضغط لأقوم بالمكالمة، أقابل السيارة ذات اللونين الأسود والأصفر بجانب محل دونات في الزاوية وألتقط صورة لرخصته. يتحدث السائق عن عمله في القمصان في أثناء جلوسي مستندة إلى الباب الخلفي، حقيبة هروبي في حضني، وماسورة مسدسي ماركة سميث أند ويسون مسددة إلى ظهر مقعده. كيف عثروا على سيارتي؟ لا بد أنهم تتبَّعوني ذات ليلة. يجب أن يكونوا قد خططوا لكل هذا، وأنا الآن أحاول اللحاق بهم، مما

يعني أن كل شيء يسير وفق شروطهم، ولكن مخزن فان ناي الذاتي هو كارتي الرابح.

أنزل عند الزاوية وأدفع نقدًا، ثم أبطئ في سيري ضد حركة المرور إلى مستودع التخزين الضخم ذي اللون البيج. الخزائن في الطابق الأول. أُدخل رمزًا للدخول إلى المنشأة وأتوجه إلى A132. بالخزنة كيس من القماش الخشن يحتوي على ثلاثة آلاف دولار، ثلاث قطع ملابس للغيار، سلاح آخر وذخيرة، كارت ائتمان والمزيد من بطاقات التعريف الشخصية المزيفة. الخطة هي التوجه إلى محطة الاتحاد ومنها إلى أي مكان محلي، اختاره عشوائيًا؛ لديَّ ما يكفي من المال، وعندما تستقر الأمور يمكنني التفكير في خطوتي التالية.

عذري الوحيد هو أن داخل جمجمتي سربًا من النحل، لذلك لم ألاحظ أن ذلك ليس قفلي حتى أصبحت في منتصف المسافة إليه، فأنا قد استخدمت قفلًا ذهبيًا من نوعية يال متعددة الرموز، وهذا ماستر لوك فضي مقاوم للماء. أتجمد من الخوف حتى صارت ركبتي غير قادرة على الانحناء وأشعر كأن قدمي تنغرس في الخرسانة، أشعر بكاميرا المراقبة تخترق مؤخرة رقبتي، بشخص يراقبني من عمق القاعات المظلمة.

إنهم يعرفون، يعرفون كلًّا من طريقيْ الهروب، لا أستطيع الوثوق بأي شيء داخل خزانتي الآن. هويات التعريف لا تصلح، بطاقة الائتمان لا تصلح، وربما قاموا بوضع علامة على أموالي الورقية وعبثوا بذخيرتي. من الممكن أن يكونوا يراقبونني الآن.

انتزعت قدمي من الأرض وأجبرت ساقيَّ الثقيلتين على الالتفاف لأنهم لو كانوا قد علموا بهذا المسار فربما لا يزالون هنا، في انتظاري. أمد الخُطى بأسرع ما تمكنني به قدمي المخدرة لأنني أشعر بشخصٍ

يرتدي قلنسوة يسير ورائي، يدفعني إلى الاتجاه إلى الخزائن، بينما أشعر كأن هناك سكين الجزار يتحرك مثل إبرة ماكينة الخياطة داخل وخارج كليتي، لكنني أجد الغرفة التي دلفت إليها لتوي فارغة.

أنا سلحفاة من دون قوقعتها، بلا حماية، لحم نيِّئ مكشوف للعالم. أنا جيفة ملقاة على جانب طريقٍ بعد أن دهستها سيارة، هذا ما نعتتني به هيذر ذات مرة، لست حتى فتاة أخيرة حقيقية، مجرد شخصٍ تعثَّر في طريق المسخ.

لا تصلح أي خطة بعد الاتصال بالعدو، لكنني لم أتوقع أن تفشل كل خططي بهذه السرعة، وهذه القوة. فشلت كلا طريقتيَّ للهروب إلى خارج المدينة. وثقت بجوليا وأعطيتها عنواني، لكنها خذلتني. ظننتُ أنه يمكنني أن أستغل راسل، ولم أنجح، ظننتُ أن قفصي سيؤدي دوره، وفشل. ظننتُ أنني سأحمي أصدقائي لكنني هربت وتركت جوليا تموت، وفشلت فشلت، فشلت.

أنا آسفة يا فاين.

وجدتُ نفسي على متن حافلة بربانك. انفصل الزمن عن حياتي، وأستعيد إدراكي بمحيطي برعشة. أفحص أحذية الجميع ثم أدرك أنه ليس لديَّ أي فكرة عن مكاني، فقط عندما كنت في أمس الحاجة إلى تركيزي، يخونني عقلي.

ضغطت زر الطوارئ، ونزلتُ أهرول إلى الشارع عكس حركة المرور، أحاول ألا أجري، أذوب وسط المارة، تسلل داخل حافلة خط أورانج وهي على وشك التحرك.

أجلس خلف شرطي، النوافذ إلى يساري، يدي مستندة إلى حقيبة الوسط، قبل أن أجبر عقلي على الإبطاء وترتيب الحقائق.

أطلق شخصٌ ما النار عليَّ.

كانوا يعرفون كلًّا من طريقيْ هروبي.

چوليا ماتت.

أشطب آخر نقطة، لا تقولي إن فتاة نهائية ماتت حتى ترين جسدها الهامد؛ لقد تعرضنا جميعًا للإصابات من قبل وواصلنا التقدم. إنها على قيد الحياة، لا بد أنها كذلك، لم أتركها لتموت، إنها على قيد الحياة، ثم أقوم بإضافة بندٍ إلى القائمة:

وهناك أناس في بيتي.

في هذه اللحظة، هناك أحذية عسكرية تخطو فوق أرضية بيتي، تركل فاين، تحطم أصيصه، تسحق جذوره، وتجول بالنظر إلى غرفتي، يجلسون أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بي، يبحثون عني. أربع خزائن ذخيرة وجثة راسل كافية لجذب انتباههم إلى هويتي، أحتاج إلى مساعدة.

ضغطتُ زر طلب النزول، وترجَّلتُ، لأرى على الفور أن الشوارع خاوية، وأدرك أنني ارتكبتُ خطأً. أنا مكشوفة للغاية هنا، أتخلص من هاتفي في سلة المهملات، وأتجه إلى محل ستاربكس لا يزال مفتوحًا، أدخل لأجلس بجوار الحمامات.

داخل حقيبتي، يوجد هاتفٌ خلوي يصلح للاستخدام مراتٍ قليلة، مشحونٌ بالكامل، وعليه جميع أرقام تليفونات معارفي؛ أفتحه وأجري مكالمتي.

"آلو"، تجيب بعد الرنة الثانية.

"دكتورة كارول، أنا لينيت، لقد هاجمني شخصٌ ما للتوِّ، أحتاج إلى مساعدتك".

تأخذ الأمر ببرودٍ أكثر مما كنت أتخيل.

"أين أنتِ؟" تسألني، "سآتي لاصطحابك".

"أخبريني عنوانك"، أقول لها، "أفضّل أن آتي أنا إليكِ".

"أفضّل عدم وجودك في منزلي هذه اللحظة، ليس وأنتِ في خطرٍ، من فضلك قدري موقفي"، هكذا تخبرني فأستطرد:

"لقد حاول شخصٌ ما أن يقتلني، لقد أطلقوا النار علينا جميعًا، أنا، وچوليا، ومراسل صحفي".

- لينيت، أين الشرطة من كل هذا؟

قلت لها: "لا أعرف، لقد هربت، لقد كان... كانوا يطلقون النار عليَّ، من خلال نافذتي".

- أنتِ متأكدة من أنه لم يكن مجرد أطفال يلعبون؟ أو ألعاب نارية؟

قلت: "لقد أُصيبت چوليا".

هنا تقول الدكتورة كارول: "يا إلهي"، وهذه هي المرة الأولى التي تبدو فيها أكثر آدمية، وليس مجرد طبيبة محترفة.

- هل إصابتها بالغة؟

- لا أعرف، لقد هربت.

"هربتي؟" هناك حكم عليَّ في صوتها.

"بعد أن اتصلت بالشرطة"، أجيبها كاذبة، ثم أزيد، "لقد تأكدت من أن چوليا بخيرٍ أولًا، فأنا لن أتركها تنزف على الأرض".

إلا أنني بالفعل تركتها تنزف على الأرض.

"إلى أي مستشفى أخذوها إليها؟" تسأل كارول.

قلت: "كانوا يطلقون النار عليَّ، لم أنتظر كي أتحدث إلى المسعفين، لقد قمت بالتصرف السليم".

توافقني على ذلك قائلة: "نعم، لقد قمتِ بالتصرف السليم، قابليني في مكتبي، أعطيني نصف ساعة للوصول إلى هناك".

"مستحيل"، أقول وأنا أنظر إلى خريطة الحافلة، "هذا ليس جزءًا من نمطكِ المعتاد".

أعطيتها عنوانًا، وأخبرتها أن تقابلني هناك في غضون خمسين دقيقة. أنهينا المكالمة، وأستغرق دقيقة لتفقد حقيبتي. أصب كل تركيزي في التأكد من وجود ذخيرة في سلاحي الناري، أتأكد من وجود فاتح الصناديق الحاد في جيبي، أخرج كارنيه اشتراك الحافلة، ولهذا لم ألاحظ الشكل الذي يقترب من طاولتي.

كان هذا هو المدير الذي قال: "سنغلق في غضون خمس دقائق". كدت أن أطعنه بفاتح الصناديق، لكني أومأت برأسي واعتذرتُ، أتصرف بطريقة عادية لا تعلق بالذهن، وخرجت من الباب.

أبدأ نظامي المعتاد بتبديل الحافلات في طريق عودتي، مع العلم أنه الآن، بلا شكٍّ، هناك من يحاول متابعتي، هذا يجعل الأمر أسهل لملاحظته.

***

أنا في ستاربكس في تقاطع مونتانا وشارع سبعة في سانتا مونيكا، أشرب قنينة الماء الثانية (فالذعر يسبِّب الجفاف). فقط عندما يسيطر الليل تمامًا أرى السيارة الأودي السوداء الخاصة بالدكتورة كارول تتهادى أمامي. تأخذ المنعطف ببطءٍ، وهي تبحث عني في الجانب الآخر من الشارع، في اللحظة التي أفتح فيها الباب الأمامي وأركب بجوارها.

- تحركي.

- يا الهي، لقد أفزعتيني.

تقول قبل أن تنفذ الأمر، وبدأنا نتجول في متاهة من الضواحي.

"هل أنتِ بخيرٍ؟" تسألني، لكني لا أجيب، "لينيت؟".

أتأكد من عدم وجود مفاجآت في الكنبة الخلفية، ثم أقول لها، "أوصدي الأبواب".

أغلقت الأقفال، وارتديتُ أنا حزام الأمان قبل أن أقول، "الطريق السريع أفضل، التزمي بالشوارع الكبيرة التي تخلو من إشارات المرور ولا تبطئي من سرعتك عند إشارات التوقف، إذا كان في إمكانك ذلك".

- إلى أين تريدين الذهاب؟

أجيبها: "أريد العودة إلى بيتي"، تعلق الكلمة في حلقي لكني ابتلعتُها قبل أن أستطرد، "لكنني لا أستطيع، لذا استمري في التحرك".

"ماذا حدث؟" تسألني.

في طريقنا إلى شارع 10، أخبرها بكل شيء، وعندما أنتهي تظل صامتة دقيقة قبل أن تقول: "سأتصل بالمستشفيات، وأرى ما إذا كان

في إمكاني معرفة ما حدث لچوليا، هل يمكن أن يكون بيلي ووكر؟ هل تعرفين أين هو؟".

كان سماع اسمه مثل لعق منفضة سجائر.

أقول "سجن يونتاس، الحبس الانفرادي، أتحقق من ذلك كل أسبوع".

- ماذا عن أحد المعجبين به؟

أهز رأسي وأقول: "إنها ليست مشكلتي وحدي، هناك أدريان هذا الصباح، ثم أنا، وچوليا بعد ظهر اليوم، هناك من يسعى إلى القضاء على الفتيات الأخيرات".

"دعينا لا ننتقل إلى الاستنتاجات"، هكذا تقول كارول فأعلِّق عليها: "لقد أخبرتكم جميعًا من قبل، هل نحن لم نعُد بحاجة إلى اجتماعاتٍ بعد الآن؟ هناك دومًا من يريد قتلنا، لن ينتهي الأمر أبدًا".

تقول كارول: "يجب أن نذهب إلى الشرطة".

"مستحيل، جاريت بي كانون لم يفعل لي شيئًا من قبل، ورفاقه لن يفعلوا لي شيئًا الآن باستثناء حبسي في زنزانة وجعلي هدفًا ساكنًا سهل الوصول إليه".

كارول: "أعلم أن الثقة بالقانون هي خطوة مخيفة بالنسبة إليك، لكنهم الأشخاص المناسبون للتعامل مع هذا الأمر، حاول أحدهم قتلك يا لينيت، وهناك من أطلق النار على چوليا؛ هذا أمر في غاية الخطورة".

"أملك الكثير من البنادق" أقول من بين أسناني، "هناك جثة في دولابي، بينما قام أحدُهم برشق مبناي برصاصات بندقية آلية، الشرطة ستتجه إلى تفسيرٍ واحدٍ: إرهابية، إرهابية، أو إرهابية".

"سأتحدث معهم"، هكذا تعلق فأستطرد: "عندما يتوقفون عن المبالغة في رد الفعل، ويبدؤون في الاستماع سيكون الأوان قد فات، ألم تدركي بعد؟ كل ما يحتاج إليه الأمر هو خطأ واحدٌ، وبعدها أكون في عداد الموتى. لقد كانوا يراقبونني منذ شهورٍ، كانوا يعرفون أين سأذهب؟ السبب الوحيد في أنني لست ميتة الآن هو أنني كنت سريعة جدًّا".

أسحب ساقي على المقعد، وأحتضن ركبتيَّ ثم أجذب الشعر فوق جبهتي بقوة حتى أكاد أنتزعه من جذوره وأنا أغمغم: "ميتة، ميتة، ميتة، ميتة".

أجفل حين تضع د. كارول يدها على ذراعي فأبعدها عني.

"إنهم في منزلي"، أقولها كارهة صوتي الذي صار أنينًا، أسند جبهتي إلى النافذة، وأبدأ في دق الزجاج بها ببطء.

- هل لديك مكان يمكنك الذهاب إليه يا لينيت؟

أفكر في فندقٍ أو نزل أو بار أو حتى ملجأ كنيسة، لا أستطيع الذهاب إلى مارلين أو داني، ليس الآن، فهناك من ينتظر أن نجتمع مرة أخرى لنجعل مهمتهم أسهل.

"ألا يمكننا القيادة قليلًا؟" أسألها؛ فلطالما فكرت بشكلٍ أفضل في السيارات.

- لينيت، لنعُد إلى منزلي، يمكنك أن تمضي به الليلة، ستتصل بالفتيات الأخريات ونبلغهن، هذا إذا كنتِ تشعرين بأهمية ذلك، وفي الصباح سنجلس معًا، ونصل إلى حلٍّ.

- من في منزلك؟

- سكاي وباكس فقط.

- رجال؟

"باكس يبلغ عمره ثماني سنوات"، هكذا تجيبني، "وسنكون محظوظين إذا خرج إلينا سكاي مرة واحدة في اليوم، فهو دائم الجلوس على جهاز الكمبيوتر الخاص به، لديَّ نظام أمان وبوابة وغرفة للضيوف، تعاليْ معي".

الوحيدون الذين أثق بهم هن الفتيات الأخريات، سنبقى دائمًا يحمي بعضنا ظهور بعض.

باستثناء جوليا، من الذي كان يحمي ظهر جوليا؟

لكن الدكتورة كارول تفهمنا، فقد كانت موجودة من أجلنا طيلة ستة عشر عامًا، إذا كنت سأثق بمن ليس منَّا، فستكون هي.

- هل هناك غرفة بلا نوافذ؟

تجيبني: "لديَّ صالة ألعاب رياضية في الطابق السفلي".

حسنًا، فأنا ليس لديَّ الكثير من الخيارات.

***

تعيش الدكتورة كارول في ڤيلا بيضاء من طابقين في شيرمان أوكس، بيت مصمم لتهدئة الروح وبعث الطمأنينة، لكن هذا لم يمنعها من إضافة أنظمة أمن باهظة الثمن: أنوار تعمل عند الإحساس بالحركة، بوابة أوتوماتيكية، مرآب داخلي لسيارتين، نظام أمان مشترك في زوايا النوافذ، كاميرات مخفية بأناقة.

ومع ذلك، أنا سعيدة لأنني سأنام في البدروم.

في الداخل، أرى طفلًا أشقر يفتقد إحدى أسنانه، يتقافز من قدمٍ إلى أخرى في المطبخ وهو يمصُّ الحلوى.

- ماما! ماما! ماما!

هكذا يستقبلنا فتقول له كارول: "باكس، هذه لينيت، إحدى مرضاي، وستبيت هنا الليلة".

توقف عن القفز وضيق عينيه نحوي.

- هل أنت مجنونة؟

- باكس!

- أغرب عن وجهي.

كان ردي بمنتهى البساطة، فتنهاني كارول: "لينيت!".

- ماما! لقد قالت كلمة سيئة!

"باكس، اصمت!" تقول الدكتورة كارول قبل أن توجِّه كلامها إليَّ، "لينيت، هذا منزلي، وهذه عائلتي؛ عليكِ أن تحترميهم في أثناء وجودك هنا".

النوافذ الموجودة فوق الحوض تطل على الفناء الخلفي، وهناك جدارٌ حولنا، وهو أمرٌ جيدٌ، ومع ذلك، أتحرك لأبقى خارج مرمى النظر.

"أنا آسفة" أقولها وأنا أحاول عقد هدنة مع الطفل، فأنا بحاجة إلى منزله على الأقل هذه الليلة. "لكنني لستُ مجنونة، ولا أحب أن يُطلَق عليَّ ذلك".

يتجاهلني، ويعطي كارول ورقة ملاحظات قائلًا:

"ماما! لقد اتصلت الشرطة! يجب أن تتصلي بهذا الرجل!".

تبذل الدكتورة كارول قصارى جهدها ألا تنظر إليَّ، لكن الأطفال لديهم نظام حسي خارق:

"هل يبحثون عنها؟" يصرخ، "هل هي مجرمة؟ هل هي إرهابية؟".

هنا تقول كارول: "باكس، اذهب إلى غرفة الأنشطة".

- كلا! لن أتركك وحدك مع انتحارية!

سوف يصيبني بالصداع.

"لماذا لا تُري لينيت كتابك المصور بينما أتصل بهؤلاء الناس؟" تقول الدكتورة كارول، لكنه لا يرفع عينيه عن والدته وهي تتصل بالرقم المكتوب. يسحب حزمة من الورق تم تدبيسها معًا، ويقول وهو يدفعها إليَّ:

"ها هي، إنه شبح الحرب، ادفعي لي خمسة دولارات ثمنًا لها".

أتجاهله، وأستمع إلى مكالمة الدكتورة كارول بينما استقر الكتاب المصور في يدي.

"مرحبًا، هذه الدكتورة كارول إليوت، لقد تلقيت مكالمة من هذا الرقم، من الضابط فولر. مم - همم... مم - هم... هذا فظيع. لا، لا أعلم. هل

عثرتم عليها؟" تستمع برهة قبل أن تقول: "من فضلك، إذا سمعتَ أي شيء على الإطلاق اتصل بي على هذا الرقم في أي ساعة، أنا أذهب إلى الفراش متأخرًا وأنهض مبكرًا، في الواقع، دعني أعطيك رقم هاتفي المحمول، تستطيع الاتصال أربعًا وعشرين ساعة في اليوم، هذا صحيح".

ثم أنهت المكالمة.

- باكس، اذهب إلى الغرفة الأخرى.

"أمي" يئنُّ معترضًا.

"حالًا!" تنفجر في وجهه فما كان منه سوى أن انتزع شبح الحرب من يدي واستدار ليتركنا. أحدق إلى الدكتورة كارول، في انتظار سماع الأخبار السيئة، لكنها تنتظر حتى يرحل باكس، وعندما تكون مقتنعة بأنه لا يستطيع سماعنا، تستدير نحوي.

- منزل هيذر احترق.

"قلت لكِ!" أهتف بها، لكنها تهز رأسها قائلة:

- لقد وجدوا أدوات تصنيع مخدرات في الطابق السفلي حيث اشتعلت النار، لم يمت أحدٌ، لكن هناك القليل من الإصابات، هيذر مفقودة وهم يعتقدون أن كل هذا من صنعها.

كنتُ سأعتقد ذلك أيضًا، لو لم أكن فتاة أخيرة.

أقول لها: "إنهم قادمون من أجلنا، واحدة تلو الأخرى؛ يجب أن نتصل بسجن يونتاس للتأكد من أن بيلي لا يزال موجودًا، يجب أن نعلم أماكن تواجد كل المسوخ، إن ما يحدث هو تكملة للسيناريو القديم أو تطور له، وإلا فأنا لا أفهم شيئًا".

- لينيت، عليكِ أن تهدئي؛ نحن لا نعرف أي شيء حتى الآن.

"أنا أعرف كل شيء!" أقولها صارخة، "أعرف ما يحدث! لماذا لا ينصت إليَّ أحدٌ؟".

"لا تصرخي في وجه أمي!" شيء حاد يضرب ساقي.

نظرت إلى الأسفل، ورأيت (باكس) يكشف أسنانه في وجهي، ممسكًا قلم رصاص، لم يخترق بنطالي لكنني سأصاب بكدمة.

"اتركيها وشأنها!" يزمجر.

دفعته بقوة ليقع على مؤخرته، وعلى وجهه تعبيرٌ كوميدي بالصدمة، ألقي نظرة إلى كارول لأجد على وجهها تعبيرًا مطابقًا.

أقول لها، "أريد أن أكون وحدي"، وأترك الغرفة.

أعطتني الدكتورة كارول بعض أدوات الفراش ومراتب هوائية، ثم أغلقت صالة الألعاب الرياضية عليَّ. لا توجد نوافذ، وبمجرد أن أسحب جهاز مشي آلي لسد الباب، أقوم بتجهيز عشٍّ لي في الزاوية، وأقوم بشحن الهاتف، أقوم بتعلية مستوى الصوت، وأضع سلاحي أسفل الوسادة، ثم أحاول استنتاج ما يحدث.

من الذي يسعى خلفنا؟ معجب متعصب؟ لا بد أن يكون كذلك، فالمسوخ في حياتنا دقيقون جدًّا فيما يخص فتياتهم، تمامًا كما يفعل الناس حين يطلبون مشروبهم من ستارباكس، مستشار مخيم الأسود منزوع الدهن ذا قدرة عالية لاحتمال الألم، بمعيار إضافي من القهوة. جليسة أطفال من الصويا المزدوجة، لا تخشى الطعن في عينيها، من دون رغوة.

لكن كيف هم منظمون بهذا الشكل؟ معجبو الفتاة الأخيرة هم أشخاص يعانون الوحدة والجنون، ذلك النوع من الأشخاص الذين ينتقلون إلى السكن بالقرب من قاتلٍ متسلسلٍ، ومن يحلمون بإنجاب طفل مخبول منه. النوع من الناس الذين يرتدون ملابس مثل ريكي ووكر ويطوفون حول منزلي، من يتتبعون أمًّا في مراكز التسوق ويحاولون سرقة مناديلها الورقية من أجل طقوس الفودو، هؤلاء لا يمكنهم التفكير بعقلانية.

قبل أن أنام مباشرة، أدركتُ أنني أعرف من هو: إنه كلهم. في ظلام المنزل حولي أشعر أن كل الممسوخ تزحف عبر الظلال، ريكي وبيلي ووكر يتسللان إلى أسفل الدرج ويسكت أحدهما الآخر كي لا أشعر بهما، نيك شيبمان يقف عند الباب الأمامي بابتسامة تائهة على وجهه الكبير المستدير كالقمر، عائلة هانسن يتخبطون في صناديق القمامة خلف المنزل، الشبح يدخل من باب المرآب، تيدي فولكر يقف في ضوء الثلاجة، ملك الحلم الشاحب يتربص في ظل المرآة على الجانب الآخر من الغرفة.

هناك صوتٌ في القاعة، فيرتفع معدل نبضات قلبي، آخذ ثمانية أنفاس عميقة وأقول لنفسي إنه من المحتمل أن يكون ذلك الصغير المخيف، يجب أن أتذكر أن ألقي نظرة على كتابه الهزلي في الصباح، أفحصه جيدًا بحثًا عن علامات العنف، أنظر ما إذا كان عليَّ أن أقلق بشأنه يومًا ما هو الآخر أيضًا؛ حتى طفل في الثامنة من عمره يمكن أن يكون خطيرًا إذا فاجأك.

أشعر أنني عارية؛ كانوا يعرفون خططي، كانوا يعرفون مخرجي، كانوا داخل جهاز الكمبيوتر الخاص بي، داخل منزلي؛ أشعر بأنني منتهكة للغاية لدرجة أنني لا أعتقد أنني سأشعر بالنظافة مرة أخرى.

تركتُ جوليا ورائي، كان الشيء الصحيح الذي ينبغي لي عمله، كانت ستفعل نفس الشيء، لم يكن لديَّ وقتٌ لأقلق عليها، كان لديَّ الوقت فقط لإنقاذ نفسي.

أضع ثقلين بوزن خمسة أرطال بجانب سريري، للاستخدام في حالة الطوارئ؛ لا أريد أن أضطر إلى إطلاق النار على طفل الدكتورة كارول، أفضِّل أن أصرعه.

عندما جئت لأول مرة إلى لوس أنجلوس، ظننتُ أنني سأموت، كان الرجال يتتبعونني أينما ذهبت، توقفت عن مغادرة المنزل، توقفت عن الذهاب إلى اجتماع المجموعة، ثم بدأوا في قرع جرس بابي، وأدركت أن بقائي في المنزل لم يعد آمنًا أيضًا.

أخبرتني داني أنه يجب أن أتعلَّم كيفية إطلاق النار، فهذا سيجعلني أشعر بالأمان، لكنني لم أحمل مسدسًا من قبل، ثم كيف يمكنني الذهاب إلى ميدان للرماية؟ لا أستطيع أن أعطي ظهري لكل هؤلاء الأشخاص لأواجه حقلًا فارغًا، كل تركيزي على هدفٍ هو ورقة صغيرة على بُعد خمسة وسبعين قدمًا، أخبرتني أدريان أنهم يجددون مخيم ريد لايك، ولا يزال هناك ميدان للرماية، ثم قادتني إليه.

كنَّا الوحيدتين هناك وبقينا ثلاثة أيام، أطلقتُ فيهم الرصاص حتى تخدَّر معصمي، جلست أدريان بجانبي مرتدية سترتها البيضاء وبنطالها الجينز وفي أذنيها سدادة حماية حمراء، كانت تحمي ظهري، لم تكن تؤمن بالبنادق لكنها كانت تؤمن بي.

والآن أدريان ماتت، وربما تكون جوليا كذلك، وهيذر؛ في غمضة عين ضاع نصف حياتي.

أصعب ما في النوم على مرتبة هوائية هو أنكِ حين تبكين، تصنع دموعك بركة، فليس لديها مكانٌ آخر تذهب إليه.

## ترتيب أفلام السفاحين المتسلسلين:

**رقم سبعة – فيلم "نومكومينج" (جزء واحد – 1989)**

هناك بار في سياتل كان يعرض الفيلم كل يوم جمعة لمدة أربعة عشر، وهذا ليس علامة على وجود ديانة ما لكنه سبب آخر كي نكره سياتل. لم يكن سيئاً لكنه لم يستحق جزءاً ثان بعد أن صارت فتاة كندا الأخيرة هي الوحيدة، وهذا لأنها كانت سيئة بالفعل.

**رقم ستة – سلسلة "أجراس القتل" (4 أجزاء 1993 – 1997)**

مؤثرات إيزي جالاجار محبطة لكن ببضع كؤوس من البيرة ربما تراها مسلية. هذه السلسلة نزلت مباشرة على أشرطة الفيديو ولم يكن أياً منهم يزيد عن التسعين دقيقة.

**رقم خمسة – سلسلة "بانهاندل" (خمسة أجزاء 1979 – 2003)**

لم يكن الفيلم المُعاد سنة ٢٠٠٣ سيئاً، بينما شوه الجزء الأول القيم الأسرية تماماً وتسبب، ومازال، في كوابيس للمشاهدين حتى اليوم. لكن الجزء الثاني قد هوى بالمستوى والثالث خرج أقل منه.

**رقم أربعة – سلسلة "أحلام مميتة" (أربعة أجزاء 1989 – 2003)**

هل كانت هيذر ديلوكا فتاة أخيرة حقيقية أم صناعة الاستديوهات؟ هل دفعت هذه السلسلة بتلك النوعية من الأفلام للأفضل بمؤثراتها الخاصة أم للأسوأ بشخصية القاتل الإيمو اللزج لعلها تحظى بقبول الآباء والأمهات؟ أياً كان السبب، لكننا سنتفق بالتأكيد أن مقتل أسرة القاتل على يد المنتج في افتتاحية الجزء الأخير لم ينل أي قبول.

**رقم ثلاثة – سلسلة "المربية" (ثلاثة أجزاء 1981 – 1986)**

سلسلة عجيبة ولا شك، وبالأخص الأخير والذي كان أغربهم، والذي ألقى بالعمل كله في القاع. لكن هذا لا يعني أن الجزئين الأولين لم يكونا في منتهى الإثارة والرعب ليومنا هذا وقد قاما بدور فيلم "جوز Jaws" في البر.

**رقم اثنان – سلسلة "مذبحة الصيف" (عشرة أجزاء 1980 – 2003)**

تحظي بالمرتبة الثانية لأنها الأكبر والأطول فيهم جميعاً بعد أن صارت الأجزاء الثاني والرابع والسادس من كلاسيكيات هذه النوعية من الأفلام بالإضافة إلى الأجزاء الخاصة بتيدي ڤولكر والذي صار إيقونة.

**رقم واحد – سلسلة "ستاب" (جزئين وسلسلة تليفزيونية – 1996 – 2003)**

الجودة فوق الكمية، هذا ما جعل من تجربة ستاب شبه مثالية لهذه النوعية من الأفلام. بعد أن التهم الثعبان ذيله في الجزء الأول، لم يتوقع أحد الكثير من الثاني، لكنه فاجأ الجميع. كان تدريباً حياً على الإثارة، كان فيلم لهتشكوك لو كان قد صنع واحداً من هذه النوعية في حياته، بنهاية تجعلك تبكي. لم تستمر السلسلة سوى موسم واحد، قراراً كان صائباً وذكياً، اعتزال على القمة.

***

لا أنام، لا أغمض عيني، لكن بطريقة ما أدخل في حالة يبدو فيها أن الوقت يمضي أسرع من الطبيعي. لا أرى الشمس تشرق، ولا أسمع الطيور تغرد، ولكنه الصباح وهناك من يحاول فتح الباب، لكنه يصطدم بجهاز المشي الآلي الذي وضعته أمامه، مرارًا وتكرارًا كأنه روبوت مرتبك.

دونك... دونك... دونك...

أنا مستيقظة، على قدمي، مسدسي في يدي، قبل أن يظهر وجه الدكتورة كارول.

"لينيت، يا إلهي!" تخرج رأسها مرة أخرى، وتترك الباب مفتوحًا.

"هل أنت وحدك؟" أسألها فتبادرني قائلة:

- هل أحضرت مسدسًا إلى منزلي؟

"... نعم أم لا؟" أصمم على الحصول على الإجابة.

- لينيت، هل ما زلتِ توجهين المسدس نحوي؟

"لا"، أكذب عليها.

- أقدر أنك تشعرين بالخطر، لكنَّ أطفالي موجودون في المنزل، يجب أن نضع هذا السلاح في خزنتي في أثناء وجودك هنا.

أقول: "سأبقيه في وضع الأمان وأخفيه في حقيبتي، لكنني لن أضعه في خزانة ما".

أضع مسدسي في حقيبة الوسط من دون أن أجعله في وضع الأمان؛ فالثانية التي سأستغرقها في رفع زر الأمان قد تكون الفارقة بين الحياة والموت، ثم أدفع جهاز المشي الآلي بعيدًا عن المدخل، الذي كان أثقل من الليلة السابقة.

تقف الدكتورة كارول في الصالة مرتدية سترة ناعمة بلون الفحم وبنطلونًا رماديًا، شعرها مصفف ومكياجها أنيق.

تقول: "أريني".

أفتح حقيبة الوسط وأريها المسدس. إنها واحدة من هؤلاء الأشخاص الذين لم يحملوا سلاحًا من قبل، لذا فإن كونها قريبة من أحدها يجعلها متوترة، حتى إنها لا تتحقق مما إذا كان على وضعية الأمان قبل أن أقوم بغلق حقيبتي مجددًا.

كارول: "جئتُ لأرى ما إذا كنت تريدين إفطارًا".

بالمطبخ في الطابق العلوي هناك رجلٌ بلحية شقراء ورأس مفلطحة يقف عند الحوض مرتديًا سروالًا رياضيًّا وجوارب بيضاء متسخة وقميصًا لاكروس، يحاول الرجل فتح علبة من لحم الخنزير المقدد بسكين سلخ طوله يتعدى القدم.

"دعني أساعدك، يا عزيزي"، تقولها كارول وهي تتقدم لتأخذ منه السكين.

يشاهدها وهي تؤدي عمله من أجله، وأدركتُ أنه ابنها الآخر، سكاي. رؤيته في هذا العمر يجعلني أشعر بالعَجَز. شاب رفيع، لديه القليل من الدهون في جسده، ربما يمارس الجري، أطول مني، وذراعاه كذلك، يبدو ذا قدرة تحمُّل عالية؛ يمكنني أن أصرعه لكني سأحتاج إلى تسديد ضرباتي الأولى بسرعة وكفاءة، هذه هي الأشياء التي ألاحظها، ليس أنه جذابٌ بالنسبة إلى عمره، ليس لأن لديه ذقنًا جميلة.

"لماذا لا تزالين هنا؟" يسأل باكس الذي تجسد من العدم على الجانب الآخر من المنضدة، يلحس قطعة من الخبز المحمص، قبل أن تجيبه أمه:

"لأنها ضيفتنا، ارفع كوعيك".

يرفع مرفقيه من على المنضدة ويعود إلى مصّ الخبز المحمص وهو يقول: "ليست ضيفتي".

يقول سكاي من مكانه بجوار الحوض: "ليس ضيفتي أنا أيضًا، لم أكن أعرف أنك تسمحين بوجود المرضى في المنزل".

"يجب أن تكونا محترمين يا سكاي"، تقول كارول التي نجحت أخيرًا في فتح علبة لحم الخنزير المقدد، وتأخذه إلى الموقد قبل أن يهتف الصغير:

"تأكدي من طهيه لفترة كافية، أحبُّه مقرمشًا أكثر من المعتاد".

من المهين مشاهدة المرأة التي أنقذتنا من حافة الهاوية تتحوَّل إلى نادلة لطفليها، في النهاية لن يجدوا والدتهما طاهية ومغسلة وخادمة دائمة لهم. سيتعيَّن عليهما خداع إحدى المسكينات للزواج بهما للحصول على هذه الخدمة المجانية مرة أخرى.

تُعِد الدكتورة كارول بعض البيض المخفوق ولحم الخنزير المقدد والخبز المحمص من القمح الكامل وعصائر المانجو. أتمسَّك بالفاكهة، فأنا أفضِّل طعامي معبأً وعندما أكون في بيئة غير آمنة، فإن أقرب ما يمكنني الحصول عليه هو الفاكهة.

يجلس الجميع على الطاولة باستثناء باكس، الذي يظل على كرسيه، يدور بتكاسلٍ من جانبٍ إلى آخر، يصفع خبزه المحمص بفمه المفتوح حتى أتمكن من رؤية كتل الخبز البنية اللزجة، ينظر إلى أخيه ويبتسم، يبادله سكاي الابتسام.

"ما الأمر؟" تسأل الدكتورة كارول، راغبة في مشاركتهما المزحة.

يقول سكاي: "لدى باكس ما يقوله".

"لا"، قال باكس، وهو يهز رأسه ويصفق بيده على فمه.

تشجعه كارول: "لا تخجل يا باكس".

ينظر باكس إليَّ، ويحاول الحفاظ على وجهٍ مستقيمٍ لكنه يقول: "صدر جميل"، ثم يسقط من كرسيه وهو يضحك.

شيء ما داخل صدري يضيق.

"باكس!" تهتف كارول، مصدومة حقًا، "هذا ليس شيئًا لطيفًا".

لم أرَ أحد تلك القمصان منذ فترة طويلة، لكن من الواضح أن أحدهم كان يبحث عني في جوجل، أرفض أن أترك هذا الطفل الصغير عديم الفائدة يضايقني.

"لا بأس"، قلت للدكتورة كارول، ثم وجهت نظرتي إلى باكس، "أتريد أن ترى الندوب؟ تريد أن ترى كيف تبدو مضحكة؟".

لا تعرف الدكتورة كارول كيفية التعامل مع هذا الموقف، فيشعر باكس بانزعاج أمه ويتوقف عن الضحك.

أعقد ذراعي وأمسك بطرف قميصي، "أنا لا أمانع في إظهارها إذا كنتَ مهتمًا بذلك".

هنا تقول الدكتورة كارول: "اصعد إلى الطابق العلوي، واستعد للمدرسة يا باكس".

نتابعه وهو يغادر لكنه توقف في أسفل الدرج لينظر وراءه، يرانا نراقبه فيستدير ويركض إلى الطابق العلوي.

يقول سكاي بصوتٍ ناعمٍ: "أنا أريد".

رأيت سكاي ينظر إليَّ قبل أن يضيف: "أنا آسف، عندما أخبرتني أمي من أنتِ، بحثت في جوجل وباكس رآني".

"لا يمكنك إخبار أي من أصدقائك أنها هنا"، هكذا تقول كارول ليجيبها سكاي، "بالطبع".

هنا أقف.

تقول الدكتورة كارول: "لينيت، لا أريدك أن تفعلي ذلك".

استدرتُ ورفعتُ قميصي إلى أسفل ثديي مباشرة.

الندوب الموجودة في أسفل ظهري هي الأسوأ، هم الذين أعرضهم لسكاي، أشعر بعينيه عليَّ قبل أن يشهق.

"لماذا جراحك شديدة الفوضى هكذا؟" سأل.

قلتُ بعد أن أعطيته ظهري لأكلم النافذة، "لقد سقطت بوزني كله على القرون، قُطِعت مني كتلٌ من اللحم بينما كنت أتأرجح فوقها".

"وكيف كان إحساسك؟" سأل.

أنزلت قميصي لأستدير إليه، ندباتي عادة ما تخرس الناس لكنني منبهرة من أنه لا يزال يتحدث، أما وجه أمه فقد أصبح شاحبًا.

"مؤلمًا، ومهينًا، ولكن بعد الساعات الخمس الأولى، يغدو الألم طبيعيًّا".

هنا تقول كارول: "فلنكتفِ من هذا الحديث".

عاد ثلاثتنا لتناول الطعام، لكنني لمحت سكاي يختلس النظر إليَّ، وما أن انتهينا من الطعام حتى اختفى في الطابق العلوي في غرفته تاركًا طبقه وطبق أخيه للدكتورة كارول لشطفها ووضعها في غسالة الأطباق.

من دون جهاز الكمبيوتر الخاص بي، من دون أسلحتي لأنظفها، ومن دون نظامي وجدولي، لا أعرف من أنا. أقف في الزاوية، أحاول ألا

أبدو محرجة، أشعر بالارتياح حين تنتهي الدكتورة كارول من التنظيف بعد أبنائها وتقول: "دعينا نذهب إلى مكتبي".

مكتبها عبارة عن ملحقٍ مشمس في خلفية المنزل، به العديد من النوافذ، يطلُّ على حديقتهم المسورة المليئة بمجموعة من الخيزران، النوافذ العملاقة والأبواب الفرنسية تجعلني أشعر بالتوتر الشديد.

أرقد على كرسي عثماني، مسندة ظهري إلى الحائط الصغير، وأحاول أن أرى كل شيء حولي، تندفس الدكتورة كارول في كرسيها وتضع القانون: "أعتذر عن سلوك باكس، فعمره ثماني سنوات ولا يفهم معنى التعاطف، لكنني لا أريدك أن تتفاعلي مع أولادي بهذه الطريقة".

- لقد سأل.
- وقمتِ برفع قميصك. أعلم أنَّ هذا وقتٌ صعبٌ، ولكن هذا بيتي وعائلتي وقواعدي، إذا كنتِ لا تستطيعين احترام هذا سأطلب منك المغادرة.

أفكر في خياراتي، لا يوجد الكثير.

- سأبقى.
- و...؟
- سأحترم حدودك.
- شكرًا لكِ.



هي تكبرني بسنواتٍ قليلة فقط، لكنها كانت تعالجني لسنواتٍ طويلة حتى سمحت لها بالتحدث معي كأمي، أريدها أن تكون سعيدة بي، لا أريد أن أخسر المجموعة أبدًا.

تقاطعنا رنة رقمية هادئة.

"معذرة"، تعتذر كارول، وتلتقط هاتفها لتجري محادثة منخفضة، أعلم أنها لا تحمل أخبارًا سعيدة لأنها تنظر إليَّ ثلاث مرات.

"هل هي هيذر؟" أسأل عندما تغلق الخط.

تحدق إلى السجادة المصنوعة من القش الصلب الملقاة بيننا لمدة دقيقة، ثم ترفع عينيها وتدرس وجهي، من الواضح أن ما تسمعه لا يروق لها، ثم يعود تعبير وجهها إلى عهدي بالدكتورة كارول العزيزة، بعد أن أحكمت القناع على وجهها.

- أطلقت داني النار على ضابط شرطة، وهي الآن في الحجز.

"ماذا؟" أهتف بعدم فهم، شاعرة بالغباء، شاعرة كأني فريسة.

"سأطلب منك السماح لي بالاحتفاظ بسلاحك الناري"، تطلبها مني بهدوءٍ لأجيبها:

- ألا ترين الخطر الذي نواجهه؟ في البداية أدريان، ثم جوليا وهيذر، والآن داني؟

تجيبني: "سواء كانت هذه الأحداث مرتبطة أم لا، لن أدع سلاحًا يبقى في منزلي".

- لا.

تجلس بشكلٍ مستقيمٍ، تبادلني النظرات، وتستعيد الوضع المهني الجاد،

تقول: "دعيني أضعها في خزانتي، وإلا سأطلب منك المغادرة".

أعاني صعوبة في التنفس، أضع رأسي بين ركبتي، وأحاول أن أجعل حلقي يرتخي، أحاول التقاط أنفاسي، سوف أكون مكشوفة، سأكون

عزلاء، لكن لا يمكنني مغادرة هذا المنزل، سيكون الأمر أسوأ بالخارج، تُرى، ماذا الذي حدث لداني؟

أجعل عضلات حلقي تسترخي، وأسحب الأكسجين إلى رئتيَّ، وأخيرًا، أخرج مسدسي من حقيبتي وأسلِّمه لها، ثم أستاذن للذهاب إلى الحمام، وأنزل إلى الطابق السفلي، حيث أقوم بفتح سوستة حقيبتي السفلى وأخرج مسدسي الصغير عيار 22، وأخفيه في حقيبة وسطي، واحد هو لا شيء.

عندما أعود إلى الطابق العلوي، تطلب مني أن أسرع إليها.

قبل أسبوعٍ، ولسببٍ ما، أعادت شرطة ولاية نيو جيرسي فتح ملفات قضية داني. لا بد أنهم قد اكتشفوا شيئًا ما لأنهم اتصلوا بمكتب التحقيقات الفيدرالي، الذي اتصل بعمدة بلدة داني، الذي أكد لهم أن علاقتهم مع داني طيبة. هذا الصباح عند بزوغ الفجر، أخذ الشريف العملاء الفيدراليين إلى مزرعة داني، وطلب منها أن تأتي معهم للاستجواب، لم يأخذوا ميشيل في اعتبارهم.

سرطان ميشيل يقتلها، وكما أخبرتهم داني فإن الأمور قد ساءت الشهرين المنصرمين، والآن، كل ساعة تمرُّ تقرِّبها من الموت، ستكون محظوظة إذا أمكنهم الاستحواذ على نصف ساعة هنا، وعشرين دقيقة هناك، وهذه هي الطريقة التي تقضي داني أيامها في محاولة لخلق وقت يمكنها تمضيته مع صاحبة عمرها لأكثر من تسعة عشر عامًا، الصديقة الحقيقية الوحيدة لها، ومن المستحيل أن تسمح داني أن تترك جوار ميشيل لأي شيء سوى اجتماع المجموعة.

اقترح الشريف إجراء مقابلة معها في غرفة المعيشة، لكنَّ مكتب التحقيقات الفيدرالي لم يكن لديه صبرٌ؛ ستأتي معهم للقسم، وهذا

نهائي. كانت داني قد عادت لتوِّها من لوس أنجلوس، وطلبت منهم الخروج من أرضها، وحين رأت أنهم لن يستجيبوا، عادت إلى الداخل وجاءت ببندقيتها، ثم بدأت في إطلاق النار.

لا أصدق أن داني أطلقت النار على شرطي؛ إنها تقدر القانون والنظام وتسمح للشرطة المحلية استخدام ركنٍ من ممتلكاتها من أجل حفل الشواء السنوي. لقد أقامت ميدان رماية هناك لهم حيث يأتون لإطلاق النار في دوراتٍ تدريبية منظمة على أهدافٍ معدنية تصنعها لهم بينما تشوي ميشيل لهم لحمًا، رجال الشرطة هم أبطالها، وأنا أتذكر كم مرَّت عليها أحداث 11 سبتمبر بصعوبة، لذلك فأنا لا أصدق أنها أطلقت النار على أي فردٍ من رجال القانون.

لم تصدق الدكتورة كارول ذلك أيضًا، لذا فقد ظلَّت على الهاتف كي تعرف حقيقة الأمر، أخيرًا قالت بزفرة ارتياحٍ: "لم تطلق النار على أحدٍ، هناك التباس. أطلقت رصاصة في الهواء ثم قاموا بصعقها، كنت أعرف أنها لن توجِّه سلاحًا إلى رجال الشرطة".

ثم اتضح أن هذه ليست الأخبار الجيدة الوحيدة.

تضيف "وجوليا على قيد الحياة، لقد أُصيبت بثلاثة أعيرة نارية، وهي في وحدة العناية المركزة، لكنها لم تفُق بعد".

قلت لها: "كنت أعرف أنها كانت على قيد الحياة"، وأشعر أن حملًا انزاح من على كاهلي، لم أكن أدرك كم كنت خائفة عليها.

تستطرد كارول: "يجب أن أخبرك ببعض الأخبار السيئة عن داني، السبب في إعادة فتح قضيتها، لقد اعترف شخصٌ آخر بالجريمة".

حدقت مباشرة إلى عينيها وقلت: "إنهم بحاجة إلى وضعها في قائمة محتملي الانتحار".

تومئ الدكتورة كارول برأسها.

- سأجري مكالمة.

***

القتل أمرٌ صعبٌ، وقتل أخيكِ أصعب، أما أن تكتشفي أنكِ قتلتِه من دون سببٍ هو الأصعب على الإطلاق. تنجح الدكتورة كارول في الوصول إلى واسطة لنقل داني إلى زنزانة المراقبة، لكن داني تقاومهم طوال الطريق، تصرخ وتنادي بأعلى صوتها. أرسلت الشرطة سيارة إسعاف وتم نقل ميشيل إلى مشفى لرعاية الحالات المتأخرة، لا أعتقد أن ذلك قد يطيل الوقت المتوقع لحالتها، إنها تعشق تلك المزرعة، هي وداني، وقد وعدتها الأخيرة أنها ستبقى فيها حتى يحين أجلها، ولا تكره داني شيئًا أكثر من عدم الوفاء بوعودها، لا بد أنها تعيش أسوأ لحظات حياتها.

لكنه على الأقل مكانٌ مألوفٌ بالنسبة إليها.

في الثمانينيات، كان شقيق داني الأكبر، نيك، يحب قتل الحيوانات، كان ضخمًا ويصعب السيطرة عليه، وكان يجد إيذاء الأشياء الأصغر منه مضحكًا. ذات ليلة، عندما كانت داني في السابعة من عمرها، أذى نيك جليستها، أذاها بشدة لدرجة أنه أُرسِل إلى مصحة. اصطحبها والداها لزيارته في عيد ميلاده الثامن عشر عندما كانت داني في العاشرة من عمرها. تقول إنه كان مخدرًا بعقار ثورازين لدرجة أنه لم يستطع حتى الابتلاع، وكان الجزء الأمامي من قميصه مبتلًّا بلعابه. زيارة لم تكررها قطّ.

قالت في إحدى جلسات المجموعة: "كنت طفلة، لكن هذا ليس عذرًا، كان يجب أن أعود إليه".

لم ترَ نيك مرة أخرى حتى صارت في السابعة عشرة من عمرها. تسببت عاصفة عاتية في انقطاع الكهرباء عن المصحة؛ وهربت مجموعة من السجناء. سرق نيك زي أحد العمال، وعاد إلى ضاحيتهم الصغيرة الجميلة، عاد ليتساءل لماذا لم تأتِ أخته الصغيرة لرؤيته، جاء بقناعٍ، جاء بسكين، ويومها كان عيد الهالوين.

كانت داني تجالس طفلًا في تلك الليلة، توفر المال كي تترك بلدتها، كي تخرج من جحيم نيو جيرسي، جحيم الساحل الشرقي بأكمله. أرادت أن تذهب إلى الغرب الموحش حيث الهواء صافيًا، الخيول ترمح بحرية، حيث يمكنها أن تجد الحب في عالم رعاة البقر.

مرتديًا قناعه، شقَّ نيك طريقه عبر الحي الذي يعيشون فيه، يبحث عن داني، في طريقه إليها قتل أربعة أشخاصٍ وكلبين، وقد أخبرني أحدهم أنه حاول أكل أحد الكلاب. حتى وجد داني أخيرًا، تصدت له بشجاعة ودمرت المنزل في الأثناء، ثم طعنته بسكينه. ظهر رجال الشرطة في اللحظة الأخيرة وأطلقوا عليه الرصاص عدة مراتٍ ليقع من نافذة الطابق الثاني، لم يتمكنوا من العثور على جسده.

مآسينا تأتي في فصولٍ، هذا ما يجعل مهاجمينا مختلفين، ما يجعلهم مسوخًا، فهم لا ينفكون يعودون إلينا، وقد عاد شقيق داني في نفس الليلة.

أخذها رجال الشرطة إلى المستشفى، أعطوها منومًا، وتركوها في غرفة تحت حراسة شرطي، وقد اخترقهم نيك جميعًا مثل غضب الآلهة.

ليلتها مات أحد عشر شخصًا، هذا هو أكثر ما يؤلم داني، أطباء وممرضات ورجال الشرطة ومسعفون، من يركضون نحو الكوارث الطبيعية وحوادث السيارات وليس منها. وحسب رواية داني فإن بعضهم قد ألقوا بأنفسهم أمام نيك لكسب وقت ليهرب الآخرون. تقول إنهم لم يترددوا لحظة.

في مرآب السيارات بالمستشفى، وجدت داني نيك، كان ينزل من أحد المنحدرات، قادمًا إليها مباشرة، بلا قناعٍ، يتثاقل إلى الأمام، يبتسم كأنه ملاكٌ، هشَّمت رأسه بآلة إصلاح الإطارات، فلم تكن تملك خيارًا.

كَوَّن معجبو نيك طائفة دينية بعد وفاته جعلوه فيها إلهًا، ثم على مرِّ السنين، نشروا شائعة مفادها أن المقنع الذي ارتكب جرائم القتل وشقيق داني شخصان مختلفان.

"هل تعتقدين أن هذا صحيحٌ؟" سألتها د. كارول ذات مرة لتجيبها داني:

"ليس دوري أن أتكهن".

كان ذلك كابوس داني: أن تكون قد قتلت الشخص الخطأ، أحد النزلاء الذين هربوا من المصحة في تلك الليلة لم يتم العثور عليه، هاري بيتر واردن، رجل ضخم، بحجم نيك، له تاريخٌ طويلٌ من العنف، التبول في الفراش، إيذاء حيوانات الجيران الأليفة، ماذا لو أن هذا الرجل ونيك قد أتيا إلى ضاحيتها معًا؟ يخبره نيك عن أخته، وكيف أنه يريد أن يراها ولا يتوقف عن الحديث عنها طوال الطريق، ليس هناك طريقة أمامها حتى تتأكد، فلم يخلع القاتل قناعه قطُّ.

ما علق في رأس داني هو ماذا لو كان من قدم إليها في مرآب السيارات هو نيك؟ فقط نيك، شقيقها الذي لا تزال عروقه مليئة بالثورازين، يتعثَّر في مشيته، يريد من أخته أن تأخذه إلى مكان دافئ وتأتي إليه بحساء نودلز بالدجاج كما اعتادت أمها؟ ماذا لو كان شقيقها عاد إلى بيته أخيرًا، يريد أن يسألها لماذا لم تأتِ لزيارته، وضربته هي حتى الموت بآلة حديدية؟

عندما أخبرتنا بذلك، كانت المرة الوحيدة التي رأيت فيها داني تبكي.

كيف عرف أي شخص هذا؟ كيف يمكن لشخصٍ أن يعرف أسوأ مخاوف داني؟

لقد عرفوا لأنها تحدثت عن ذلك في المجموعة.

عرفوا لأنهم قرؤوا عنها في كتابٍ.

***

ترجُّ الموسيقى باب غرفة سكاي، بعد الكثير من النقاش المزعج، أقنعت الدكتورة كارول نفسها بأنها قد نجحت في إقناعي أن أفضل شيء هو الذهاب إلى الشرطة. مع وفاة أدريان، ووجود داني في السجن وجوليا في المستشفى، ومع وجود هيذر في عداد المفقودين (بالإضافة إلى الاشتباه في أنها قد أضرمت النار عمدًا)، فكلما أسرعنا في تسوية الأمور قانونيًّا، كان أفضل، سيكون لدى الشرطة أسئلة ويجب أن أتعاون، وقد وافقت.

قلت: "ذهني مشتعلٌ، اسمحي لي أن أستجمع أفكاري اليوم، وسنذهب أول شيء صباح الغد".

عانقتني الدكتورة كارول، وهي تقول: "لن أفعل ما يؤذيكي يا لينيت، سلامتك تهمني".

لكني ليس لديَّ أي نية للوجود هنا في الصباح.

باب سكاي لم يعُد مغلقًا بل مفتوحًا على مصراعيه، تدهسني موسيقاه مثل الشاحنة، تجعلني أتوه بين دقات الإيقاع العالية والنغمات الآلية، تكاد الضوضاء أن تدمي الهواء، أخطو إلى الداخل وأغلق الباب خلفي.

رائحة منظفات، فيبريز وشامبو السجاد، لا أرى أشياء من التي يمكنك أن تجدها في غرفة شاب مستهتر، على الرغم من الملابس المتسخة ملقاة على الأرض، مكدسة في إحدى الزوايا، يلفظها كيس من القماش الخشن المفتوح، طبقات فوق طبقات على فراشه. سجادته ذات لون محايد: أهو رملي؟ سكاي نفسه جالس على مكتبه من دون قميصه، ظهره لي، يتعبد في جهاز الحاسوب. الغرفة مظلمة باستثناء مصباح مكتبه الهالوجين، أصرخ أناديه لكنَّ صوتي يضيع في الموسيقى، كيف يمكن للناس السماح لأنفسهم أن يكونوا عرضة للخطر هكذا؟ لديَّ مرآة مثبتة على جهاز الكمبيوتر الخاص بي حتى أتمكَّن دائمًا من رؤية ما ورائي.

يبدو أنه يفرك بطنه، وعندما أقترب أدرك أنه خفَّض سرواله حتى ركبتيه، يمكنني التعامل مع العنف، ولكن هذا يجعل فمي يجف ويشعرني بوخزٍ في راحتي، أعتقد أنها نتيجة طبيعية عندما ترى ابن معالجك البالغ من العمر ستة وعشرين عامًا وهو يداعب نفسه.

شعرت فجأة بجسدي، تحت ملابسي القذرة، لا أعرف ما إذا كان يتوجب علي أن أنقر كتفه أو أن أستدير وأخرج من الغرفة، وبينما أفكر

في الخيارات المتاحة أمامي، لمحني بزاوية عينه وقفز من فوق كرسيه مصعوقًا، يتعثَّر في محاولة ستر نفسه، يتراجع مبتعدًا عني، ساقاه متشابكتان في سرواله، يداه على فخذه، يفقد توازنه، ذراعاه ترفرفان في الهواء قبل أن يقع بقوة على مؤخرته، سوءته مكشوفة.

"لا بأس!" أصرخ وأنا أرفع راحتي لأظهر أنني لا أحمل سلاحًا، لا أستطيع سماع ما يقوله على الموسيقى، ولكن يمكنني ترجمة شفتيه، "يا إلهي!" و"أخرجي من غرفتي".

يتلوى على وركيه كي يحكم ارتداء سرواله القصير، ويسرع بارتداء قميص متسخ مكتوب عليه بابلو لأدوات الصيد. يلتقط عصا التحكم عن بُعدٍ ويخفض مستوى صوت الموسيقى حتى توقفت أسناني عن التخبط.

- سأقول لأمي.

ألاحظ أنه لا يطردني، رغم ذلك. لو عندك ست وعشرون عامًا وضبطتك امرأة غريبة فإنك لا تتمادى في الغضب فربما تكون محظوظًا.

- هل تعلم أمك أنك تمارس هذه الأفعال؟

يقطب حاجبيه كما لو أنه لا يعرف ما أتحدث عنه، حتى أومأت برأسي إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به فيتحوَّل لون وجنتيه إلى الأحمر قبل أن يهب ليغلق الجهاز. لن أتوقف عن الاستغراب مما يثير الرجل الأمريكي العادي.

"ماذا تريدين؟" يقول، غاضبًا من فرط الإحراج.

لا يجب أن أستغل الموقف، أحتاج إلى أن يساعدني بمحض إرادته، فأقول له: "صدقني، لقد رأيت أشياء تجعل ما كنتَ تشاهده الآن يبدو مثل الأفلام الكرتونية".

"أرجو ألا تشي بي"، يصير صوته أكثر هدوءًا قبل أن يستعجب ويقول: "ما كنت أشاهده؟".

كنت أفكر طيلة الصباح، لا أحب طلب المساعدة من أحد، لكني أعتقد أنه لو كان ابن الدكتورة كارول وكان هنا في المنزل، فسأكون حمقاء ألا أحاول، وأنا بحاجة إلى استمالته إليَّ كي يساعدني.

- هل أنت جيدٌ بالفعل مع أجهزة الكمبيوتر؟
- لقد أعددت موقع عمل أمي وبريدها الإلكتروني.
- أريدك أن تقلني إلى شقتي، وتساعدني في التسلل إليها، وأخبرني من الذي اخترق حساباتي.
- لماذا؟
- أريدك أن تقلني لأنني لا أملك سيارة، أحتاج إليك لمساعدتي في التسلل إلى شقتي لأن الشرطة ستراقب مبناي، وأريدك أن تخبرني من الذي اخترق جهاز الكمبيوتر الخاص بي لأنني بحاجة إلى أن أعرف من الذي يحاول قتل أصدقائي، ولا أتوقع منك أن تفعل ذلك مجانًا.

"كم الثمن؟" سألني فأجيبه:

- خمسمائه دولار.
- حسنًا، نلتقي في الطابق السفلي الساعة العاشرة، والآن، اخرجي.

قالها وهو يرفع مستوى الصوت احتياطيًا حتى يصبح الهلام داخل مقلتي عينيَّ يهتز من قوته.

أنا أثق بالدكتورة كارول بقدر ما أثق بأي شخصٍ، وهذا ينطبق على أولادها، أنتظر حتى تستقبل مكالمة في مطبخها، ثم أهرع إلى الملحق المشمس بالخلف واستخدم بطاقة مكتبة قديمة لفتح باب مكتبها، بطاقة أبقيها معي لمثل هذه المواقف. إذا لم تتمكن من إعداد بريدها الإلكتروني بنفسها أفترض أنها لا تزال تحتفظ بملفاتٍ ورقية، ومن المؤكد أن هناك خزانات للملفات تحت مكتبها المنحني.

أبدأ بالدرج العلوي إلى يمين كرسيها مباشرة، على افتراض أنها المكان الذي تحتفظ فيه بأوراق أسرتها، وقد كنتُ مصيبة، باكس، يليه إليوت، سكاي. إذا كنت سأكون في سيارة مع سكاي الليلة، أريد أن أعرف نوعية الخطر الذي سأواجهه.

التحق سكاي بجامعة بيركلي، لا توجد إجراءاتٌ تأديبية، لا اعتقالات، لا توجد أدوية موصوفة له باستثناء باتانيز لعلاج حمى القش، لا علاج نفسي باستثناء بعض الوقت مع معالج النطق وهو طفل لأنه لم يستطع نطق حرف "الراء"؛ إنه نظيفٌ، نظيفٌ كما يمكن لأي رجل أن يكون؛ سيؤدي دوره.

استغرقتُ دقيقة للنظر داخل أدراجها الأخرى، أسماء المرضى، أسماء العائلة ثم الاسم الأول، الواحد تلو الآخر: داير، ساندرا، كلاين، ديبوراه، ميسون، تمارا، مورين، فيوليت، سانشيز، فيرا، كلهن نساء، وهذا ما ليس غريبًا. منذ أن تخصصت الدكتورة كارول في ضحايا العنف وهذا هو الشيء الوحيد الذي يبدو أن النساء يحصلن على الكثير منه. أقلب خلال عددٍ قليلٍ منهن لأرى أنهن جميعًا نساء واجهن وحشًا آدميًّا لكنهن لم يقتلنه، براعم فتيات أخيرات.

أغلق الدرج، وأتفقد المكتب نفسه، فوقه تراصت الشهادات، الاقتباسات، صورة لها وهي تصافح أرنولد شوارزنيجر، صورة أخرى لها على غلاف مجلة تايم مع أدريان وچوليا. لم أكن أتعامل مع الصحافة كما كانوا يفعلون في تلك الأيام، مجرد التفكير في التعرض لكل تلك الأعين يجعل جلدي يقشعر.

بجانب جهاز الكمبيوتر الخاص بها يوجد رفٌّ به ملفٌّ واحدٌ، أنفض الغبار من عليه وأفتحه لأجد صورة لوجه مألوف مثبتة في الملف من الداخل، ستيفاني فوجات، مبتسمة كما لن تبتسم مرة أخرى. هناك شيء ما في تلك الابتسامة، بلهاء وغير حريصة، تتحوَّل فجأة في نظري إلى ابتسامة چيليان، شقيقتي الصغرى، أحاول ألا أفكر في جيليان، أحاول إبعادها عن ذهني بأي ثمن، لأنني سأفكر فيما حدث لها، أعيد كل شيء كما كان بالضبط وأخرج من المكتب. أغلق الباب ورائي ثم أبدأ في البكاء مرة أخرى.

أجلس في صالة الألعاب الرياضية أحدق إلى الحائط المقابل لي، أحاول ألا أفكر في جيليان وكيف أنني لم أستطع إنقاذها، وبالتأكيد لن أفكر في هروبي وتركي چوليا ملقاة على الأرض. أستغرق وقتًا طويلًا في التفكير. لكنني لم أستطِع أن أتحرك قبل قدوم الليل، ثم يتبخر الوقت عندما أبدأ في التفكير في كل الطرق التي خذلت بها كل من أعرفهم. عندما يطرق باكس بابي ويسأل عمّا إذا كنت سأنضم إليهم على العشاء، أطلب منه أن يخبر والدته بأنني سأخلد إلى الفراش مبكرًا؛ غدًا يومٌ حافل مع الشرطة.

***

أعلم أننا بالنسبة إلى الدكتورة كارول مجرد عملٍ، لكن رؤية هذه الملفات جعلتني أشعر كما لو أنني ضمن مجموعة مقتنيات، ممثلة أفلام حركة قليلة الأعمال، فراشة مثبتة على لوحة. تصفَّحت خلال ملف ستيفاني قبل أن أعيده مكانه، كانت في مخيم رد ليك لأنها قبل ثلاث سنوات، عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها، بدأ مدرب التنس يسمِّم لاعبيه بعد أن صار مهووسًا بإحدى فتيات الفريق. اكتشفت ستيفاني سرَّه خلال اجتماعٍ في مكتبه قبل أن يتمكَّن من إعطائها جرعة مميتة. لم تكن ريد ليك الأزمة الأولى لها إذن، بل جزءًا ثانيًا في المسلسل، إنها مثلنا الآن، طفلة مسكينة، دمية أخرى في مجموعة د. كارول.

تخبرني ساعتي أنها 9:57 مساءً، أتسلل إلى القاعة، أضع حقيبة هروبي على كتفي، وحقيبة الوسط حول خصري. أستطيع سماع د. كارول في الجزء الخلفي من المنزل تتكلم في هاتفها، تتحدث إلى شخصٍ ما بشكلٍ واضحٍ وواثقٍ، يتلاشى صوتها وأنا أشق طريقي إلى الباب الجانبي حيث ينتظرني سكاي.

"مستعدة؟" همس.

أنظر إلى قدميه لأجده يرتدي حذاء ميري أسود، أثقل وأكثر إزعاجًا من أن يستخدم للتسلل من المنزل.

"غيِّر حذاءك"، همست.

"إنه من نوعية أندر أرمور"، يهمس مجيبًا، "حذاء المهمات الصعبة".

أدير عينيَّ في مقلتيها في سخطٍ، يا للصبيان وألعابهم. فتح الباب الجانبي وأرهفنا السمع، صوت الدكتورة كارول يتردد في المطبخ من دون توقف، هذه علامة جيدة، ننسلخ إلى المرآب، يصنع حذاؤه الضوضاء التي توقعتها بالضبط.

"أنتما هناك!" هكذا جاء صوتٌ حادٌّ قبل أن أغلق باب المطبخ ورائي، "إلى أين أنتما ذاهبان؟".

إنه باكس، أحاول إغلاق الباب في وجهه، لكنه يمسك به.

– هل تتسللان؟ هل أنتما ذاهبان في موعد غرامي؟

"أصمت"، همست.

لكني لا أعرف ماذا أفعل بعد ذلك، أضربه؟ أربطه وأكتم فمه؟ أنظر إلى أخيه مستنجدة.

"لا تخبر أمي"، يهمس سكاي إلى باكس.

تحوَّلت عينا المتلصص الصغير إلى ثقبين أسودين أصغر من رأس الدبوس وهو يقول:

– ما الذي يساويه هذا في نظرك؟

على الأقل هو يهمس الآن فيقول لي سكاي: "من الأفضل أن تعطيه شيئًا".

"ماذا تريد؟" أسأل باكس فيقفز على أطراف أصابعه ويجول ببصره داخل المنزل، ثم عاد إليَّ وعلى وجهه ابتسامة قرع العسل في عيد الهالوين.

"اشتري كتابي"، يقول وهو يلوح بالكتاب الهزلي الذي حاول إقناعي به قبلها بساعات.

"ما ظنك بخمسة دولارات؟" أهمس وأنا أمد يدي إلى محفظتي.

"ما ظنك بمائة؟" يقول.

أحدق إليه لأجده جادًّا تمامًا، فألتفت إلى سكاي لكنه يهز كتفيه، خير عون أنت، هذا أخوك الصغير الذي يبتزني. أخرج خمس أوراق نقدية من فئة العشرين دولارًا وأتذكر كيف يكون لديك أخت صغيرة.

شعور مؤلم ينحر في صدري ويجعلني أكره هذا الطفل أكثر، يدفع بقصته المصورة في وجهي فألتقطها من يده وأضعها في حقيبتي.

"سلام، أيها البلهاء!" يرحل ضاحكًا فيقول سكاي، "لنذهب قبل أن يغير رأيه"، حينها فقط نخرج من مرآب الدكتورة كارول، إلى ظلمة الليل.

***

رغم أن فيلم "بانهاندل ميت هوك Panhandle Meat Hook" لم يتم عرضه في السينمات، لكن جزئه الرابع كان من أقوى الأجزاء. وفي نفس العام خرج فيلم "مذبحة الصيف - الجزء السادس" والذي كان أشهر هذه النوعية من الأفلام على الإطلاق، لكن في العام التالي خرج فيلمين كادا ان يدمرا شعبية هذه النوعية:"Gnomecoming" و"أحلام مميتة". وفي أقل من أربعة أعوام، لم يتمكن فيلم "أجراس القتل" من الظهور على شاشات السينما وذهب مباشرة إلى أشرطة الفيديو، وهو ما كان المسمار الأخير في نعش هذه النوعية من الأفلام.

***

يقول سكاي، وهو يغيِّر ذراع السرعة، "أفضِّل ألا تجلسي على الأرض".

انكمشتُ في أرضية مقعد الراكب ضامة ركبتيَّ إلى ذقني وظهري إلى الباب، بينما يدفع درج التابلوه رأسي إلى الأمام، هناك أعين بالخارج تبحث عني، ولن أجازف.

- الأمر ليس قابلًا للنقاش.

يتنهد سكاي ويواصل القيادة، بينما تسقط أنوار السيارات المعاكسة على وجهه الطويل من اليمين إلى اليسار. ركوب السيارات يجعلني أشعر بالنعاس دائمًا، يهز رأسي، يثقل جفنيَّ، ويملأ صدري برائحة النوم.

ينعطف يمينًا فيخترق مقبض الباب ظهري. حقيبتي على المقعد، مفتوحة جزئيًّا، يدي في الداخل على سلاحي عيار 22، والعرق يكسو قبضته الخشنة.

"أي نوعٍ من الأشياء؟" يسأل سكاي لأجيبه من دون فهمٍ، "ماذا؟".

- في غرفتي قلتِ إنكِ قد رأيتِ أشياء تجعل ما كنت أشاهده يبدو كأنه كارتون أطفال، مثل ماذا؟

هذه واحدة من علامات الخطر، الاهتمامات الجنسية غير الطبيعية، هرب النعاس مني، وأتأكد من إحكام قبضتي على سلاحي.

يقول: "آسف، هذا ليس لائقًا".

يوجِّه عينيه نحوي، ويمنحني نصف ابتسامة محرجة. أتذكر كيف شعرت بالخجل من كل شيء يخرج من فمي عندما كنتُ أصغر بقليلٍ مما هو عليه الآن، ولذلك فقد وجدت له عذرًا، وأجيبه:

- هناك رجل اسمه كينيث هامبسون كان يعمل في معسكرات الكشافة للصبية خارج لاريدو متخذًا اسم حاصد الصحراء، يقوم بالاحتيال على زملائه في السجن حيث يبيع قوارير من سائله المنوي تحت اسم بذور الحصاد.

"لا يمكن!" يهتف سكاي فأردف:

- يهرِّبها أحد الحراس في الوعاء الحراري الخاص به ثم يبيعها عبر الإنترنت.

- كيف علمتِ بذلك؟

- هناك عالم كامل هناك، الكل يريد قطعة من هؤلاء المرضى النفسيين، يسمونه قتليليا، أو حب اقتناء بقايا جرائم القتل، أشياء مثل تراب قبور الضحايا، فستان الحفلة التي كانت كولين فان ديوسن ترتديه عندما دخل الفارس ذو الساتان الأبيض وقطع رأسها، بيع بثمانية آلاف دولار.

"كيف يفلت الناس بفعلٍ كهذا؟" يسأل فأجيبه ببساطة:

- إن من باعوا فستان الحفلة الراقصة هما والداها؛ في بعض الأحيان تكون بحاجة إلى المال أكثر مما تحتاج إلى التعايش مع نفسك.

- هل سبق لك أن فعلت ذلك؟

إنه سؤالٌ منطقي، لكنني غاضبة الآن، فقد وضع إصبعه في جرحٍ، أعد إلى خمسة لأهدأ قبل أن أكذب عليه: "لا".

"أنتِ تحبين هذه الأشياء"، كان هذا بيانًا وليس سؤالًا، وأستطيع أن أشعر بحكمٍ في صوته، تمامًا مثل والدته.

تأخذ السيارة منحنى، ويلتفت ليتحقق من حركة السير قبل أن ينضم إلى الطريق السريع. نحن الآن نتحرك بسرعة كبيرة لدرجة أنني مضطرة إلى أن أصرخ كي يعلو صوتي فوق صوت المحرك:

- قل لي كيف اخترت أنا هذا، كيف اخترت هذه الحياة؟ كنت أهتم بشؤوني حتى دخل وحشٌ آدمي من باب منزلي، ليس لأنني تجاهلتُ لافتات ممنوع الاقتراب وتسللت إلى الملجأ القديم، ليس لأنني بنيتُ بيتي فوق مدافن هندية، لم أسعَ إلى ذلك، لقد فُعل ذلك بي.

قال بصوتٍ عالٍ: "صحيح، لكنكِ تواصلين التفكير فيه. أعني أمي تقول أن هذا حدث منذ زمنٍ طويلٍ، يمكنك المضي قدمًا".

ظهري يؤلمني بشدة، فطريقة جلوسي تسحق كليتي اليسرى، وهي التي لم تكن في حالة جيدة منذ جاء ريكي ووكر إلى زيارتي، أقاوم الرغبة في النهوض والجلوس في مقعد الراكب.

"أنتَ على حقٌ"، أجيبه، "لا أحد منَّا يجب أن يترك أسوأ ما حدث له يشكِّل حياته، لكن لسوء الحظ فهذه الأشياء عادةً ما تتكرر وتحاول قتلنا مرة أخرى. بعد فترة تكتشف أن حياتك ليست الشيء الذي يحدث بين لقاءاتك مع الوحوش الآدمية، بل إنها هؤلاء الوحوش".

"لكن لا يتعيَّن عليكِ البحث عن رجلٍ يبيع إكسير حياته عبر الإنترنت"، هكذا يقول وهو ينعطف إلى اليسار مما يخفف بعض الضغط عن كليتي المسكينة. ما زلت أحمل مسدسًا في يدي اليسرى مما يسبِّب ألمًا حارقًا في كتفي.

"هل تقرأ الصحف؟" أسأله فيجيب بازدراء: "لا".

- جرائد إلكترونية إذن؟

يجيبني، "نعم".

- لماذا؟ لن يحدث لك أي من هذه الأشياء، لو لم تعرف عن ديب ووتر هورايزون، حياتك لن تتأثر، لماذا تهتم؟.

- لأنني أريد أن أعرف ما يحدث في العالم.

- بالضبط.

يفكر في كلامي، ثم يهز رأسه ويقول: "الأمر ليس نفس الشيء".

قبل أن أوضح له كيف أنه نفس الشيء، يقول:

- نحن في شارعك.

ينعطف يمينًا فتنسحق كليتي.

أقول "تحرك ببطء، ابحث عن أي شاحناتٍ عليها شعارات محطة تلفزيون أو هوائي إرسال كبير".

يقود أبطأ من اللازم، يحرك رأسه من جانبٍ إلى آخر بشكلٍ مفضوحٍ، لكنه شريكي الوحيد، آمل فقط ألا يلحظه أحدٌ فننفضح، لا أريد أنْ أموت ولا أريد أن تكتشف دكتورة كارول أنني جررتُ ولدها إلى هذه الفوضى.

قال "ثلاث شاحنات، اثنتان منهما عليهما علامة قنوات تليفزيونية والثالثة من دون علامة، لكنها تقف معًا".

"حسنًا" أقول له، "استمر الآن في البحث عن أي سيارات سيدان ذات أربعة أبوابٍ ذات طرازٍ حديثٍ بها رجلان لا يفعلان شيئًا".

اقتربنا من نهاية المربع السكني.

"رأيتها!" يصيح هامسًا، "جراي بونتياك بونفيل، بها رجلان، واحد أسود والآخر أبيض، يشربان ريد بول".

أقول له، "استمر في القيادة، انعطف يمينًا في نهاية المربع السكني، لا تسرع ولا تكن أبطأ من اللازم، فقط تحرك بهوادة طبيعية".

يفعل ما أقوله له، وأرشده إلى موقف السيارات خلف مبنى، أمد يدي وأفتح الباب وأخرج لأريح عظامي المتألمة. أول شيء أفعله هو فحص المكان للتأكد أننا وحدنا. كما توقعت، لم يفكروا في وضع مراقبة هنا حيث أن الباب الوحيد المؤدي إلى هنا يفتح من الداخل فقط. أنقل مسدسي إلى حقيبة الوسط كي أجعل الوصول إليه سهلًا.

"كان لديك مسدس وأنتِ في سيارتي؟" يسأل غير مصدقٍ.

- في حقيبتي.

- هل كان موجهًا إليَّ؟

"لا" أكذب عليه فيبادرني:

- لقد كان مشيرًا إليَّ بالطبع!

أضواء الشارع البرتقالية تحوِّل وجهه إلى قرع عسل وعينيه إلى أعين الباندا الدائرية، ألتقط حقيبة من مقعده الخلفي، وأقول له:

"تماسك وكن رجلًا، إليك ما أريدك أن تفعله، خذ بعضًا من المخلفات التي تملأ سيارتك وضعها في هذه الحقيبة، دُر حول المبنى واتجه إلى الباب الأمامي، ها هي المفاتيح. لا تتوقف ولا تنظر حولك، كن ملولًا وسر كأنك تنتمي إلى المكان مع بعض التعالي. خذ المصعد إلى الطابق الثاني، ثم انزل الدرج الخلفي واستخدم هذا لفتح باب الحريق، ابحث في الجوار عن مكشطة الطلاء حيث رميتها أمس خلف البناء".

يقول: كنتِ ستطلقين النار عليّ.

"هل تريد بقية أموالك؟" أسأله، فقد دفعت له فقط مائتي دولار حتى الآن، يومئ بالموافقة فأخرج الأوراق النقدية، وأقول له:

"تأكد من عدم ضغط قضيب الإنذار عند فتح الباب الخلفي، كرر لي مرة أخرى ما قلته".

يفعل، وبعدها يتجه إلى المبنى، بينما يصدر الكيس الممتلئ طقطقة عالية وهو يتدلى من جانبه حتى اختفى عن ناظري. لو كان له سروالٌ قصيرٌ وضيقٌ وليس طويلًا وواسعًا لصار صالحًا أن يعمل كقارع جرس لتومي مدرب التنس.

جوليا كانت لديها نظرية، فهي كانت تقول:

"ما نحن إلا لاعب الوسط في المدرسة الثانوية، يتحدث عن المرة التي أحرز فيها هدفًا في عام 72، المرحلة الثانوية هي أيام مجيدة للجميع، لكن بالنسبة إلينا فهي مرتبطة بذكريات أزمتنا النفسية. لدينا نفس الحنين إلى الماضي مثل الآخرين، ولكن عندما نعود بأذهاننا إلى ذلك الوقت -المفترض أنه رائع- نجد أشخاصًا يحاولون قتلنا، بالنسبة إلينا، الحنين إلى الماضي والعنف مرتبطان ارتباطًا وثيقًا".

أفكر في جوليا وهي في وحدة العناية المركزة، وجهها مصابٌ بكدماتٍ، آلة تنفس بجانبها، ربما تحطم عمودها الفقري مرة أخرى، أحاول أن أحمِّل نفسي هذا الخطأ.

شيء ما يتخبط في الجانب الآخر من الباب، معدن يحك في معدن، ثم ينفتح الباب، وينسكب الضوء إلى ساحة الانتظار، تندفع حشرات العث خارجة من خلال الشق وأنزلق أنا عبرها إلى الداخل.

"هل رأوك؟" أسأله فيجيبني تومي، أعني سكاي، "مشيت أمامهم بكل ثقة".

"هيا بنا إذن" أقولها وأنا أصعد الدرج.

"ألن نأخذ المصعد؟" يقول من ورائي، لا يزال في الطابق الأول من بئر السلم، ينظر إلى مؤخرتي.

- هل تمزح؟ إنها ثلاثة طوابق فقط.

أقولها له يتذمر، ولكن بعد ثانية أسمع حفيف حذائه الرياضي فوق السلالم ورائي. أنتظر منه أن يلحق بي قبل أن أفتح باب الحريق. الردهة أمام شقتي خالية فأقطعها بسرعة، فآخر ما أريده هو أن يطل أحدهم من عين بابه السحرية ويكتشف وجودنا. يتبعني سكاي ببساطة كأنه لا يهتم.

هناك ثلاثة أشرطة صفراء تغطي بابي من النوع الذي تستخدمه الشرطة، وهناك ورقة مختومة برمز إدارة شرطة بيربانك على القفل الخاص بي، يوجد أيضًا قفلٌ في لوحة مثبتة حديثًا بالباب.

هنا يقول سكاي "اللعنة، هذه نهاية الطريق إذن".

أعبث في حقيبتي، وأخرج جرابًا صغيرًا من النوع الذي يفتح ويغلق بشريطٍ لاصقٍ، أخرج منها مفتاح ألانكيه وأضعه في فتحة القفل ثم أستخدم المنشار الذي حشرته معه. في نحو عشرين ثانية كان القفل قد انفتح. "رائع" يقول سكاي ويطلق صفارة إعجابٍ فأعلق بفخرٍ: "اخفض صوتك".

أقطع الشريط وأدفع الباب لأجد قفصي مهشمًا، لا بد أنهم قد انهالوا عليه بالمطارق الثقيلة؛ المفصلات ملتوية والباب على وشك الانشطار.

الغرفة مصبوغة باللون البرتقالي بسبب أضواء الشوارع، وستائري ممزقة ومبعثرة على الأرض. من خلال النوافذ المكسورة أستطيع سماع زوج يمشيان بالخارج ويتناقشان حول المكان الذي أوقفا فيه السيارة، بينما تضحك الفتاة.

لا يوجد شيء في شقتي، إنها فارغة تمامًا.

"لقد سرقوكِ"، هكذا يقول سكاي الذي انحشر ورائي قبل أن يردف:

- هذا سيئ.
- لكنه دليلٌ.

أقوم بجولة بينما انتظر سكاي عند الباب الأمامي، هناك كتابٌ مفتوحٌ في منتصف أرضية غرفة المعيشة عليه بصمة حذاء، بجواره آثار لشيء جُرَّ عبر الغرفة، آثار دماء جوليا. في الحمام أجد حمالة صدر معلقة فوق الدش، خزائني الأربع جميعها مثقوبة ومفتوحة، فارغة تمامًا.

يجلس سكاي في زاوية غرفة المعيشة، ينظر إلى شيء ما.

- لقد سحقوا نباتك.

دفعته جانبًا.

فاين! أناديه في ذهني، شاعرة بالارتياح لأنه بخيرٍ.

لم أحصل منه على إجابة، فقط صمت بارد قاس. يرقد على جانبه في الزاوية، عود بائس لا قيمة له بينما تتشبث جذوره بكرة من التراب. أجد قدرًا للحساء في المطبخ فأجمع أكبر قدرٍ ممكنٍ من التربة وأضع فاين فيه، لكني أكتشف أنه أكبر مما يجب، أضعه في الحوض لأسقيه.

"هل هذا ما عدتِ من أجله؟" يسألني سكاي وهو على باب المطبخ.

- لا، ولكن لن يستفيد أحدٌ من قتل نبتتي.

يضيف فاين في ذهني: أو يهرب ويتركه ليموت.

أنا آسفة، أقول له، لكنه يعود إلى صمته.

أحمل فاين إلى غرفة المعيشة، جهاز المشي لا يزال موجودًا فوضعت فاين عليه ثم جلست أمام مكتبي. لا أجد فوقه أيًّا من الشاشات، لا توجد لوحة مفاتيح، ولا ماوس، ولا حتى طابعتي. أخذوا وحدة التشغيل المركزية الخاصة بالكمبيوتر التي كان مكانها على الأرض أسفل مكتبي، لكنني أضغط اللوحة التي قمتُ بنحتها في الجدار خلف الأسلاك المتشابكة لتنكشف وحدة التشغيل الحقيقية؛ فالتي أخذوها كانت وحدة مزيفة، واحد لا شيء، اثنان هو واحد، ناموسي الأزلي.

"أريد أن ألج هذه الوحدة"، أقول لسكاي وأنا أخرجها من مكانها ليجيبني: "بالتأكيد، يمكننا أخذه معنا إلى بيت أمي".

- هل يمكنك فعل ذلك هنا؟

يقول: "لديَّ كمبيوتر محمول خرب في صندوق سيارتي، يمكنه أن يؤدي دور الشاشة ولوحة المفاتيح".

- اذهب وائت به بسرعة، أخرج من الباب الخلفي واترك الباب مفتوحًا.

في أثناء غيابه أتوجَّه إلى المطبخ، وأفتح الخزانة تحت الحوض، تظهر لوحة من الجزء السفلي فأزيح زجاجات المنظف جانبًا حتى أتمكن من وضع يدي في الفراغ بين الخزانة والأرضية، تلمس أصابعي شيئًا بلاستيكيًّا، أقوم بسحب كيس الفريزر الكبير، به ثلاثة آلاف دولار من فئة العشرين دولارًا في ثلاث لفافات، أضعهم في حقيبتي.

تمر عشرون دقيقة كاملة قبل أن يتهادى سكاي عائدًا ومعه الكمبيوتر المحمول وكابلاته تحت إبطه، جيل الشباب يحتاج حقًا إلى التعرُّف على ما تعنيه كلمة "بسرعة".

"ماذا؟" يسألني عندما يجدني أرمقه ممتعضة، "قلتِ أن أتصرَّف بشكلٍ طبيعي".

مرَّت دقائق قليلة أخرى قبل أن ينجح في توصيل جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به بوحدة التشغيل المركزية. نجلس على الأرض متجاورين. يتطلب كل ما لديَّ من قوة إرادة كي أجلس ثابتة. ثلاث شاحنات إرسال إخبارية بالأسفل، سيارة شرطة مموَّهة، هي فقط مسألة وقتٍ قبل أن يصعد أحدهم للتحقق من مسرح الجريمة. كل حواسي في حالة تأهبٍ قصوى لو فتح أحدهم أبواب المصعد أو خطا في الردهة، أخشى أن يلاحظوا القفل المفقود ويدخلوا، أو يلمح شخصٌ ما في الشارع انعكاس ضوء شاشة الكمبيوتر المحمول على السقف، أو أن تتلامس ركبتي مع ركبته، أطلب منه أن يسرع فيقول:

- سيكون الأمر أسرع لو عرفت ما أبحث عنه.

- شيء ما ربما قمتُ بتنزيله، أو برنامج قام بتحميل نفسه، طريقة ما تمكِّن شخصًا ما من سرقة محتويات جهازي من دون علمي.

في أقل من دقيقة عكف سكاي على إدخال شفرة وعلامات وأرقام، الأشياء المسؤولة عن تشغيل جهاز الكمبيوتر، قبل أن يقول: "ها هو ذا، لقد قام أحدهم بتحميل برنامج تيم فيووار".

- وما هو؟

- إنه برنامج يسمح بتشغيل نظامك عن بُعد، ويبدو أنه كان هنا منذ فترة، لقد تم اختراقك.

أشعر بالحرج أنه تم اختراق أمني، وأكثر إحراجًا أنه لم يستغرق سوى خمس ثوانٍ لمعرفة ذلك، لقد أصبحت متساهلة كثيرة الأخطاء.

"كيف حدث هذا؟" أسأله متخذة موقفًا دفاعيًّا، "فهذا ليس من صنعي".

"شيء ما قمتِ بتنزيله على الأرجح"، يجيبني فأردف:

- لديَّ جدار حماية جيد وبرنامج مكافحة فيروسات.

- نعم، ولكن بمجرد أن يتم تحميله، يمكنهم عبره تغيير السماحيات، ولذلك تجاهله نظامك.

"كيف وصل إلى جهازي في المقام الأول؟" أسأله وقد جعل التوتر بشرتي تنقبض، "هل دخل أحدٌ شقتي؟".

يقول: "ربما، لكن لا تكوني درامية هكذا، ربما تم إخفاؤه في أحد المرفقات التي نزَّلتِها من رسالة ما".

"لا أقوم بتنزيل المرفقات"، أعترض رغم يقيني أنني أفعل.

لقد قمت بتنزيل مرفقات من إدارة سجون ولاية يوتا، من موقع أمازون، من فتيات المجموعة، لقد قمت بتنزيل مرفقات من رسائل من دكتورة كارول.

طعم فمي سيئ، كنت متعجرفة حين ظننت أنني في أمان، مغرورة وغبية، بالضبط كما كنت قبل أن أقابل آل ووكرز. لقد أصبح العالم أكثر تعقيدًا وأنا لم أواكب هذا التقدم، بينما كنت أحرس باب شقتي تسللوا هم عبر نوافذ جهاز الكمبيوتر الخاص بي.

"افصله عن الكهرباء"، هكذا أقول له باقتضابٍ قبل أن أخرج أدواتي المتعددة، وقد تمكَّن مني الغضب.

يغلق الكمبيوتر المحمول الخاص به ويفصل الكابلات، أفك الجزء الخلفي من وحدة المعالجة المركزية الخاصة بي وأخرج القرص الصلب، ينزلق المفك مني أكثر من مرة من فتحات المسمار الصغيرة، بحلول الوقت الذي انتهيت منه، كانت مفاصل أصابع يدي اليمنى قد صارت تؤلمني. أمسك فاين، وأدخل القرص الصلب في حقيبتي، ثم أغلق وحدة التشغيل المركزية لآخذها معنا.

"اتركيها، فهي بلا فائدة"، هكذا يقول سكاي لكني لا أجيبه.

أغلق القفل بعد خروجنا، يتألم بؤبؤ عيني من إضاءة الردهة، ثم أقوم باستبدال شريط مسرح الجريمة الأصفر، محاولة أن أجعله يبدو كما كان، لا يوجد شيء يمكنني القيام به حيال ختم شرطة بيربانك، ولكن نأمل أن تتجه الشكوك إلى الصحفيين الفضوليين عديمي الأخلاق.

نقوم بقطر وحدة التشغيل المركزية عبر سلم الحريق، بينما يشكو سكاي هامسًا طيلة الطريق أن هذا غباء، لست مضطرة إلى أخذه، لكنه طفلٌ، وماذا يدريه؟ سيعود بعض رجال الشرطة في وقتٍ ما، وإذا وجدوا وحدة التشغيل التي تفتقد قرصها المدمج حتى العباقرة إدارة شرطة بيربانك سيدركون أنني عدت للحصول عليه، لأنه مهمٌّ، وأنا لا أريد أن يبحث أحدٌ عن قرصي المدمج.

لأن عليه كتابي.

***

في سيارة سكاي، وضعت وحدة التشغيل المركزية في مقعده الخلفي وأخرجت مائة دولار.

أقول له: "هذه مائة إضافية كي ترميه في حاوية قمامة ماكدونالد أو جاك إن ذا بوكس، أي مكان للوجبات السريعة؛ سيجمع قمامتهم مقاولو قطاع خاص لاحقًا الليلة أو باكرًا، هكذا نتخلص منها بشكلٍ أسرع".

"إلى أين تريدين الذهاب؟" يسألني.

أخرج مائة أخرى.

- هذا لاصطحابي إلى بيل إير من دون أن تخبر والدتك.

يتردد. "لا أدري إذا كان في إمكاني فعل ذلك، فالعلاقة بين أفراد أسرتنا مبنية على الأمانة".

أُخرج ستين دولارًا.

"هل لديكِ رقم يمكنني الاتصال بك من خلاله؟ "، يسأل وهو يأخذ المال.

- لماذا؟

يقول: "سأبقيكِ في دائرة الأخبار، أطلعك على ما تعرفه أمي".

- لا، بعد أن توصلني، يجب أن تبقى عائلتك بعيدة عنًا.

"هل الأمر مثيرٌ هكذا دومًا معكن؟" يسألني.

- لا، لكنها لن تكون آمنة أبدًا، ما يحدث لنا لا نهاية له.

إن الوقوف في الخارج يجعلني أشعر بالتوتر، لذلك أجلس على الأرض. ينزلق ليجلس سكاي خلف المقود ويغلق الأبواب، جيد، إنه يتعلم.

"أشعر بالأسف من أجلك"، قال ونحن في طريقنا إلى خارج ساحة الانتظار. "تتحدث أمي عنكن أنتن الست طوال الوقت، ما تعيشونه ليست حياة، لماذا لا تقومن بإعدام من فعلوا ذلك بكن؟ يمكنكن بعدها المضي قدمًا".

"سيأتي غيره"، أقول وأنا أضع فاين على المقعد، "على الأقل بهذه الطريقة أعرف من أين يأتي الخطر".

"هل هم مخيفون حقًّا، هؤلاء الرجال؟" يسألني.

- أكثر مما تتخيله.

يحدق إليَّ، ويقول: "لا تكوني بلهاء، هيا، المكان حولنا مظلم تمامًا".

لسببٍ ما، كوني أبدو كالبلهاء يجعلني أشعر بذاتي أمام هذا الطفل. لا، ليس طفلًا، فهو في السادسة والعشرين، وحين كنتُ في مثل عمره كانت حياتي قد انتهت إلى حدٍّ كبيرٍ. أرفع نفسي إلى المقعد، أراعي ألا أحرك ذراع نقل السرعات، ثم أربط حزام الأمان.

- ألا تشعرين بتحسن؟ تبدين كما لو كنت شخصًا عاديًّا.

يقول وهو يرمي لي بابتسامة، هذا الطفل ساحر، أبادله بأفضل ابتسامة لديَّ، ولكني أدرك أنها لا تساوي الكثير.

نقود السيارة لما يقرب من خمس وأربعين دقيقة، نصل إلى شارع 405 قبل أن نتجه إلى التلال، أكره أن أكون بالخارج بهذه الطريقة، لكنني على الأقل أتحرك بسرعة خمسة وسبعين ميلًا في الساعة على الطريق السريع مما يصبُّ في مصلحتي. ننعطف متجهين إلى الأحياء الصغيرة عديمة الإثارة التي تتجمع حول شارع سان ست، ثم بجوار جامعة كاليفورنيا، واتجه عبر شارع ويست جايت، التي تشعرك كأنك

تقود سيارتك عبر خلفيات تصوير سينمائي، وبعد ذلك نتوجه صوب إلى التلال.

لم أكن بالقرب من شخصٍ غريبٍ هكذا منذ ستة عشر عامًا، أشعر أنه شيء طبيعي، يهدئ من روعي. أتحقق من المقعد الخلفي للتأكد من عدم وجود أحد يختبئ هناك، ثم أتحقق من ذلك مرة أخرى. أشعر كأن طبقات من بشرتي تتقشر مع سرعتنا، أخاطر بإلقاء نظرة على سكاي، لديه نفس بروفايل تومي، يذكرني كيف كان يمكن أن تكون الأشياء مختلفة، كان من الممكن أن أصير شخصًا مختلفًا، أستجمع كل إرادتي حتى لا أمد يدي وأضعها على ذراع نقل السرعات، فوق يده.

أشعر بالتوتر، بالرعشة، كأني أريد أن أتحدث، يقشعر جلدي، وخزات صغيرة تتحرك جيئة وإيابًا على ساعدي، أسيطر على نفسي بسرعة وأنتظر حتى نكون على بُعد مبانٍ قليلة من وجهتي، قبل أن أقول: "أنزلني عند الزاوية".

أوقف السيارة، وظللنا في مكاننا كزوجٍ من المحبين في نهاية اللقاء الأول. تصبح اللحظة محمَّلة بالمعنى، تصبح غير مريحة، أرى زغبًا على خده، ذهبيًّا بسبب ضوء الشارع، إنه ينظر إليَّ، تنفسي عالٍ ويضيق صدري.

ليس لديه درعٌ، لا حماية، بل إنه يشبه تومي قبل أن يدق جرس الباب في تلك الليلة. فجأة، أريد أن أعطيه شيئًا، شيئًا ليحافظ على سلامته، شيئًا يمكن أن يذكِّره بي. شيئًا يكون له فقط، ما قد يكون فارقًا إذا حدث له شيء، ما قد يحميه من أن يتحوَّل إلى واحدٍ منَّا.

أنا أتكئ وهو لا يزال ساكنًا جدًّا، توقف صدره عن الحركة، أضع فمي على أذنه، وأشعر بأنفاسي الدافئة والرطبة تحتويها ثنايا أذنه الوردية.

- لا تترك حذرك أبدًا.

إنه ليس بالشيء الكثير، لكنه كل ما لديَّ.

ثم دفعت نفسي إلى أن أخرج من سيارته وأبتعد.

***

إن لم تكن مذيعاً شهيراً فلن يرغب أحد أن تزج بنفسك في ما تنقله من أخبار،
لكن كي نستطيع أن نفهم كيف يعمل هذا العالم المضطرب الخاص بهيذر ديلوكا
لابد أن نفهم كيف جعلت من هذا اللقاء التليفزيوني تحفة فنية من التمثيل. بعد
أن تواصلوا معها عبر الفيسبوك، وعدتهم بمشاركة رسائل وتفاصيل لا يعرفها
أحد عن قصتها، ثم أكدت أن لديها دليلاً مادياً يدين رادولف كرينج، المسجون
لستة مدد حياة متتالية عن جرائم ملك الأحلام. وليس هذا فقط، بل عرضت
أن يتم تصويرها في المدرسة الابتدائية التي كان يستخدمها كعرين للتعذيب، ثم
طلبت ثمانية وأربعين ألف دولاراً مقابل كل ما سبق.
تفاوضوا معها عبر الرسائل النصية حتى وصل الرقم إلى ربعمائة وخمسون
دولاراً.

ولذلك فأنت كقارئ لو رأيت هذا التعدي الصارف على المنطق وتضافره مع
اللامعقلية والادعاءات الكاذبة ونظريات المؤامرة المثيرة للقلق والاشمئزاز يجب
عليك فقط أن تتذكر أن هيذر قد أعطتهم خصم قدره تسعون بالمائة.
ورغم هذا قد تزال تراه رقماً كبيراً.

***

لا أتحرك حتى أسمع سكاي ينعطف بالسيارة، ويقع نور الفرامل على الأشجار، قبل أن يتجه إلى أسفل التل. أتقهقر إلى الشجيرات وأنتظر، ثم أجول ببصري في الشارع لأتأكد من أنه لن يعود، وأن لا أحد يتبعني.

تنوء حقيبتي بالقرص الصلب وتضغط على ظهري الهزيل، لا بد أنه يزن طنًّا، ولِمَ لا؟ فهو مليء بأسرار الجميع.

ألوم راسل ثورن، لقد كان طفيليًّا مستغلًّا، وقد رأى في أحد البرامج الحوارية على السي إن إن فرصة لتحسين مستقبله المهني. في مرحلة ما كان قد أجرى حواراتٍ معنا جميعًا، وفي أثناء ذلك اكتشف أنني أكتسب من نشر الكتب الرومانسية ذاتيًّا تحت أسماء مستعارة، إنها مزحة سيئة، أليس كذلك؟ امرأة لم تكن لها علاقة جادة من قبل تكتب عن الفرص الثانية للمليارديرِ مع معشوقة سنوات دراسته، أو ذلك المزارع القاسي بعد أن كسرت قلبه ناشطة حماية روح البرية. أنا لا أتذمر، لكنني أجيد ذلك، وأنا بحاجة إلى كسب لقمة العيش، ربما أنا جيدة في ذلك لأن كل الرومانسية بالنسبة إليَّ هي دربٌ من الخيال، ليست لديَّ أي تجربة حقيقية تعيقني أو تهز هذه الصورة.

اتصل بي راسل وحاول ابتزازي من دون أن يمارس الابتزاز صراحة، قال عبر الهاتف: "لا أعرف ماذا أفعل يا لينيت، أستطيع أن أبيع هذه المقالة إلى منفذٍ كبيرٍ، وربما أحصل على صفقة كتاب".

"إذا خرجت هذه المعلومة إلى العلن فلن أستطيع الكتابة بعد الآن"، قلت وأنا أشعر بالغثيان من مجرد التفكير في احتمالية وقوفي عارية ومكشوفة مرة أخرى في الشارع، من التفكير في مطاردة كل مشبوه من متصفحي وسائل الإعلام، من اعتقد أن لينيت تاركينجتون مجرد فتاة

أرادت أن تجد الحب الحقيقي، سأضطر إلى حذف كل شيء، سنوات من العمل.

- أحتاج إلى دفع إيجار مسكني يا راسل.
- إذا كنتِ تريدين أن أتجاهلها، فلا بد أن تقدمي لي شيئًا يماثله في القيمة.

"مثل ماذا؟" أسأله فيقترح عليَّ كأنها لم تكن خطته منذ البداية: "لِمَ لا نصطاد عصفورَيْن بِحَجَرٍ واحدٍ؟ لماذا لا نشترك في تأليف عمل أدبي صغيرٍ خاص بنا؟".

ثم وعد بأنه سوف يحصل لنا على دفعة مقدمة من ستة أرقامٍ لكتابٍ عليه اسمانا يعطي لمحة من حياة الفتيات الأخيرة، لكنه لا بد أن يحتوي على مادة جديدة، ويجب أن تكون عن ما هو أكبر مني. ثم سطع العنوان في ذهني: مجموعة دعم الفتيات الأخيرات. لقد كانت مهنة د. كارول مهنة تعتمد على عملها مع الناجيات من الصدمات مثلنا، ربما حان الوقت الذي أستفيد به ماديًّا أنا الأخرى؟ أخبرته أن يبدأ بالتحرك على الفور وتجميع العروض ولكن من دون جلبة، أعتقد أنه تصوَّر أنني سأغذيه بالمعلومات وسيقوم هو بتحويلها إلى نثرٍ خالدٍ، ولكن بعد أن أغلقت الخط أدركتُ: لماذا أحتاج إلى راسل ثورن؟

قررت أن أكتب الكتاب بنفسي، وبمجرد أن يأتي لي بعرضٍ كنت سألتفُّ حوله وأتواصل مع الناشر مباشرة، كانت خطوة وضيعة، هذا صحيحٌ، لكن راسل كان رجلًا وضيعًا، وما إن بدأت في الكتابة حتى غيرت رأيي.

عادة أكتب عن فانتازيا تدور حول التزلج باستخدام الهليكوبتر والجزر الخاصة، لكن الكتابة عن شيء قريب من جرحي بهذا الشكل دمَّر دفاعاتي. خرج كلُّ ما كان مدفونًا بين ضلوعي: إحساس داني بالذنب، إدمان هيذر، ادعاءات چوليا الفكرية، إنكار مارلين، سرطان ميشيل، تعطش الدكتورة كارول إلى الشهرة. خرج مني على الورق في شكل انفجارٍ مستعرٍّ وندمت على الفور على كل كلمة؛ كل جملة، لم تكن إلا خيانة. لم أتمكن من نشره، مهما كنتُ في أمسِّ الحاجة إلى المال، لذلك فقد قطعت كل الاتصالات مع راسل، ودفنت المستند في أعماق قرص جهازي الصلب، لا أستطيع التخلص من كتاباتي بعيدًا، وكم كنتُ حمقاء حين اعتقدت أنها ستكون في مأمنٍ، لكن كان يجب أن أعرف، لا يوجد أمانٌ تامٌّ لأي منَّا.

جُنَّ جنون راسل وهو يحاول الوصول إليَّ، لكنني قمتُ بحجب رقم هاتفه، ووضع عنوان بريده الإلكتروني في قائمة العناوين الممنوعة. لا بد أنه قد شعر بالإذلال حين وجد نفسه مضطرًّا إلى العودة إلى المحررين خالي الوفاض، والإهانة هي نقطة ضعف الرجال. هل كان ما حدث في شقتي من تخطيط راسل؟ هل كان يرتدي سترة واقية من الرصاص؟ هل كان ميتًا حقًّا عندما هربت؟ هل سرق الكتاب من قرص جهازي؟ رغم ذلك فهو ليس من المنطقي أن يأخذه ثم ينتظر چوليا، لكن من كان يعلم عن الكتاب؟ ما كان يجب أن أكتب هذا الكتاب.

كل بضعة أشهر، أعيد قراءة ما كتبته وأحيانًا أضيف إليه شيئًا جديدًا، لكنني أعرف أن الشيء الصحيح الوحيد الذي يجب فعله هو التخلص من الملف تمامًا. لسببٍ ما لم أستطع أن أفعلها، والآن هناك من حصل عليه وهم يعرفون عن حياتنا أكثر مما يجب، بينما تريد الدكتورة

كارول اصطحابي إلى الشرطة، لذا سأهرب إلى المكان الآمن الوحيد الذي أعرفه الآن.

الشارع خالٍ، لذلك أصعد التل، وأتجه ببطء كما لو كنتُ أتنزَّه، أحمل نبات الفلفل في إناء الحساء، على الرغم من أن الوحيدين الذين يسيرون في شوارع بيل آير إما أن يكون في أيديهم لجام كلب وإما على ظهورهم منفاخ أوراق الشجر.

أتوقف عند الزاوية، وأتحقق من المدخل. بجانب البوابة الأمامية أرى رجلًا ضخمًا في بدلة سوداء ماركة توم فورد وحذاء عسكري مصفح، وفي أذنه سماعة، لقد وظَّفت مارلين فرد أمن إضافيًّا، تصرف ذكي، ولهذا أقرر القفز من فوق السور. أخفي فاين في بعض الشجيرات، مما أثار استياءه، ثم أركض من وضع الاستعداد، وأقفز لألتقط بعض الأفرع المتسلقة التي تتشبَّث بالجدار، أرفع نفسي إلى الأعلى.

تصدر الأوراق حفيفًا عاليًا فأتوقف لحظة فوقه لأتأكد من أن أحدًا لم يسمعني. الوضع مستقرٌّ، لكن السور مرتفعٌ جدًّا، لذا أستدير وأتعلَّق من يدي، ثم أترك نفسي لأسقط في الشجيرات على الجانب الآخر.

أهبط على شجيرة فترميني إلى شجيرة أخرى، قبل أن أجد التراب في فمي، أترنَّح واقفة على قدمي، وأبتعد عن مكان هبوطي بأسرع ما يمكن. أظن أن مع وجود حارس عند البوابة يمكنني الذهاب مباشرة إلى بوابة البيت، ولكن مع اقترابي من الطريق الداخلي الطويل، أدرك أن هناك خدمة صف السيارات.

اللعنة.

إن مارلين تقيم حفلة.

لا يمكنك أن تفصل بين هيذر ومخدراتها، أو داني عن ميشيل، أو جوليا عن نظريتها النسوية، ولا يمكنك أن تمنع مارلين توريس عن حياتها الاجتماعية؛ إنه دينها. الأسبوع الذي ركبت فيه تلك الشاحنة إلى اللا مكان، في تكساس، كل ما كانت تحلم به هو أن تظهر للمجتمع للمرة الأولى بشكلٍ لائقٍ، وقد أمضت بالفعل شهورًا تتدرب على انحناءة تكساس التي ستحيي الجمهور بها في أول ظهور لها في حفل سيمفونية ليج أوف أوستن جويل للسيدات.

لكن الشائعات كانت تقول إن شخصًا ما كان ينبش القبور ويهين الجثث، ومجرد التفكير في أن صورة البقايا المحنطة لعميد الأسرة وهي معلقة بالأسلاك على شاهد قبره قد ينتهي بها الحال في الصفحة الأولى كانت كافية لجعل والدة مارلين تذهب إلى الفراش مع المهدئ في يد والفودكا في الأخرى. فرغم كل شيء كان هناك العديد من الإسبان الأصليين ممن مُنِحُوا الأراضي في تكساس، كان يجب عليهم أن يحافظوا على مكانتهم، لذلك توجهت مارلين مع شقيقها وثلاثة من أصدقائهم في ذلك اليوم الصيفي الحار للتأكد من أن جثمان جدهم تورس ما زال في مكانه الموقر تحت التراب.

كان ذلك عندما التقت إحدى عائلات أوستن القديمة بأخرى.

أحاول تجنب التفكير النمطي المكرر، لكن في حالة عائلة هانسن كانوا حرفيًّا ريفيين رجعيين متعصبين ممن يقدسون عرقهم فلا يتزوجون من خارج العائلة، كانوا من قبل أصحاب مسلخ ثم انهارت صنعتهم في تلكم الأوقات الصعبة التي مرَّت بها أجيالٌ عديدة. ماتت آخر نسائهم في بداية ذلك العام، وكان ذكورهم بحاجة إلى التزاوج، ثم جاءت تلك

الشاحنة المليئة باللحم الصغير الطازج فانقضوا عليها كسياح جائعين في بوفيه مفتوح.

هناك خطَّان لا يمكنك العودة منهما بعد عبورهما، القتل هو أحدهما، أكل البشر هو الثاني. أخبرتنا مارلين بما حدث في أحد لقاءات المجموعة، منذ زمنٍ طويلٍ، في بداية الجلسات. كان هناك الكثير من الأمواس الحادة، وسترات مصنوعة من جلد الإنسان، وكان هناك مطارق ثقيلة، وأوعية مليئة بالبقايا البشرية، يحاول معظمنا نسيان التفاصيل.

كانت مارلين هي الوحيدة التي نجت، بقيت في غرفتها طيلة شهري يوليو وأغسطس، مختبئة من الصحافة، ثم قبل أسبوعين من حفل جويل ظهرت وأعلنت أنها ذاهبة إلى الرقص، حذرها والداها من ذلك، حذرها أطباؤها ورجال الشرطة، لكنها ذهبت، وفي ليلة الحفل كانت ترتدي فستانها الأبيض الكبير المنتفخ، وبينما كان جوني ميرسر يغني "نهر القمر" انطوت مثل الوردة لتحيي الجميع بانحناءة تكساس مثالية. وصفها عددٌ قليلٌ من الناس بأنها تافهة، لكننا نعرف لماذا فعلت ذلك. ربما رآها بعض الناس في تلك الليلة تؤدي انحناءة تكساس، لكننا، نحن الفتيات الأخيرة، رأينا سخرية من آل هانسن وتحديًا لهم.

بعد عامٍ، ظهر من بقي على قيد الحياة من أفراد عائلة هانسن عند مبنى محطة إذاعية حيث حصلت مارلين على وظيفة دي جي ليلية، آملة أن تصبح مراسلة أخبار محلية يومًا ما. تعاملت بسرعة مع العم تكس بينما اعتنت الشرطة بفايبر، لكن بادي طاردها حتى قمة الهوائي العملاق، فما كان منها إلا أن هشَّمت وجهه، وألقته من ارتفاع خمسة وثمانين قدم ليسقط على إحدى سيارات الشرطة.

من الصعب أن تواجه المجتمع بعد شيء مثل هذا، لذا انتقلت إلى دالاس بعد فشل زواجها الأول، ثم جربت لوس أنجلوس، حيث وضعت نجل مؤسس شركة التأهيل الأمريكي نصب عينيها، وهي شركة خاصة تمتلك وتدير ثمانية وأربعين منشأة إصلاحية في ثلاثين ولاية، يقدمون خدمات إلى خمسة وثمانين ألف سرير. الآن هي نباتية ملتزمة، متسلقة اجتماعية شرهة، وغنية حتى التوحش، والليلة، التقت تلك الأجزاء الثلاثة من شخصيتها في هذه الحفلة.

سيارة أخرى فارهة ماركة إسكاليد بنوافذ مظللة تتوقف، يدور السائق حولها، ويفتح الباب الخلفي فتنزل شابة نضرة وندية في ثوبٍ بلون الخوخ ويقودها مومياء مسنٌّ في بدلة توكسيدو متعلق بذراعها كأنه يمسك لجامًا. يعود السائق إلى سفينته الأرضية، ويقودها بعيدًا لتلتقط أذني نغمات الحفلات حين يدخل المومياء وحيوانه الأليف البرَّاق المنزل.

أنا حقًّا أكره تكدير صفو حفل مارلين الكبير، ولكن هناك أشياء أكثر أهمية تحدث. قررت أن أتسلل من الخلف، حيث ستكون الحراسة هناك أقل، أعثر على مارلين، وآخذها لنتكلم في سرية. ربما ستكون غاضبة مني في البداية، لكن بمجرد أن أحذرها مما يحدث سأطلب منها السماح لي بالبقاء، فقط حتى أعرف إلى أين سأذهب بعد ذلك، لا يمكنها أن ترفض.

"معذرة"، ينادي رجلٌ من ورائي، "هل لي أن أساعدك؟".

لا أنظر إليه، فأنا أعرف كيف يتكلم رجال الأمن؛ انعطفت إلى اليسار لأشق طريقي عبر الجانب المظلم من المنزل، فوق العشب، نحو الأضواء والضحكات في الفناء الخلفي، أشعر كأنني وراء الكواليس، أستعد للدخول إلى دائرة الضوء.

يقول الرجل: "معذرة" وصوته أقرب هذه المرة.

قبل أن أتمكن من الركض، تشبَّثتْ يدٌ بكتفي.

"قف..".

لا أدعه ينهي كلمته، أدور في مكاني لأتخلص من ذراعه، وأركله بركبتي بين ساقيه. يلتوي ليستقبل ركبتي في فخذه، إنه رجل ضخم في بدلة سوداء، هنا أشعر بالذعر، مددتُ يدي إلى حقيبة وسطي، إلى سلاحي، كان يجب أن أستله منذ البداية. قبل أن أتمكَّن من فتح سحَّابها، أمسك بمعصمي وأدار ساعدي بحيث يكون مواجهًا إلى الأعلى، ضاغطًا كوعي، كان يجب أن أبقي على المسافة بيننا لأنه حين يمسك بك رجلٌ فإن الأمر منتهٍ.

أحاول أن أصل إلى حقيبة الوسط بيدي اليسرى، لكن لويه معصمي يستحوذ على كل انتباهي، يدفع أصابعي إلى الخلف تجاه صدري كما لو كان يطوي كفي على رسغي، يصدر مفصلي قرقعة مؤلمة قبل أن يجبرني على النزول على ركبتي، ثم يطويني على بطني، معتمدًا على ضغط معصمي للسيطرة عليَّ.

قبل أن أدرك ما يحدث، كانت قدمه على الجزء السفلي من ظهري، وحقيبة وسطي منزوعة عني وبعيدة عن متناول يدي، قبل أن يتكلم من خلال سماعة أذنه.

"لدينا دخيلٌ مسلحٌ"، يقول باقتضابٍ وبصوتٍ منخفضٍ.

أتمدَّد، وأحاول أن أصل إلى شفرة الحلاقة الملصقة على كاحلي، فيحول وزنه من دون ذلك، ويضع قدمه الأخرى على معصمي.

شيء واحد يجب أن أقوله عن مارلين، إنها لا تدخر مالًا للحصول على أبرع رجال الأمن.

سقط ضوء المصباح على وجهي، وقام شخصٌ ما بربط معصميَّ معًا.

لقد سار الأمر بشكلٍ سيّئ، ماذا سيفعلون بي؟ أحاول المقاومة لكنهم يبقونني في مكاني من دون أي جهدٍ.

قال أحدهم، "اتصل بالشرطة، سنضعها في المرآب حتى يصلوا"،

هناك وقفة ثم تمتمات متناثرة لـ "سيدتي".

يهزني أحدهم لأجلس معتدلة، معصمي مقيدٌ وراء ظهري، أمامي تقف مارلين ترتدي شيئًا انسيابيًّا ذا لون رمادي فاتح يبدو باهظ الثمن. عظامها متينة وبشرتها شديدة النضارة واللمعان، شعرها الداكن كثيفٌ ورائعٌ، جسمها كله في حجم عضلة ساعد أحد رجال الأمن.

"أوه، لين"، تقول وهي تتنهد بينما أرى كأس نبيذ في يديها، "من اللطيف منك أن تزوريني، لكن لا يمكنك أن تكوني هنا الليلة".

أقول "علينا أن نتحدث".

قال لي أحد الفتوات: "حسنًا يا آنسة، أنت بحاجة إلى التوقف عن الكلام الآن".

بدأتُ بالصراخ، سيأتي ذلك بأحدهم راكضًا.

تشق صرختي الثانية الهواء، فيكفهر وجه مارلين وينحني أحد الحراس على ركبتيه ليضع يده على فمي.



تقول مارلين: "اجلبوها إلى الخلف، سنضعها في كوخ الضيوف"، ثم تستدير إليَّ قائلة: "سنتحدث لاحقًا، موافقة يا صديقتي؟".

أقضم راحة اليد الناعمة الغارقة في العرق التي تغطي وجهي، وأطحنها بأسناني، حتى شققت جلده، لكنه لا يحجم عن مسكته.

"إذا جعلتُه يرفع يده، هل ستلتزمين الصمت؟" تسألني مارلين، أهز رأسي موافقة، فيرفع يده، لأبدأ بالصراخ مرة أخرى.

"لينيت!" تنفجر مارلين فأتوقف عن الصراخ، "عندي ضيوف! أيًا كان ما جئتِ من أجله يمكنه الانتظار، لقد انفطر قلبي على أدريان وجوليا، يمكننا التحدث عن ذلك لاحقًا وسيكون رائعًا، لكنَّ هذا الحفل من أجل حيوانات السيرك المتقاعدة، وهو مهم جدًّا بالنسبة إليَّ، هل تفهمين؟ لقد عانت هذه الأسود بما فيه الكفاية".

"ساعة واحدة"، أقول لها فتتنهد مرة أخرى وتكرر:

"حسنًا، لطيفٌ منك أن تأتي للزيارة".

تميل إلى الأمام وتعطيني قبلة كبيرة على خدي تاركة بصمة أحمر الشفاه. هنا، خلف جدرانها مع كاميراتها وحراسها، يمكنها أن تصير الشخصية الاجتماعية الطائشة التي طالما أرادت أن تكونها.

يرفعني رجل الأمن البغيض لأقف، ويقودني حول الفناء الخلفي.

تقول مارلين: "فك وثاقها، هذا ليس أحد سجون مقاطعة جيري".

"ساعة واحدة"، أذكِّرها بينما كان الأبله يفك قيودي.

نتجنَّب الأضواء ونحن نسير بحذاء الفناء الذي يمتد على يميني والذي يعج بالفوانيس الصينية المعلقة. أستطيع أن أرى العجائز الأغنياء مع زوجاتهم المحظيات حول دفايات معدنية طويلة تمتد فوقهم

كأبراج المراقبة. لا يحمي أحدٌ ظهره ولا يراقب المخارج والمداخل أو يظهر أي وعي بالمكان حوله. على يساري تنتشر أضواء لوس أنجلوس عبر سواد خلقته التلال، أنوار تبدو أنظف وأكثر رونقًا مما يجب، يمكن لهذا المنظر أن يخدعك حتى تظن أن العالم مكانٌ جميلٌ.

"لا تتلكئي"، يقول أحد الحراس وهو يدفعني إلى الأمام بوكزة في أسفل ظهري.

أمامي، على الجانب الآخر من حمام السباحة الأزرق المتوهج بالأنوار، يوجد أحد الأكواخ من تلك التي تنتشر في دول البحر الأبيض المتوسط بسقفها المميز من القرميد الأحمر، كوخ كبير بما يكفي لعائلة صغيرة. في وهج الفوانيس الورقية المتدلية من الأشجار أرى أحد الحراس يقف بجانب أبواب الكوخ فرنسية النمط ويداه مشبوكتان خلف ظهره.

قاموا بفتح قفل الباب الهوائي المحكم، ودفعوني إلى الداخل لأنتقل من برودة الليل إلى جفاف التدفئة المركزية. كان بيت الضيافة مضاءً ومليئًا بأثاثٍ من القرن التاسع عشر، البلاط ضخمٌ ومعشق والجدران مغطاة برسوماتٍ مكسيكية راقية من تلك التي تتميز بنقاطٍ ملونة وخطوطٍ متعرجة. تنتشر منحوتات معدنية على شكل أرانب ونمور الجاجوار وببّغاوات وثعابين في جميع الزوايا، إنه كوخ مليء بأشياء لا أستطيع تحمُّل ثمنها، أشياء لطيفة، توحي بالاستقرار، تلك الأشياء التي تمتلكينها عندما لا تكونين بحاجة إلى الهروب من الباب في اللحظة التي تأتي فيها الكارثة باحثة عنك، تلك الأشياء التي يمكنك امتلاكها فقط حين يكون في إمكانك توفير الأمن لحمايتها.

في وسط كل هذه الفخامة المثيرة للغيرة، تجلس هيذر واضعة قدميها فوق طاولة القهوة وهي تشاهد التلفزيون، تدخن سيجارة وترمي الرماد على الأرض ثم تنظر إليّ، كأن كل شيء على ما يرام.

- كيف حالك يا لين؟ حفلة تافهة، أليس كذلك؟

***

كانت المفاجأة من القوة مما منعني من النطق لمدة دقيقة كاملة، لكن لا بأس، فهيذر ستتكلم بالنيابة عني.

"مرحبًا، هيذر"، قالت ساخرة من أنه من المفترض أن يكون أنا من يقولها. "سررت لرؤيتك يا هيذر، سعيدة لأنكِ على قيد الحياة يا هيذر، أحسنت القرار بمجيئك إلى مارلين يا هيذر، لقد كنت أركض في جميع أنحاء المدينة طوال اليوم مثل الغبية".

إلى يميني يوجد مطبخٌ مفتوحٌ خلف كاونتر، ممرٌّ مظلمٌ على يساري، وغرفة المعيشة أمامي بأبوابها الفرنسية التي تجعلها تبدو كأنها مدخلٌ إلى غابة مظلمة، أخطو فوق ساقي هيذر وأغلق الستائر.

تقول: "كنت أريدها مفتوحة".

لا توجد طريقة لحجب الرؤية من خلال نوافذ المطبخ أو من النوافذ التي تمتد من الأرض إلى السقف في ركن الطعام. الثلاجة فارغة إلا من ليمونة ذابلة وعلبة صودا طبيخ وعلبة مياه فوارة، ووجدت سكاكين لحم في الدرج الثالث فآخذ منها اثنين.

"هل هناك سببٌ لتكدير صفوي هكذا؟" تسألني.

أذهب إلى الممر، وأبدأ في فحص بقية المنزل.

"هذا مضيعة للوقت لأنكِ ستغادرين"، هتفت هيذر.

هناك غرفتان في الطابق العلوي، كلاهما فارغٌ، أتحقق من الدواليب، تحت الأسرَّة، خلف الستائر في الحمام المشترك، تحت الحوض، في كل مكان أذهب إليه أترك الأضواء مشتعلة فأنا لا أستطيع تحمُّل الظلال لا يمكنني ترك أي أماكن تصلح للاختباء، ثم أعود إلى الطابق السفلي.

"هل يمكن غلق هذا الباب بالمفتاح؟" أسألها وأنا أحاول العثور على قفل الباب الأمامي فتجيبني هيذر، وهي تشعل سيجارة أخرى باستخدام شعلة تلك التي انتهت منها لتوِّها: "لا أتمنى هذا".

- هذا سوف يبطئك فقط إذا أطلق أحدهم عليك النار، عليك الهروب بسرعة وتركي أنزف حتى الموت على الأرض.

أعتقد أنها سمعت عما حدث لجوليا.

"لقد كانت معركة"، أقول، وأنا أتقدَّم نحوها، محاولة أن أخفي إحساسي بالخزي أسفل قناع الغضب. "كان عليَّ أن أتخذ قرارًا لحظيًّا"، تلتقي عينانا فأتوقف عن التقدم، وأضيف بنبرة ضعيفة، "وقد تأكدت أن جوليا بخيرٍ".

"أنا متأكدة أنكِ فعلتِ، أيها الأسد الجبان"، كما تقول وهي تلقي بعقب السيجارة في زجاجة المياه، حيث تصدر هسيسها المميز حين تنطفيء.

- هل تعرف مارلين أنكِ هنا؟

"طلبت مني أن أنتظر"، أجبتها قبل أن أنزل لأجلس وأسند ظهري إلى الحائط بجوار الباب الأمامي، المكان الوحيد الذي يكون بعيدًا عن مرمى نوافذ المطبخ المفتوحة على مصراعيها، قبل أن أستطرد، "قالت إنها ستتحدث معي بعد مرور خمسين دقيقة".

تقول هيذر: "حسنًا، شخصٌ واحدٌ هنا يكفي، اثنان يجعله مزدحمًا، وقد كنتُ هنا أولًا".

"لماذا أنتِ هنا؟" أسألها.

- لقد انفجر منزلي اللعين واحترقت كل أشيائي، فأتيت إلى مارلين. إن تلك المرأة تقطر مالًا، إلى أين كنتِ ستذهبين لو حدث هذا معك؟ أجعل أحدهم يطلق على جوليا النار وأهرب لأبكي مثل الطفلة الصغيرة؟ حسنًا، ليس هناك مكانٌ لكِ في بيت مارلين.

- أريد فقط التحدث إلى مارلين، هذا أمرٌ جادٌّ.

تجيبني: "بالطبع هو أمرٌ جاد، هل رأيتِ الطابق العلوي؟ هناك جاكوزي، سوف تضطرين إلى جرجرتي من ساقي لأترك هذا المكان، وسوف أقاتلك بضراوة".

"هل لديك أي فكرة عما يحدث؟" أسألها.

- أعرف بالضبط ما يحدث، مارلين تمتلك منزلًا بمساحة رهيبة لا تعرف ماذا تفعل بها. أعتقد أنني أقدم إليها خدمة بالبقاء هنا ما دام زوجها جيري ليس هنا، أُخَيِّم في بيت الضيوف الصغير هذا طوال المدة فهي لديها خدم ليفعلوا كل ما أريد، سوف نتقوقع معًا، أنا ومارلين، حتى ينتهي كل هذا، أود أن أجعلك تبقين لتحمي ظهري لكن ليس لديَّ رغبة في الموت.

قلتُ لها: "الشرطة تبحث عنكِ".

- ما هو الجديد؟ لقد نمتُ في الغابة خلف بيتي، حسنًا، سأكون صادقة معك الآن، لقد فقدت الوعي، بعد المجموعة؟ لقد

كنتن قاسيات عليَّ أيتها السافلات، أكثر مما تحتمله إرادتي للبقاء واعية، أدريان ماتت؟ هذا هو نوع الهراء الذي يجعلني بحاجة إلى الشرب، لذلك قمت بتوفير بعض النقود، واشتريت القليل من الفودكا، وشربتها في الغابة. استيقظت بصداعٍ قاتلٍ وتهاديت حتى وصلت المنزل في الوقت المناسب كي أرى كل ما أملكه مشتعلًا ورجال الشرطة ينتشرون في كل مكانٍ؛ أوقفت سيارة أجرة وصرفت خمسة وأربعين دولارًا كاملة حتى وصلت ليل آير.

أقول لها: "هناك من يسدد فوهة سلاحه إلينا جميعًا".

تقول هيذر: "سأبدأ في السباحة، أحصل على جسدٍ مثالي، وأتخلص من بعض هذا الشحم".

تضغط حزامًا غير مرئي من الدهون فوق بنطالها الجينز وتهزه؛ هيذر عبارة عن حزمة هزيلة من الأسلاك المضغوطة في الجينز المهلهل، ومغطاة بالكدمات، لكن في رأسها لا تزال ترى كل تلك الدهون التي كانت لديها في فترة الدراسة الثانوية.

"نحن بحاجة إلى وضع إستراتيجية"، أقول لها متجاهلةً ضعفها.

"إستراتيجية؟" تقول ضاحكة وهي تعبث في حقيبتها، تسحب

سيجارة ملفوفة باليد وتشعلها باستخدام سيجارتها، واضح من الرائحة أنه ليس تبغًا. "ماذا ستفعلين؟ سترتدين زي المرأة الوطواط وتتأرجحين في أنحاء المدينة؟".

"كيف عرف هذا الشخص مكان بيتك؟" أسألها، "كيف عرفوا أين تسكن أدريان؟".

ولكن حتى عندما أقولها فأنا أعرف من أين: من جهاز الكمبيوتر الخاص بي، لا بد أن عناوين منازلهن كانت في مكان ما به.

تقول هيذر: "منزلي صُنِع من أجل المدمنين الذين يحاولون التعافي، ولذلك فهو به من يدخن بشراهة، ولهذا فاحتراقه ليس غريبًا، توقفي عن محاولة أن تكوني بطلة، الكل يشعر بالأسف من أجلك لأنكِ مصابة بجنون العظمة والأو سي دي، الوسواس القهري".

أقول لها: "أعرف ما هو الأو سي دي".

تقلدني: "أعرف ما هو الأو سي دي، ها أنتِ ذا تتكلمين مثل فورست جامب ثانيةً، بالكاد تستطيعين أن تعبري من الباب من دون أن تتعرضي لانهيارعصبي، وتريدين مساعدة شخص ما؟ لا يمكنك حتى ارتداء الملابس بنفسك. أنت مثل صبية لعينة في الثانية عشرة من عمرها، في اللحظة التي تتأزم فيها الأمور ستختفين مثل بامبي".

- علينا أن نحمي بعضنا بعضًا.

- هذا جميل، لكنك مريضة ووضيعة بما يكفي للتخطيط لهذا الأمر برمته للحفاظ على المجموعة معًا. من بين الجميع، أنت أفشلنا في التخلي عن الماضي.

ثم كأن الكون يتحد مع هيذر لإثبات وجهة نظرها، يطل علينا هذا الماضي من شاشة التلفزيون.

- ارفعي الصوت.

تقول هيذر "ارفعيه بنفسك"، ثم التفتت إلى شاشة البلازما قبل أن تقول: "اللعنة، إنه صاحبك".

جاريت بي كانون على الشاشة وأنا متجمدة في مكاني، الزمن لم يكن رحيمًا به، فهو يرتدي قبعة وربطة عنق مما يرتديهم رعاة البقر، ملبسه كله باللون الأبيض الكريمي مع رمادي كأجنحة الحمام، وقد نما له شاربٌ أبيض كثيف، ربما ليعطي وجهه الذابل بعض الضخامة، رقبته مترهلة وأسنانه تبدو شديدة البياض على جلده الذي لفحته الشمس.

أقرأ شريط الأخبار في الجزء السفلي من الشاشة: مستجدات صادمة في قضية القتل الليلي الصامت. أحملق إلى حركة فم جاريت الرطب، الطريقة التي يستمتع بها بوجوده أمام الكاميرات مثل الزواحف التي تتشمَّس على صخرة، إذا كان هناك شخص واحد لم أرغب في رؤيته مرة أخرى فهو جاريت.

صوته رفيع كالفأر، لا أستطيع أن أتحكَّم في نفسي فأبحث عن جهاز التحكم عن بُعد، وأرفع مستوى الصوت لأجده يقول:

"... ظللت سنوات أكرر أن هذه القضية لها رائحة عفنة"، يبطئ من سرعة كلامه ويستطرد: "وبعد استمرار تحقيقات دقيقة من جانبي كشفت عن معلوماتٍ جديدة".

تقول هيذر: "على الأقل هناك من تثيرينه".

"من دون شكٍّ سوف نسعى إلى الوصول إلى لينيت تاركينجتون لنستكمل الاستجواب". يتابع جاريت، "أتلقَّى تعاونًا غير مسبوقٍ من شرطة لوس أنجلوس، ونحن في هذه اللحظة نحاول الوصول إلى الآنسة تاركينجتون، في ولاية يوتا، ترتدي العدالة حذاء رعاة البقر، ونحن مستعدون دائمًا لركل... تيت".

تنتقل الكاميرا مرة أخرى إلى مراسلة تحدق بجدية إلى العدسة وهي تقول: "جاريت ب. كانون، بطل القانون، يعلّق على معلوماتٍ متفجرة جديدة متعلقة بقضية جرائم قتل الليل الصامت، انضموا إلينا غدًا حين تعطينا نانسي جريس قراءتها للموضوع".

"هل قالوا ما هو؟" أسأل هيذر لتجيبني وهي تسحب مفصلها بقوة: "ألم تسمعي؟ هناك معلوماتٌ جديدة متفجرة، ربما كنت أنت من يقتل الناس، أيتها المريضة النفسية الصغيرة".

مهما كان الذي يحدث، فأنا أعلم أنه ليس لديهم أي شيء يدينني، إذا كان لديهم، فإن جاريت لن يكون قادرًا على إبقاء فمه مغلقًا. حقيقة أنه كان متحفظًا يعني أن يديه مغلولة، ويريد إبقاء الكاميرات على وجهه لأطول فترة ممكنة. آخر مرة كان لدى جاريت "قنبلة معلومات جديدة" كان حين انتهى من كتابة السيناريو الخاص بالجزء الجديد الذي سيحيي الامتياز السينمائي.

تقول هيذر: "هذا مملٌّ للغاية، أحتاج إلى مشروبٍ، لم يظهر شيء من العدم في تلك الثلاجة اللعينة خلال الدقائق الخمس الماضية، أليس كذلك؟".

تقف لتفحص الثلاجة، وتغلقها بقوة ثم تلتقط حقيبتها وتفتح الباب الأمامي، فيهرع على الفور رجال الأمن ذوو البذلات السوداء ليسدُّوه.

"آنستي، سأضطر إلى أن أطلب منك العودة إلى الداخل"، هكذا يقول لها القصير الأصلع عريض المنكبين الذي يسد المدخل.

تقول هيذر: "سيدي، سأطلب منك أن تذهب إلى الجحيم".

"آنستي..."، يجيبها قبل أن يردف، "لن أكرر طلبي".

تقول هيذر: "دعني أخبرك بما سأفعله، سأذهب إلى تلك الحفلة للتحدث إلى صديقتي العزيزة، السيدة مارلين بليك، التي تدفع راتبك اللطيف، إذا وقفتَ في طريقي سأذهب إلى القفز في ذلك المسبح، وأعري نفسي، وأترك هذه المجموعة من المتبرعين المدللين تأخذ فكرة دقيقة عن شكل الثدي الطبيعي".

يلف القصير المدكوك يده حول ذراعها ويعصرها.

"آه، أيها اللعين"، تخرج من هيذر كالفحيح، "سأصرخ".

"هل يمكنني الحصول على المساعدة في الموقع اثني عشر"، هذا ما قاله القصير المدكوك في سماعة أذنه.

أجلس بعيدًا عن المشاكل، فأنا بحاجة إلى مكانٍ للمبيت الليلة. داني بأمانٍ في السجن، جوليا في الأغلب تحت حماية الشرطة في المستشفى، وبينما لا أحب فكرة أن أجتمع مع مارلين وهيذر في مكانٍ واحدٍ، لكنه على الأقل آمنٌ.

خلف القصير المدكوك أرى عملاقين متطابقين يهرولان ناحيتنا وخلفهما مارلين، يسدون الباب، يتدافعون للدخول ويدفعون هيذر معهم.

"أعتذر لك، سيدة بليك"، يقول القصير المدكوك حين تظهر مارلين من بين التوأمين.

تبتسم مارلين فتنعكس الأنوار على أسنانها المثالية، وتظهر معها غمازتاها.

"لا بأس ، توم"، ثم نظرت إليّ بعينين ميتتين، "لقد أخبرتك أن تنتظري هنا".

تقول هيذر: "لقد شعرت لين بالجوع يا صاح، هل حاولت من قبل أن تمنعها؟ إنها مثل المدمر الآلي حين تكون كذلك".

تجيب مارلين، وشفتاها بالكاد تتحركان: "ستبقيان هنا حتى آتي إليكما، هذا ليس أمرًا قابلًا للمناقشة".

"نحن لسنا سجناءك"، تقول هيذر بتقاطعها مارلين:

"لستن ماذا؟ لقد جئتِ إلى منزلي، ودفعت لكِ أجرة التاكسي، وأعطيتكِ مكانًا للمكوث وتقولين سجينة؟".

"لقد اقتاد هؤلاء الرجال لينيت إلى هنا كما يفعل النازيون"، تقول هيذر دفاعًا عني.

"أنا لستُ متورطة في شيء، أنا فقط بحاجة إلى مكانٍ للمبيت"، أقول لمارلين فتهاجمني قائلة:

"هل هذا كل شيء؟ تتسللين من فوق جداري ومعك سلاح ناري مثل الهجامين فقط كي تجدي مكانًا للمبيت؟ السبب الوحيد الذي منعني من الاتصال بالشرطة هو أن الأسود شديدي المرض والعجز يحتاجون إلى مأوى، والأشخاص الذين سيدفعون مقابل هذا لا يحبون الفضائح".

أقول لها: "مارلين، هي فقط ليلة واحدة، سنكون بخير".

تميل إلى الداخل وتقول من بين أسنانها المبتسمة:

"لولا هذه الحفلة لكنت قد أمرت رجال الأمن بإلقائك خارج القصر مع حقائبك، بينما أحتسي النبيذ الأبيض وأضحك".

ينتبه حراس الأمن بعد جملتها هذه، لكن هيذر تتدفعهم وهي تهتف "تبًّا لك"، بالكاد أخذت خطوتين قبل أن يلوي رجال الأمن ذراعيها خلف ظهرها.

قالت مارلين وهي تستدير لتذهب: "لن أكرر نفسي، لا تخرجا من هنا".

ألقى رجال الأمن هيذر على الأريكة، وخرجوا من الباب قبل أن تستقر مكانها.

"لا يمكنكِ معاقبتنا بإرسالنا إلى غرفتنا يا أمي!" صرخت هيذر قبل أن تركض إلى الباب وهم يغلقونه في وجهها.

أنه مغلقٌ، ظلَّت ترطن لخمس دقائق كاملة قبل أن ينفتح الباب ويتدفق من خلاله عددٌ من الخدم، قبل أن يغلق رجال الأمن الثلاثة الباب مرة أخرى. يضعون الأطباق في الممر: شطائر جيلي الزنجبيل على كعك خالٍ من الجلوتين، كرات أرز بالفطر، ولفائف السوشي النباتية. بالطبع كل شيء نباتي. تعطي هيذر تعليقاتٍ حادة لكل شخص يضع الطعام، ولا تتوقف إلا عندما يضع النادل الأخير ثلاث زجاجات من الشمبانيا في الثلاجة وهو يقول:

"تحية من سيدة المنزل"، ثم انبعث الدخان ليتبخروا من الوجود، وتصير الغرفة فارغة والباب مغلقًا. أقوم بحشو فمي بالطعام، لم أدرك كم كنت جائعة حتى أخذت أول لقمة.

تملأ هيذر كوبًا بالشمبانيا وتعود لتوبيخي.

"كان الأمر يسير بشكلٍ جيدٍ حتى ظهورك، أتعلمين؟ أنت حمقاء يا لين، لطالما اعتقدت ذلك".

أستمر في الأكل، أحتاج إلى طاقة في حال اضطررت إلى الجري.

تستطرد: "أنتِ شديدة الهدوء، ويعتقد الجميع أنك حزينة ومخبولة، لكني أراهن أنكِ تعرفين أكثر مما تقولينه".

كنَّا قريبتين، أنا وهيذر، لكن عندما أدركتُ كم هي غير متزنة حتى بدأتُ في الحفاظ على مسافاتي منها. ما حدث لكل واحدة منا كان قبيحًا بما يكفي، لكنها الوحيدة التي تشعر بالحاجة إلى تجميل الأمر. منذ أن ابتعدتُ عنها جعلتني هدفًا لها، وهو ليس خطأها، لكنها المخدرات. ومع ذلك، أشعر بالتوتر لأنها تعتقد أنني أعرف المزيد عما يجري مما أقوله، لأنني بالفعل أعرف.

رغم سخافة هيذر، أبقى معها، أخبرني أحدهم ذات مرة أن كل ما عليك فعله للنجاة من هجوم الدببة هو الجري أسرع من صديقتك، وهكذا سيكتفي بها الدب، نفس المبدأ هنا.

بعد الكثير من الإهانات وزجاجتين من الشمبانيا، انفتح الباب واقتحمت مارلين المكان، كوب من الماء المثلج بيدٍ واحدة، مرتدية رداءً ضخمًا من القماش، ملفوفًا ومثبتًا حول جسدها في حلقاتٍ رقيقة وفضفاضة، خلفها خادمة تحمل فاين في أصيصه.

"هل هذا يخص أيًا منكما؟" فرقع مارلين بأصبعها، "وجده رجال الأمن في الخارج".

أكاد أصيح فرحًا، لكن بدلًا من ذلك أبقي فمي مغلقًا وآخذ الوعاء بكلتا يديَّ مغمغمة: "شكرًا".

"هل حصلت على نقود الأسود اللعينة؟" تقول هيذر وهي تلوح بكأسها في وجه مارلين، أطاحت به مارلين من يد هيذر ليطير ويرتطم بالحائط، فتغمر الشمبانيا وجهي.

"بحق الجحيم؟" تهتف هيذر وهي تحاول الوقوف، لكنها في حالة من السكر جعلتها تسقط مكانها مرة أخرى. تبصق مارلين حروفها من الغيظ:

"إنها الواحدة صباحًا وبيتي فارغ، هل تعرفين ما يعنيه هذا؟ يعني أنه حفل جمع تبرعات فاشل، لقد أنفقت مبلغًا خرافيًا، لكن الحفلة فشلت لأنه منذ ساعة من هذا"، حيث استدارت لتهاجمني، "هناك من صعدت فوق جداري بمسدسها ونباتها المنزلي الغبي، ثم ظهر المصورون الفضوليون".

"لقد أخبرتك أنها ستسبِّب المشاكل"، تقول هيذر مشيرة بإصبع مرتعشة نحوي.

"يريدون معرفة سبب اختباء فتاتين أخيرتين في بيت الضيوف عندي".

تهتف مارلين، "إنهم يعرفون اسميكما، لذلك أنا أحمِّلكما المسؤولية".

"كيف عرفوا أننا هنا؟" أسألها فتجيبني:

"لقد تبعوك، لأنك أصبحت مهملة وغير مبالية".

لم أرَ أحدًا خلفي أنا وسكاي، هل مرُّوا من تحت ناظري؟ ربما لمحتنا إحدى شاحنات نقل الأخبار عند منزلي وتتبعونا إلى هنا؟ لقد مرَّت أشياء كثيرة تحت ناظري في الآونة الأخيرة، أشعر بكبر السن والبطء، والغباء.

أقول لها "هذا ليس جيدًا، هذا المراسل، راسل ثورن، لقد أصيب بعيارٍ ناري في شقتي، ثم حاولوا إطلاق النار عليَّ، ثم أطلقوا النار على چوليا وأحرقوا منزل هيذر، والآن يعرفون أننا هنا".

تقول مارلين: "هم؟ من هم؟ هل توقفتِ عن تناول أدويتك مرة أخرى؟".

"أنا لا أتناول الأدوية"، أجيبها وأنا أعض على فكي من الغيظ، فتقول مارلين: "حسنًا، نحن نعرف الآن مشكلتك".

أقول: "هناك من يحاول قتلنا، هذا كل ما جئتُ إلى هنا لأخبرك به، يمكنكِ التعامل مع هذه المعلومة كما تريدين، أنا فقط بحاجة إلى مكانٍ آمن لليلة واحدة".

الشخير يشق هواء الغرفة، لقد أغمي على هيذر على الأريكة، تأمّلناها لوهلة، ثم اجترعت مارلين رشفة طويلة من كأسها، إنه ليس ماءً مثلجًا، إنه فودكا.

تقول مارلين: "بالطبع يمكنك البقاء هنا الليلة"، وللمرة الأولى بدت متعبة، "أردتُ حقًّا مساعدة تلك الأسود".

ساد الصمت دقيقة ما عدا شخير هيذر.

"هل سمعت أي شيء عن ميشيل؟" تسألني.

أعلم أن مارلين وداني صديقتان مقربتان، كانتا دائمتي الاتصال هاتفيًّا لسنواتٍ قبل أن تبدأ اجتماعات المجموعة، داني لها مكانة عزيزة في قلب مارلين، وهذا يعني أن ميشيل لها مكانة أيضًا، فهي توأم داني الروحي.

- إنها في مأوى صحي.

أجيبها وتسري في جسدي رعشة باردة، لأن هذا يعني أن الجميع في مكان آمن باستثناء ميشيل.

تقوم مارلين بتدليك طول أنفها بإصبعيها، وهي تقول:

"أنا بحاجة إلى التَدَبُّر في ما يحدث، سأجري بعض المكالمات في الصباح ثم نتكلم، المنزل مُأمَّن ورجال الحراسة يحمونه طوال الليل، لذا من فضلِك، لا تغادري بيت الضيافة".

أشعر بتأنيب ضمير عندما أترك هيذر في غرفة بها هذا الكم من النوافذ، لكنها أثقل من أن أرفعها. أطفئ الأنوار وأتحقق من الأبواب، ثم أصعد إلى الطابق العلوي. أخفي القرص الصلب داخل فراش غرفة النوم، ثم أنام في حوض الاستحمام مع بابٍ مغلقٍ وأضواء مضاءة.

أستلقي في حوض الاستحمام، قررت الخروج من هنا في الصباح قبل أن يستيقظوا، سأغادر قبل شروق الشمس، أقول لنفسي إنه لا يوجد شيء يمكنني فعله لميشيل، لا أستطيع أن أكون مسؤولة عن الجميع وأنا بالكاد أستطيع أن أكون مسؤولة عن نفسي.

فاين يجلس على المنضدة في وعائه، لكنه هادئ للغاية، وأخشى أن يكون في حالة صدمة، فقد مرَّ بالكثير في يومٍ واحدٍ، وكل هذه التغييرات ليست صحية له.

***

استيقظت على هيذر وهي تدق باب الحمام.

"يجب أن أستخدم الحمام، أيتها الحمقاء"، صرخت في الخارج بينما كنت أعاني لأفيق مع دفعات الأدرينالين. "استخدمي الآخر"، أصرخ مرتبكة وصوتي يرتعش، أرى أشعة الشمس على بلاط الأرضية، لقد نمت كثيرًا.

صرخت: "أريد استخدام هذا".

لن تتوقف عن دق الباب حتى أخرج إليها. "غريبة الأطوار!" تهتف حين ترى بطانياتي ووسائدي في حوض الاستحمام.

أنظر من النافذة، الجو هادئ بالخارج، فقط عدد قليل من الطيور. أشعة الشمس عبارة عن ذهب سائل بينما يتصاعد البخار فوق سطح حوض السباحة الساخن؛ لقد فات أوان الهروب.

أنزل إلى الطابق الأرضي، وأمشي في هواء الصباح البارد إلى منزل مارلين. في المطبخ المبني بأكمله من الحجر الرملي، وعلى المائدة الشبيهة بجزيرة من الرخام الأسود، يربض طبق فواكه وخبز بيغل وكريمة الجبن. مهما كان ما يحدث حولها، لا تستطيع مارلين ألا تتصرف كمضيفة.

تقول الأخيرة من فوق السلم، من حيث لا أراها: "ليس لديَّ طاقة للوقاحة، ائتي بطبقٍ وتعاليْ، هناك شاي بالخارج بجوار القهوة".

نجلس بالخارج على طاولة خشبية تحت سرادق ذي عوارض خشنة ملتصق بجانب منزلها. تتدلى فقاعات بلاستيكية تحتوي على كاميرات من زوايا السقف، لا توجد نافذة من دون نظام إنذار، يقف عملاقان في سترات رياضية عند طرف الفناء.

تقول: "الآن، وبعد أن تناولتُ فنجان القهوة الثاني، أخبريني لماذا تعتقدين أنهم يحاولون قتلنا".

- يجب أن أتحرك يا مارلين، هل هناك طريقٌ خلفي للخروج من هنا؟
- هل تعتقدين أنني جيمس بوند؟ تكلمي وسأخرجك من المقدمة لاحقًا.

أشرح ما يجري من دون التطرق إلى كتابي. في منتصف الحديث، تظهر هيذر وتطفو هائمة إلى المطبخ، ثم تظهر وفي يدها سيجارة، تجعلها مارلين تجلس بعيدًا عنًّا حتى تنتهي منها، وتأنُّ معترضة حين ترمي هيذر بقايا سيجارتها في حوض السباحة.

أقول "أنا بحاجة إلى الذهاب، أنتم يا رفاق في أمان، داني في الحجز، جوليا لديها من يحميها، لكني بحاجة إلى الذهاب".

أدعو الله ألا تتذكر ميشيل.

تقول هيذر: "بئس المصير، من يجد شيئًا يحتفظ به".

"لقد أجريت بعض المكالمات هذا الصباح، وتحدثت إلى المحامي الذي يعمل لديَّ"، هكذا تقول مارلين، "ولقد تحدث بدوره إلى شخص في مكتب العمدة وطمأنه أن داني بأمان، وبينما لن يتم استدعاؤها لبضعة أيام، يمكنها هي وميشيل العودة إلى المنزل بمجرد أن يستمع القاضي إليهما. جوليا في المستشفى في غرفة تحت الحراسة، من المحتمل أن يصدر أمر إيقاف لكما في وقتٍ لاحقٍ هذا الصباح، لذا بعد أن تتناولا الإفطار، سيحتاج كلٌّ منكما إلى أن تحزم أمتعتها قبل أن أطلب لها سيارة، هل لديكما نقود كافية؟".

"كنت أعرف أنك ستخربين عليَّ صفقتي"، هكذا هيذر تصرخ في وجهي.

ثم لا أستطيع أن أسكت حيال ميشيل، يقيدني الواجب مثل السلاسل، فأقول:

"تأكدي من أنهم يضعون شرطيًّا أمام غرفة ميشيل".

تعرف مارلين على الفور ما أرمي إليه فتقول:

- إنها تحتضر، لن يفيد قتلها أحدًا.

"هناك طرق أفضل وطرق أسوأ للموت"، أقول ذلك وقد انتصر الإحساس بالواجب عليَّ مرة أخرى.

ترد مارلين على كلامي قائلة: "السرطان هو الطريق الأسوأ، أنا لا أحاول أن أكون قاسية يا لين، ولكن لا يمكنني تحمُّل ما تمرِّين به. قُتلت أدريان على يد شخصٍ يحمل ضغينة لها، وأطلقت داني النار على ضابط شرطة، وكانت هيذر تدخن مخدرات في قبو منزلها وأضرمت النار في بيتها...".

"لقد فقدت الوعي في الغابة خلف منزلي!" قاطعتها هيذر محتجة.

"عزيزتي، لقد كنتِ تحت تأثير المخدر ولا يمكنك التذكر"، تقول مارلين لهيذر ثم تلتفت إليَّ، "أنت وجوليا، حسنًا، لم أسمع سوى جانبك من القصة، ربما أطلقتِ عليها الرصاص بالصدفة، لديك القدرة على التلويح بالبنادق حولك وميل دائم إلى الميلودراما".

"علينا الاطمئنان على ميشيل أولًا"، أقول لها في محاولة لكسب الوقت، رغم أنني أريد الاطمئنان عليها فعلًا. "أنتِ تعرفين أنني على حق، نحن مدينون لداني، التأكد من سلامة صاحبة عمرها هو أقل

شيء". أعني ذلك حقًّا، ولكن أيضًا إذا تمكنت من إقناع مارلين بأخذنا إلى دار الرعاية في إحدى سياراتها المصفحة متعددة الاستخدامات، سيمكنني التسلل حينها من دون أن يلاحقني أحدٌ. سيمنحني هذا فرصة الخروج من لوس أنجلوس قبل أن تمسك بي الشرطة ويبدؤون في طرح أسئلة حول معلومات جاريت بي كانون الجديدة المتفجرة.

تطل مارلين على لوس أنجلوس بالخارج، رجال الحراسة يمزحون معًا، يتظاهر بعضهم بدفع بعض في حمام السباحة، إنها تشعر بالأمان هنا. سمحت لها أموال جيري ببناء عالم خيالي حيث يمكنها الاستمتاع برفاهية التظاهر بأن مشاكلنا ليست مشاكلها، لكنها ما كانت لتعيش هذه المدة الطويلة إذا لم تستطع التمييز بين الخيال والواقع في بعض الأحيان.

قالت أخيرًا: "سأذهب وأرى ميشيل، أنا مدينة لداني بهذا القدر. يمكنكما المجيء معي إذا أردتما، لكن بعد ذلك، سنفترق؛ ليس لدينا شيء مشترك يا (لينيت)، لا يمكننا الاستمرار في العيش في الماضي".

أسألها: "كيف نخرج من هنا مع هذا الكم من المصورين في الخارج؟ لا يمكننا أن ندل من يفعل بنا هذا إلى ميشيل، أيًّا من كان".

تبتسم مارلين.

"هل تعتقدين حقًّا أنه ليس لديَّ سوى طريق واحد للخروج من منزلي؟".

***

إعلان فيلم "نوم كومينج (عودة الأقزام)"

هم صغار في الحجم، يرتدون قبعات مدببة، ويقفون في حديقتنا. ولكن هذه القزمة (ليندا دايفيز، بطلة "ويلو" و "قراصنة الزمن") تريد الاحتفال بصخب.

منذ خمسمائة عام، لعن مارد شيطاني هذه البلدة الكندية الصغيرة بأن لا يعزفون الموسيقى وإلا لنالوا غضبه. لكن مراهقي البلدة قد قرروا الاحتفال بالعودة للوطن، أو بـ "عودة الأقزام".

وحينها يستيقظ الرعب، ستثبت لهم أنها رغم صغر حجمها لكن العقاب الذي سوف تنزله بهم سيكون هائلاً. وهناك فتاة عذراء وحيدة هي كل ما يقف أمام القزمة الشيطانية.

الفيلم مدجج بمؤثرات بصرية وسمعية حديثة ساحرة للألباب وموسيقاه كانت من إنتاج كلوب نوفو، بلاتينوم بلوند، ل. أ. جانز، فايف يونج كانيبالز وآخرون.

سوف يثبت فيلم "نوم كومينج" أن عندما يتعلق الأمر بالفوضى الدموية، فلا يوجد أفضل من البلد الذي نشأت فيه.

لا أحد يعود إلى المنزل بعد نزوله ضيفًا على دار رعاية الحالات المتأخرة، ولكن حتى مع ذلك، تبدو الدار في سانت كلير كأنها دار جنازات؛ لا يدخلها ضوء الشمس، لا ساعات على الحوائط، لا إضاءة مباشرة ولا صوت فوق الهمس الكئيب، كل شيء باللون البيج أو الرمادي. تتدلَّى الصلبان في كل غرفة، ولوحات باهتة لمروجٍ وحدائق من التي تجدها في الفنادق معلقة في كل قاعة، بينما يتحركُ عددٌ كبيرٌ من الممرضات في سرعة وهدوء في أحذيتهم الخفيفة، وهناك حوامل بلاستيكية ملصقة على كل سطح رأسي، بها كتيبات حول كيفية التعامل مع الحزن.

تقول مارلين عندما خرجنا من المصعد: "هذا مثيرٌ للكآبة".

"أنا ذاهبة إلى مشاهدة التلفزيون"، تقول هيذر كالمراهقة، تتهادى مبتعدة للبحث عن الاستراحة.

تركناها واتجهنا إلى الممر المليء بالأبواب المفتوحة، نتابع الأرقام المكتوبة عليها كي نصل إلى غرفة ميشيل. يكشف كل بابٍ عن قصة درامية صغيرة خاصة به. ينظر أفراد الأسر إليَّ في مشهدٍ أقرب إلى الوداع الأخير لمن يستلقي أمامهم على فراش الموت، والممرضات يمررن بجوارنا وهن ينزلقن من مشهد موتٍ إلى آخر، بينما تخرج صوت أنفاس مجهدة من غرف أخرى.

لا يعجبني هنا، لا أستطيع رؤية المخارج، ولا أعرف ما الذي يحدث في المنعطفات، بينما نواصل التعمق أكثر، أتمنى لو لم تأتِني هذه الفكرة.

أخيرًا وصلنا إلى 1211. كنت أتوقع أن يكون هناك شرطيٌّ جالسًا عند الباب، أو إشعار على الباب، أي شيء يخبر الناس أن ميشيل موجودة في خطرٍ بسبب داني، لكن بابها لم يكن حتى مغلقًا، ندفعه وندخل.

هناك جسدٌ بالٍ مستلقٍ في منتصف السرير، ملفوف في ملاءات، لا توجد حقن وريدية ولا قسطرة ولا أجهزة مراقبة أو أجهزة للقلب؛ لقد تجاوزت كل ذلك الآن، حتى مارلين تذبل قليلًا حين تراها، هذه هي الغرفة التي ستموت فيها ميشيل.

"هل تعتقدين أن هذا يزعجها؟" تهمس ممرضة لنا.

نجفل أنا ومارلين، فلم نكن قد لاحظنا حتى أنها كانت تتبعنا قبل أن تعطي الصليب المعلق على الحائط عند سفح سرير ميشيل نظرة ذات معنى.

تهمس مارلين، "أنا متأكدة من أنها لا تمانع".

تغادر الممرضة، تتركنا مع أقرب أصحاب داني إلى قلبها، نقترب من السرير.

"... داني؟" تهمس ميشيل.

لونها أصفر، شفتاها متشققتان، وعيناها الجاحظتان بحرقة تبرزان بشدة مع جلدها الشمعي، تضع مارلين يدها على جبين ميشيل، وتنعّم شعرها الرمادي.

قالت لها مارلين: "داني تريد أن تكون هنا، أعلم أنها في هذه اللحظة تفعل المستحيل ليكون ذلك ممكنًا".

تحاول ميشيل تكوين كلمات.

تقول لي مارلين: "لينيت، اذهبي واطلبي من الممرضة القليل من الإسفنج وكوبًا من الماء، هل تريدين أن تمتصي بعض رقائق الثلج، يا عزيزتي؟".

أومأت ميشيل لها برأسها بالإيجاب، فتضيف مارلين مخاطبة إياي:

"وأحضري إلينا بعض رقائق الثلج أيضًا".

أخرج إلى الردهة، غير متأكدة من أين يمكنني الحصول على كل هذه الأشياء. أتوجه إلى مكتب الممرضات ويهرعن لتلبية طلبي كما لو كنَّ ينتظرن مني أن أسأل. أتوتر حين أرى أنه لا توجد نوافذ، بل أبواب كثيرة، وردهات أكثر، غرفة ميشيل ليس بها مخارج بديلة ولا أعرف طريق الهروب لو حدث شيء.

عندما أعود إلى الغرفة مع كوبٍ من الفوم به رقائق الثلج، وإسفنجة في طبقٍ بلاستيكي يصدر طقطقة وأنا أسير به، وزجاجة من المياه بلا نوعٍ، تخرج الممرضة مع الصليب مطويًا تحت ذراعها وتهمس لي:

– هل تعتقدين أنها تريد أن ترى حاخامًا؟

"لماذا؟" أجيبها محتارة قبل أن أسمع مارلين تقول من داخل الغرفة:

- سنكون بخيرٍ، شكرًا لكِ.

تومئ الممرضة باقتضابٍ قبل أن تتركنا مرة أخرى. أدخل وأعطي كل ما أتيت به إلى مارلين، ثم أقف عند طرف السرير، بعيدًا عن ميشيل بقدر ما أستطيع. ترفع مارلين طرف السرير الآخر، حيث رأس ميشيل، وتضع كوب رقائق الثلج على شفتي ميشيل، وبينما تمتص الأخيرة الثلج تمرر مارلين الإسفنجة الرطبة على شفتيها المتشققة. أنا مذهولة، أين تعلمت مارلين كل هذا؟ تنظر ميشيل إليها وتبدو ممتنة.

تقول مارلين، وهي تمشط شعرها: "كل ما عليك هو أن ترتاحي، أعلم أنكِ متعبة".

"شكرًا لك... "، يخرج صوت ميشيل مهتدجًا، "... أعرف... لست جميلة الآن".

تبتسم مارلين.

- حسنًا، وداني أيضًا لم تعُد جميلة، ولهذا فأنتما صديقتان.

تعبس ميشيل، وترتعش أنفاسها لأدرك أنها تضحك. تخرج إحدى يديها من تحت البطانية وتبحث عن شيء ما، لكنها لم تمسك إلا بالهواء، تلتقط مارلين يدها.

"أنا ... أحبك ..."، تقول ميشيل.

تقول مارلين: "نحن نحبك أيضًا، وأنا أعلم أن داني تحبك كثيرًا، أنتِ أفضل أصدقائها على الإطلاق".

"هي... وعدتني... أنني أستطيع..."، تقول ميشيل، "عندما... يحين الوقت... أن أكون في البيت".

"أعلم"، تقول مارلين قبل أن تستطرد ميشيل:

"أنا أردت... أن أرى... لقد زرعت... جديد... الوقت ... ليس كافيًا".

تتثاءب بملء فمها.

تقول مارلين: "أعلم، لا يوجد لأيٍّ منَّا وقت كافٍ".

"سأعود حالًا"، أغمغم.

كل حالات الموت التي رأيتها كانت سريعة وعشوائية، تومي، جيليان، أمي، أبي، لم أرَ هذا التلاشي البطيء من قبل، ألا تستطيع ميشيل تجنبه؟ ألا تستطيع نزع السلك الذي يربطها بهذه الحياة، وتتخلص من كل هذا؟ أنا غاضبة منها لأنها أجبرتني على مشاهدتها وهي تموت، أنا خائفة، وأعرف ما عليَّ أن أفعل.

أجد هيذر في نهاية القاعة مستلقية على كرسيين، ولمحت قناة ال سي إن إن تُعرَض بصوتٍ منخفضٍ على أحد أجهزة التلفزيون التي تم التبرع بها.

تقول هيذر: "لقد عقد صديقك للتوّ مؤتمرًا صحفيًّا".

أقول "سوف نخرج ميشيل من هنا".

تهتف هيذر: "فلنفعل ذلك، إن هذا المكان لهو حفرة من الجحيم".

تهب واقفة، سعيدة بأن يكون لها هدفٌ، سعيدة بتحدي النظام. ألقي نظرة إلى التلفزيون مرة أخرى لأرى صورة لي في السادسة عشرة، وبشرتي القبيحة مليئة بحب الشباب، أشعر بفخٍّ ينغلق عليَّ، أريد أن أخرج من هنا.

"مارلين موافقة؟" تسألني هيذر ونحن نسير.

أكذب عليها: "إنها موافقة تمامًا".

نعود إلى فخ الموت. لقد جذبت مارلين الكرسي الوحيد وقرَّبته من السرير وهي تمسك بإحدى يدي ميشيل بكلتا يديها، وتريح مرفقيها على المرتبة. ثم تنظر إلينا ونحن في مكاننا عند الباب، مشدوهين.

أقول "لقد أجرينا تصويتًا، وسنعيد ميشيل إلى المنزل".

"سنفعل ماذا؟" تقول مارلين.

"هل داني... قادمة؟" تقول ميشيل، وهي تعاني كي تتنفس فأجيبها: "لا".

"نعم"، تقول مارلين لميشيل، ثم تلتفت إليَّ، "لن نذهب إلى أي مكان، سنجلس مع ميشيل حتى تصل داني إلى هنا، لن نحرك هذه السيدة من هنا".

"ميشيل"، قلتُ وأنا أنحني عليها متفاجئة من أن رائحتها ليست كريهة. "داني لن تأتي، ليس قبل يومٍ أو اثنين، ولكن يمكننا إعادتك إلى المزرعة الآن، إذا كنتِ تريدين ذلك".

"أنا لا... أعتقد أنهم... سيسمحون..." تلهث وعيناها تتفحص وجهي فأجيبها:

"لا تدعي هذا يقلقك، داني في السجن، ولن يسمحوا لها بالخروج اليوم".

هنا تقول مارلين: "أنت لا تعرفين ذلك، ربما تكون في طريقها بالفعل".

"حقًّا يا مارلين؟ هل تعتقدين حقًّا أنهم سيسمحون لها بالخروج؟".

"نحن سوف..."، قالتها قبل أن تبتر جملتها وتنظر إلى يد ميشيل فأجيبها بعد أن وضحت نقطتي: "بالضبط، ميشيل، داني لن تأتي، لكن يمكننا اصطحابك إلى المزرعة، في الحال، يمكنك أن تكون في بيتك وكل ما عليك فعله هو أن تطلبي".

تحدق ميشيل إلى وجهي بالطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الشخص المحتضر النظر إليكِ، التركيز التام على العينين، من دون هراء، فقط الاهتمام الذي لا يشتّته شيء.

ثم تومئ برأسها، وتقول: "زهور داني... ".

"أتريدين رؤية زهور داني؟" أسألها.

تومئ برأسها، وترتجف شفتاها حول الكلمة للحظة قبل أن تنطقها.

"... نعم... ".

تقول هيذر: "هذا فظيع، ما يحدث لها، فظيعٌ".

"معذرة، ولكن في ماذا تتناقشن؟" تقول الممرضة بنبرة صوتٍ عالية بشكلٍ محرجٍ، لم نسمعها حتى وهي تدخل.

نلتفت إليها، أظن أننا جميعًا نبدو مذنبين بينما الممرضة تبدو مرتبكة. أقول لها: "لا تدعي الأمر يقلقك، هل يمكننا الحصول على كرسي متحرك؟".

تقول: "حسنًا، لا، أخشى أن الآنسة جيتواي لا يمكن نقلها، نحن نحافظ على راحتها لكنها يجب ألا تتحرك".

أقول "حسنًا، سأحصل أنا على الكرسي المتحرك".

قالت الممرضة وهي تنظر من هيذر إلى مارلين: "نحن لا نعرف من أنتم في الأساس".

مررتُ بجانبها وخرجتُ إلى القاعة، هناك كرسي متحرك في منتصف الردهة مع لوحة معدنية بيضاء على ظهره مكتوب عليها: رقم 43. آخذه إلى الغرفة لأجد أن مارلين لا تزال في محادثة مع الممرضة. تهتز أقدام ميشيل بقلقٍ تحت بطانيتها بينما هيذر تنكمش على نفسها في الزاوية، ربما تتساءل كيف يمكنها الاستيلاء على بعض مسكنات الألم.

قالت الممرضة لمارلين، وأنا أضع الكرسي عند قمة السرير: "لا يمكنني السماح لك بفعل ذلك".

أقول لها: "لم نطلب رأيكِ".

تُقَيِّم الموقف، قبل أن تنقل نظرها من مارلين إليَّ، ثم إلى الكرسي، وأخيرًا إلى ميشيل قبل أن تهرع خارجة.

تقول مارلين: "أنا مستاءة من وضعك لي في هذا الموقف".

أتجاهل تعليقها، وأقول:"حسنًا، ساعديني في حملها على الكرسي".

لكن مارلين لا تتحرك، بدلًا من ذلك، هيذر هي التي تزيح الملاءات، وما رأيته تحتها أصابني بالذعر، ولكن بالمقارنة مع ما تخيلته، فإن ميشيل لا تبدو بهذا السوء. لم يتبقَّ منها الكثير، لكنه ملفوف داخل رداء المرضى مما يجعلني أشعر بالشجاعة الكافية للمسها، أحملها، ذراع تحت ظهرها، وواحدة تحت ركبتيها لأجدها باردة جدًّا، لا تقاومني فأرفعها لأجدها أخف مما كنت أتخيله، أضع مؤخرتها العظمية على إحدى ذراعي الكرسي المتحرك فتقطب حاجبيها متألمة.

في اللحظة التي أريح فيها ميشيل على الكرسي تبدأ في الارتجاف فأقول لهيذر: "أحضري بطانياتها".

وضعنا البطانية الزرقاء الصغيرة حول ساقي ميشيل وأتت هيذر بواحدة أخرى من الخزانة. أميِّل ميشيل إلى الأمام وأسقط البطانية خلف ظهرها، وأثنيها على كتفيها، فتتألم ميشيل مرة أخرى.

"اسمحي لي أن أفعل أنا ذلك"، تقول مارلين، مستاءة من عدم كفاءتي، ثم تضع البطانية حول ميشيل، وتحكمها حول ظهرها.

تشد ميشيل ذراع مارلين بيدٍ مرتجفة وتقول: "شكرًا... أنتِ..."، تعتدل مارلين، وتدلِّك أنفها لمسح مخاطٍ وهمي، قبل أن تقول لي: "سيكون لديك الكثير للإجابة عنه".

"قودي المسيرة أنتِ"، أقول لمارلين وأنا أشعر أنني أقوم بما يجب، أشعر أنني في مهمة مقدسة. "هيذر، أنتِ في المؤخرة، سننزل إلى الطابق الثاني، ثم إلى مرآب السيارات، وبعدها إلى السيارة".

أحدق إلى مارلين حتى تومئ بالموافقة.

نخرج من الغرفة في تشكيلٍ مدروسٍ: أنا أدفع الكرسي، مارلين أمامنا، وهيذر خلفنا بخطواتٍ قليلة. تركت جوليا وفاين ورائي، لن أفعل نفس الشيء بميشيل. هناك مجموعة من الأطباء والممرضات عند مكتب التمريض، اعترضوا طريقنا.

"من فضلكم"، تقول مارلين ونحن في طريقنا، "عذرًا، نحن في عجلة من أمرنا".

يتفرقون ثم يعيدون تجميع صفوفهم ويتابعوننا، وسمعت أسئلة من نوعية: "من أنتم؟"، و"إلى أين تأخذونها؟" ثم تقوم هيذر بها تتقنه.

"تراجعوا!" تصرخ في وجوههم، "تراجعوا أحسن لكم!".

أسمع التكة المميزة لشفرة قاطعة الصندوق وهي تخرج من جرابها البلاستيكي، ولستُ في حاجة إلى النظر خلفي لأراها وهي تلوح بالسلاح الأبيض في وجوههم، تحافظ على المسافة بينهم وبيننا. نتحرك بسرعة، مارلين تمد الخُطى، ونمر بأبوابٍ مفتوحة تطل منها أعين دامعة، عائلات غارقة في مآسيهم الخاصة.

"عذرًا"، ظلَّت مارلين توزع اعتذاراتها وهي تمر من بين الممرضات، "اعذرونا، آسفة جدًّا، بعد إذنِك، شكرًا لكِ".

المصعد أمامنا، وعندما اقتربنا منه لمحت اثنين من رجال الأمن قادمين من الاتجاه المعاكس، لديهما بطون عملاقة، وقبعات بيسبول وسترات واقية خضراء، يبدوان في النصف الثاني من عقدهم السادس، وقد تكون هذه هي أسرع مرة يتحركون فيها في حياتهم.

تباطأ أحدهم حتى توقف، وسدَّ الممر، ثم رفع يده بغطرسة كما لو أننا سنتوقف بكل تأكيدٍ فقط لأنه يرتدي سترة مكتوبًا على ظهرها أنه فرد أمن ثم قال: مكتبة سُر مَن قرأ

"يا فتيات، لقد انتهت الحفلة".

مارلين هي أول من تصل إليه، ويقفز قلبي لرؤيتها تضغط زر طلب المصعد، وهي تقول بكل ما يمكنها من لطفٍ:

"سيدي، نحن صديقاتها المقربات، ونحن بصدد نقلها إلى منزلها لالتقاط بعض الأشياء، وسنعود على الفور، أخبرونا أنه مسموحٌ وآمل ألا نكون قد ارتكبنا أي خطأ".

"هذا مركز رعاية من يعانون من أمراضٍ فتاكة في مراحلها الأخيرة"، يقول رجل الأمن الأصغر، "من يدخل هنا لا يعود إلى داره".

تقول مارلين: "حسنًا، إنها تحتاج فقط إلى بعض الأشياء".

"هذا أمرٌ لا يعنيني"، هكذا قال الشخص الذي مدَّ يده وهو يتقدَّم ليغطي أزرار طلب المصعد حتى لا تتمكَّن مارلين من استخدامها. يحيط بها الاثنان ببطونهما الكبيرة، ويقول: "أنتِ بحاجة إلى أن تعيدي هذه المريضة إلى غرفتها".

"من أين تعرفينها؟" يسأل الآخر.

"كلنا ننتمي إلى نفس نادي القراءة"، تقول مارلين، وهي تبتسم بلطفٍ.

يرن المصعد وينفتح الباب، هناك فتاة مراهقة بأعين يحيط بها كحل أسود، علبة سجائر في يدٍ والقداحة في الأخرى. تحول مارلين بين رجال الأمن والكرسي المتحرك وتنضم إليها هيذر، وتقفا كتفًا إلى كتف.

"ما هي مشكلتك بحق الجحيم؟" تسأله هيذر، "إنها تريد الخروج، هل هذا سجن؟".

أدفع الكرسي المتحرك إلى المصعد خلفهم.

"يا آنسة!" يصرخ أحد الرجلين، وقد جُنَّ جنونه حين رآني أهرب بها. "لا يمكنكِ فعل ذلك يا آنسة!".

أقف بجانب المراهقة، وأضع ميشيل في مواجهة جدارالمصعد الخلفي، "مارلين، نحن في المصعد".

تقهقرت مارلين مع هيذر إلى المصعد، وبدأت الأخيرة في ضغط زر الطابق الثاني بكل أصابعها، وفي نفس الوقت زر إغلاق الباب. يرتكب أحد الحراس خطأ فادحًا ويمسك مارلين من ذراعها، يحاول الباب أن ينغلق لكنه يرتد على العضلة السميكة.

يقول: "لا أستطيع السماح لكم بفعل ذلك يا فتيات".

تمدُّ مارلين يدها الأخرى إلى حقيبتها الصغيرة، وتسحب أسطوانة سوداء صغيرة، تضعها بين ساقيه لتصعقه بطقطقة عالية لينتفض الرجل إل الخلف كأن بغلًا ركله، يستلقي على الأرض باكيًا.

تقول مارلين: "أنا آسفة، أشعر بالذنب لِمَا فعلته لتوِّي".

ينغلق باب المصعد، وبعد مرور لحظة مثيرة يبدأ في الهبوط، ساد الصمت للحظة ثم:

"لقد صعقتِه في منطقته الحساسة"، تقول الفتاة المراهقة بريبة فتعلق هيذر: "أحسنت".

"أريدك أن تعرفي أنني مستاءة بشدة من الموقف الذي وضعتِني فيه"، تقول لي مارلين للمرة الثانية.

يرن الجرس معلنًا وصولنا، فنخرج إلى الطابق الثاني.

"أتمنى لكِ نهارًا سعيدًا"، تقول مارلين وهي تبتسم للفتاة قبل أن نغادر المكان. ندفع الأبواب الزجاجية المزدوجة، وندخل في مرآبٍ باردٍ ومظلمٍ. أستمع إلى أصداء سيارات الشرطة القادمة، ولصرير الإطارات في المنعطفات، تلاها أصوات الراديو التي تصرخ بحثًا عن أربع إناث، واحدة منهن على كرسي متحرك، لكن المرآب صامت. أدفع الكرسي فوق الخرسانة الملطخة بالدهون حتى نصل إلى سيارة مارلين الرياضية التي تقول: "اسمحوا لي أن أرجع بها إلى الوراء".

تحذِّرها هيذر: "من الأفضل ألا تتخلي عنَّا".

تقول مارلين: "عزيزتي، لو كنت أعرف كيف لكنت فعلتها منذ فترة طويلة".

تجلس في مقعد السائق، ثم تغلق الباب فتضيء المصابيح الخلفية باللون الأحمر، ثم الأبيض، وهي ترجع بها إلينا، أرفع ميشيل إلى المقعد الخلفي.

"أنا آسفة..."، تقول وهي تعاني للتنفس، بينما أحكم حزام الأمان حولها. إنها تقريبًا ملتصقة بالمقعد، لم يتبقَّ الكثير من ميشيل.

"لا بأس يا حبيبتي"، قالت مارلين وهي تستدير في كرسيها. "تماسكي فقط، وستجدين نفسك في المزرعة بأسرع مما تتخيلين".

تقفز هيذر لتجلس بجوار مارلين، وتنظر إليَّ قائلة: "ماذا؟ أنا لن أجلس بجانب امرأة ميتة، لا تأخذيه بمحملٍ شخصي يا ميشيل".

تحاول ميشيل ترطيب شفتيها والتحدث، لكنها ضعيفة ولسانها جاف. أجلس بجانبها وننطلق تاركين المكان. لا توجد بوابة عند

المخرج، ربما لأنه سيكون من غير اللائق إحضار المرضى إلى هنا ليموتوا ثم يقومون بضرب عائلاتهم من أجل النفقات وهم في طريقهم إلى الخروج. لا توجد سيارات شرطة في انتظارنا، ولا حتى مراقب لتدوين بطاقة الخروج.

ينزلق الكرسي المتحرك، ويدور حول نفسه في المؤخرة، نزحف فوق المطبات عند المخرج، إلى الشارع ثم إلى الطريق السريع، هنا ندرك أنه ليس لدينا أي فكرة عن مكان مزرعة ميشيل.

أقول "لقد كانت چوليا هي من تعرف مكانها".

تقول مارلين: "حسنًا، چوليا ليست هنا الآن، هيذر، هل تعرفين الطريق؟".

"ألا ترسلين إليها بطاقات معايدة لعينة كل عام جديد؟" تسألها هيذر.

"إلى صندوق البريد الخاص بها"، ترد مارلين بحدة.

"ميشيل؟" أناديها، لكن وجهها كان ناحية الشباك وقد أغلقت عينيها مستمتعة بأشعة الشمس.

أكرر: "ميشيل، نريد منك أن تدلينا إلى المزرعة".

أومأت برأسها من دون أن تفتح عينيها، ثم تقول شيئًا، أنحني لأقترب منها وأسمعها تهمس: "العاشر... العاشر... ".

قلتُ لمارلين: "اسلكي الطريق رقم عشرة".

نمرُّ وسط مدينة لوس أنجلوس، مقلين الحديث. تشغل مارلين الراديو فتنساب موسيقى الجاز الخفيفة. أرهف السمع لعلِّي ألتقط سرينة

الشرطة. أعلم أن ما يحدث لن ينتهي على خيرٍ، أستطيع أن أشعر بالفعل أنني قد بدأت أفقد السيطرة، بجواري، تتمتم ميشيل لنفسها.

"حبيبتي، ماذا نفعل بعد أن نصير في الطريق رقم عشرة؟" تسألها مارلين وهي تنظر إليها في المرآة. "هل نتجه إلى رقم مائة وواحد؟ اسأليها إذا كان يجب أن نسلك المائة وواحدًا".

أسأل ميشيل:"هل نأخذ المائة وواحدًا؟ هل لديك عنوان يمكنني وضعه على هاتفي لنسير على هداه؟".

"هل أحضر أحدٌ محفظتها؟" تسأل مارلين.

تقول ميشيل: "العشرة"، ثم قالت شيئًا آخر فأقترب لأسمعها تكرر: "أنا آسفة...". بدا لي أنها على وشك البكاء.

أقول لها: "لا بأس، حقًا، لا تقلقي".

لا أعرف ما إذا كانت قد سمعتني لذلك أربت على يدها لأجدها جافة بينما تقول هيذر: "لم يكن لديها حقيبة".

"لقد بدأت أرى بعض العيوب في هذه الخطة"، هكذا تقول مارلين، وهي تنظر إليَّ في المرآة.

"أي مخرج نسلكه يا ميشيل؟" أسألها مرة أخرى.

"زهور داني..."، كان كل ما سمعته منها.

أقول "هذا صحيح، سنرى زهور داني، لكننا نحتاج إلى معرفة كيفية الوصول إلى هناك، نحن على الطريق نمرة عشرة، ما هو المخرج الذي ستتخذه؟".

"أنا ذاهبة... " تقول وهي تلهث، "لأرى؟".

تقول مارلين: "لقد مررنا للتوِّ بشارع فينيسيا، أنا متأكدة من أن المخرج الوحيد بعد هذا هو 405".

أقول: "إلا لو سلكنا الطريق الساحلي".

تقول مارلين بنفاد صبرٍ: "أوه، الرحمة".

تملأ السيارة رائحة كريهة.

"هل تغوَّطت على نفسها؟" تسأل هيذر، وهي تلوح بيدها أمام وجهها وتفتح نافذتها. "اللعنة، يا لها من رائحة، ماذا كانت تأكل؟".

تنحرف مارلين نحو مخرجٍ.

"ماذا تفعلين؟" أسألها، نحن لا نستطيع التوقف، هناك رجال شرطة، هناك وحوش آدمية، علينا أن نستمر في التحرك.

"لن أترك هذه المرأة تجلس في فضلاتها"، تجيبني مارلين وهي تسلك منحدر الخروج إلى شارع سطحي، متجهة نحو سوبر ماركت. "إنها صديقة داني المقربة، وتستحق معاملة كريمة".

تعلق هيذر: "لن يكون لديك الكثير من الكرامة عندما تكون ملابسك مليئة بالبراز"، تتوقف مارلين وتغلق المحرك، وتلتفت إلى هيذر قائلة بحدة:

"هذه عملية بشرية طبيعية، سوف نمنحها من الاحترام ما يتوقعه أيٌّ منَّا إذا كنَّا في موقفها. يجب أن تخرجاها برفقٍ من السيارة، وتجلب إحداكما السجادة من الخلف، تلك التي أستخدمها حين أحتاج إلى تغيير الإطارات، سنضعها عليها، سأعود حالًا".

ثم التقطت حقيبتها وتركتنا.

تقول هيذر: "لين، عاهديني، إذا حدث هذا لي فقط ارميني في حفرة واتركيني".

ترفض أن تلمس ميشيل، لذا بعد أن قمتُ بتأمين ساحة الانتظار، أفك حزام مقعدها وأرفعها. لا أريد أن ألمسها ولكني لا أريد أن أكون مثل هيذر أيضًا، كيف صرنا هكذا؟ لقد رأيت عائلتي تقتل أمام عيني ولم أحدث صوتًا، لكن حين أرى فضلات صديقتي أقشعر؟ لماذا نتقبَّل الوفاة السريعة والعنيفة أكثر من تحملنا التدهور البطيء الذي يعاني منه معظم الناس؟ في النهاية، أليس هذا هو السبب في أننا قاتلنا بشدة؟ ليكون لنا الحق في أن نفعل ما تفعله ميشيل الآن؟

"بالطبع لدى مارلين سجادة يوجا لتغيير الإطارات"، تقولها هيذر متهكمة، وهي تفرد البساط في ساحة انتظار السيارات بجوار السيارة. أضع ميشيل عليها برفقٍ، لكن لا أعرف ماذا أفعل بعد ذلك. عيناها تتبع شيئًا ما في السماء، أنظر إلى أعلى، ولكن لا يوجد شيء هناك. نحن مكشوفون جدًا، ولا أستطيع رؤية من يمر وسط كل هذه السيارات.

***

"هلا جردتماها من ملابسها؟" هكذا تطلب مارلين، وقد عادت محملة بالحقائب.

تقول هيذر: "لا بحق الجحيم".

تقول: "أنتما مثل الأطفال، لقد كانت هذه فكرتك يا لينيت، ماذا تنتظرين؟".

تصر مارلين أن تجعل هيذر من إحدى بطانيات دار العجزة ستارة للخصوصية، ثم تأمرني أن أنزع البطانية الأخرى من حول خصر ميشيل وأرفع رداءها.

قلت لميشيل: "أنا آسفة".

لا أعتقد أنها تسمعني.

إنها ترتدي حفاضات، تفكها مارلين بخفة وأنتزعها من عليها لأجدها مليئة بالفضلات السوداء. تطويها مارلين وتضعها في أحد أكياس التسوق الفارغة، ثم تستخدم جالونًا من الماء وبعض مناشف الأطباق لغسل مؤخرة ميشيل. أراقب محيطنا وأستمع إلى صفارات الإنذار، تجفف مارلين ميشيل ثم تجعلني أساعدها في سحب حفاضٍ آخر فوق ساقيها.

نضع ميشيل في المقعد الخلفي من دون أن تبدي اعتراضًا، ونربط حزام الأمان مرة أخرى، لا يبدو عليها أنها لاحظت ذلك.

تقوم مارلين بلف السجادة المبللة، ووضعها في أحد أكياس التسوق والمياه لا تزال تتساقط منها.

"هيذر، اذهبي وتخلصي من هذا".

تقول هيذر: "أنا لن ألمس هذا، فقط اتركيها هنا".

تحتد مارلين مرة أخرى: "لن نكون مصدرًا للنفايات، ارمي هذا بعيدًا وإلا سأصفعك".

تحمل هيذر الأكياس والحصيرة المبللة وتبتعد بهم بينما أبقي أنا عينيَّ مفتوحة كيلا تفاجئنا الشرطة. ننتظر هيذر التي عادت في غضون دقائق، لنخرج من ساحة انتظار السيارات ونتجه إلى أوليمبيك بوليفارد.

شيء ما خدشني فنظرت لأرى يد ميشيل تحك أصابعي من دون وعي، لا أعرف كيف أتصرَّف حيال هذا، لذا أفرد كفي لأتركها تشبك أصابعها في يدي. إن أصابعها لا تزال قوية، لا تنظر إليَّ، بل تحدق من النافذة، عيناها جاحظتان وشفتاها تتحركان.

"هل تعرفين إلى أين نحن ذاهبون؟" أسألها مرة أخرى.

"لنرى... داني..." تقول، "... زهور داني...".

تقول هيذر وهي تضع رأسها في يديها: "إن هذا لا فائدة منه".

هنا تقول مارلين: "أخرجي هاتفك، سوف نتصل بالدكتورة كارول. هي تعرف مكان مزرعة داني بكل تأكيد".

تقول هيذر، بالنيابة عن كلا منَّا: "ستفزع حين تعرف ما قمنا به".

أؤيدها "نعم، لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة".

تقول مارلين: "لقد أوقعتنا فكرتك العظيمة في هذه الأزمة فلتتصل إحداكما بالدكتورة كارول وإلا سأضربكما".

تتمتم هيذر: "بطارية محمولي فارغة"، تدفع مارلين هاتفها إليها.

"استخدمي هاتفي، ستجدين اسمها في القائمة تحت اسم إليوت".

تأخذ ميشيل نفسًا مرتعشًا ثم تتثاءب، أعد إلى خمسة قبل أن تأخذ نفسًا آخر.

"لا يمكنني العثور عليها"، تقول هيذر وهي تُبعد يد مارلين التي حاولت استعادة هاتفها.

أشعر أنهما بعيدتان جدًّا عني وهادئتان.

تأخذ ميشيل نفسًا عميقًا مفاجئًا، ثم تبدأ في اللهاث.

أقول "إن ميشيل لا تبدو بحالة جيدة".

تلقي مارلين نظرة سريعة في المرآة قبل أن تقول هيذر: "لقد وجدتها".

تدير عجلة القيادة بقوة إلى اليسار، فأنزلق إلى ميشيل، "لن نذهب إلى المزرعة،" تقول مارلين وهي تعدل مسار السيارة.

"اعتقدت أن هذا هو بيت القصيد؟" تقول هيذر لكن مارلين لا تعقب بل تسألني:



- كيف حالها يا لينيت؟

- ليست بخير.

توقف مارلين السيارة وتخرج منها لتأمرنا:

- تعاليا هنا.

أسحب يدي من ميشيل وأرتجل من السيارة، ولا يبدو عليها أنها لاحظت ذلك. نحن في حي من الضواحي المليئة بالحيوية، وقد أوقفت مارلين السيارة بالقرب من إحدى حدائق المدينة. ساحة عشبية كبيرة بها مساران يقسمانها إلى أرباع تتخللها الأشجار وطاولات النزهة. لا أرى الكثير من الناس، نقف على الرصيف بينما تسترخي هيذر على غطاء المحرك.

"ما الأمر؟" تسألها هيذر.

مارلين: "هذه المرأة ليس لديها الكثير من الوقت، أنا لا أتفق معك، لكن ما جعلتِنا نفعله ليس أسوأ شيء في الدنيا. نحن بحاجة إلى أن نكون معها الآن. سوف ينتهي وقتها قريبًا، وسيكون هذا في الهواء الطلق، وإذا سألتْ عمّا إذا كانت داني هنا، فستقولان نعم، وإذا سألت عما إذا كانت في مزرعتها، فستقولان نعم أيضًا".

تبدأ هيذر كلامها "لكن...".

تقاطعها مارلين: "وأنتِ على وجه الخصوص، هذه المرأة لن تموت في مؤخرة السيارة".

ثم تستدير إليَّ فأقول لها: "تمام سيدتي".

تتثاءب ميشيل، وتضم يديها إلى جسدهاعندما أفتح الباب، ثم نتمكّن -وتساعدنا هيذر بأقل قدرٍ ممكنٍ- من حملها على الكرسي المتحرك. نلفها في البطانيات وندفعها إلى الحديقة الصغيرة. لا يزال الوقت مبكرًا، ولا يوجد حولنا سوى عددٍ قليلٍ من الصينيات المسنات وهم يمارسن رياضة التاي تشي، ورجل عجوز يرتدي سروالًا يصل إلى إبطه يهدم حفر حيوان الخلد بعكازه.

تقول مارلين: "هنا"، فندفع ميشيل إلى إحدى الطاولات، ثم أديرها حتى تواجه البحر، لا أستطيع رؤيته ولكن يمكنني شم رائحة الملح الرطب على النسيم القادم من هذا الاتجاه.

تهبط الشمس، فتتحوَّل الحديقة إلى لونٍ أخضر غير طبيعي.

"داني؟" تسأل ميشيل عن رفيقة عمرها فتجيبها مارلين: "إنها هنا، بجانبك".

تهمس هيذر كاذبة، لكني أرى ميشيل تبتسم قبل أن تقول: "أخضر".

تفرك مارلين كتف ميشيل العظمي من فوق ردائها وهي تقول: "نحن كلنا معك يا ميشيل، نحن هنا بجوارك"، تقفز يد ميشيل من على ذراع كرسيها المتحرك إلى معصمي، ثم تنزلق إلى أسفل لتمسك يدي، لاحظت أنها تتشبث بأصابع مارلين بيدها الأخرى، وهي تقول:

"جيد... أصحاب...".

كدت لا أسمعها من شدة الريح التي كانت تحرك الأشجار بعنفٍ، تلهث قليلًا، وتحدق إلى الشمس، ثم تغلق عينيها من شدة نورها. تتوقف عن اللهاث، ثم تلهث، وتتوقف مرة أخرى، ثم تنهيها بتنهيدة طويلة، لأجد أنني أمسك بيد امرأة ميتة.

أستطيع أن أشعر بداني وهي تدور كالمسعورة في زنزانتها على الجانب الآخر من المدينة، مرعوبة أن يحدث ما قد حدث للتوِّ. كان الاثنان معًا من البداية، أصدقاء منذ الصغر، وأيًا كان هذا، هذه المؤامرة التي نسجوها، فقد منعوا داني من التواجد في المكان الوحيد في العالم الذي وعدت أن تكون فيه، بجوار صاحبة مشوار سنوات وعقود. قسوة تشقني شقًّا. أيًا كان من فعل هذا، أيًا كان الوحش المريض الذي فرَّق بين شقيقتين في نهاية حياة إحداهما، سوف أجعله يدفع الثمن.

لم أتمكن من إخراج أصابعي من يد ميشيل إلا بعد برهة. إنه شعور قاسٍ.

"يجب أن نذهب"، تقول هيذر قبل أن تعقب مارلين:

"علينا إعادتها إلى السيارة"، الآن بعد أن انتهت مهمتها، أصبحت في وضعٍ صعبٍ، "نأخذها إلى المصحة، أو شيء من هذا القبيل".

"لا يمكننا التحرك بها،" أقول قبل أن ألاحظ أنني أهمس، "أعتقد أن الشرطة تبحث عنًّا جميعًا ونوافذ سيارتك ليست داكنة".

تقول هيذر: "أنا أرى ألَّا نقود السيارة ومعنا جثة".

فتقول مارلين: "لن نترك ميشيل وحدها في حديقة عامة".

"حسنًا، كما تشائين"، تقول هيذر وهي تسير مبتعدة.

تقول مارلين: "لن نتركها هنا، إنه غير قانوني".

أقول: "داني لن توجّه إلينا اتهامات".

تقول مارلين: "لكن البلدية ستفعل".

"بأي تهمة؟" أسألها.

تقول مارلين: "لا أعرف، لإلقاء مخلفات؟".

بدأتُ أشعر بالتوتر مرة أخرى، نحن في العراء وهناك الكثير من الاتجاهات المفتوحة حولنا. نحن نسبق من يلاحقنا بخطوة، لكنني بحاجة إلى إقناع رفيقتيَّ بأنه يجب علينا استغلال هذه الفرصة لوضع مسافة أطول بيننا وبين من يبحثون عنًّا. النسيم يحرك خصلات شعر ميشيل، فأعيدهم إلى مكانهم.

تقول مارلين وهي تبحث في حقيبتها: "هذا أهم شيء، هل رأيتِ هاتفي؟".

أقول "لا، نحن بحاجة إلى التحرك يا مارلين، هناك من يبحث عنًّا".

تتجاهلني مارلين وتقول: "أقسم أنه كان في يدي لتوِّه".

– مارلين؟

"لينيت"، قالت بعد أن توقفت عن البحث عن الهاتف، "أريد فقط أن أقول...".

أقول لها: "أعلم، تريدين أن تقولي كم أنتِ غير سعيدة بوجودك معي"،

"كنت سأقول فقط إننا فعلنا شيئًا عظيمًا هنا، لنتصل بالدكتورة كارول ونصطحب ميشيل إلى المزرعة، يمكننا أن نضعها هناك".

أقول لها: "ممتاز، إنه مكانٌ آمن، نحتاج إلى أن نصل إلى چوليا أولًا، ثم نخرج داني من السجن، وبعدها نتقوقع حتى يمر هذا الخطر".

صوت هيذر وهي تتحدث إلى طفلٍ يقترب، فألتفت إليها لأجدها تقود الرجل العجوز -بسرواله الذي يصل إلى إبطه- إلينا، يمشي بجانبها متكئًا على عصاه، عيناه المتورمتان اللطيفتان تنساب منهما الدموع خلف النظارات الطبية الضخمة.

هيذر: "يا رفاق، هذا كارل دي وولف جونيور".

"سررت بلقائكن"، يقولها وهو يرتعش، ناظرًا إلى اتجاهنا - تقريبًا.

مارلين: "أوه، لا".

هيذر: "سيجلس مع ميشيل في أثناء انتظارها لركوبها".

كارل دي وولف جونيور: "هذه الحديقة ليست آمنة، لا يجب أن تجلس فيها سيدة لوحدها".

تقول هيذر، وهي تساعده على الجلوس على مقعد النزهة بجوار كرسي ميشيل المتحرك: "بالضبط، وهذا هو السبب في أنك ستجلس مع ميشيل وتنتظر، لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا".

قال كارل دي وولف جونيور، وهو يميل برأسه إلى اتجاه ميشيل: "إنه لشرف كبير، فأنا أستمتع بالمحادثة الجيدة".

تقول هيذر: "إنها مستمعة أكثر منها متكلمة"، ثم تقودنا بعيدًا.

"هذا تصرف منحط"، هكذا نفثت مارلين في وجه هيذر، "حتى بالنسبة إليك، تصرف وضيع".

"ما الوضيع في هذا؟" تسأل هيذر.

تقول مارلين: "الوضيع فيما فعلتِه أنه قد يدنسها".

أتوقف عن المشي، وأنظر إلى الوراء قائلة: "أنا أتفق مع هيذر فيما فعلته".

تتوقف الاثنتان لتنظرا إلى ما أراه، هناك وجدتا كارل دي وولف جونيور يربت على يد ميشيل، وهو يثرثر معها، ثم يميل إليها ليضبط وضع البطانية حول كتفيها، قبل أن يسحبها إلى أعلى ليحكمها فوقها.

"على أي حالٍ"، تقول هيذر ونحن في اتجاهنا إلى سيارة مارلين، "لقد اتصلتُ بالإسعاف، تفضلي" ثم أعادت إلى مارلين هاتفها.

"ماذا فعلتِ؟" أقول لهيذر، لكنها تتراجع لتبتعد عني.

تقول مارلين، وهي تتصفح قائمة مكالماتها: "لا يمكنك أخذ الأشياء دون إذن، بمن اتصلتِ؟".

تبتسم هيذر كأنها تخجل من شيء ما بينما أنا أحدق إليها، ثم أسمع الصوت الذي يجعل الزمن كأنه لم يمر لأعود في السادسة عشرة من عمري مرة أخرى.

"مرحبًا سيدتي الجميلة، لقد بحثت عنك في كل مكان".

صعد جاريت بي كانون إلى الرصيف مرتديًا بدلته البيج المكونة من ثلاث قطعٍ، مالت قبعة رعاة البقر على رأسه لترمي بظلٍّ على عينيه، بينما يتلوى شاربه الأبيض عندما يتحدث باسمًا.

"فقط حاولي الركض، لأنني أتوق إلى الانقضاض عليك".

تتوقف سيارات الشرطة عند أحد طرفي الشارع بينما يحيط بنا رجالها على الرصيف وعبر العشب الأخضر الزاهي، توقفت عن متابعة ما يجري، توقفت عن التحقق من اتجاهاتي، توقفت عن الاهتمام بمحيطي، وأنزلت دفاعاتي.

– ماذا فعلتِ يا هيذر؟

أسألها لتجيبني: "كان إما أنت وإما أنا".

ألقي نظرة على رجال الشرطة، يمكنني القفز فوق غطاء محرك السيارة المتوقفة بجواري، هناك فجوة في صفوفهم، يمكنني الوصول إلى الشارع والركض. أنا غبية، غبية، غبية، لا أصدق أنني تخليت عن حذري.

"أنت فعلت هذا؟" تسأل مارلين هيذر، كأنها لا تستطيع تصديق ما يحدث أيضًا.

الشرطة تقف بيننا وتفصلني عنها.

"بقيتنا ناجون"، تهتف هيذر وهي لا تزال تتراجع، وأنتِ كنتِ دائمًا مجرد ضحية".

تذوب في صفوف رجال الشرطة، أعلم أنها أبرمت صفقة ما، قايضتني لإنقاذ نفسها، وهذا هو ما فعلته بجوليا: تركتها لإنقاذ نفسي، إنه أمر لا يغتفر.

أتوتر، وأستعد لخداعهم بحركة إلى اليسار قبل أن أركض يمينًا، لكن جاريت يعرفني جيدًا. في الثانية التي تتحفز فيها عضلاتي يصفر لرجال الشرطة كي ينقضوا عليّ، كسرت أصابع وإبهام أول شخص يمسك بمعصمي، لكن هناك المزيد، هناك دائمًا المزيد، لكن في النهاية، يتغلبون عليّ.

***

*محضر بوليسي:*

**التاريخ والتوقيت: 12/ 23/ 1990 الساعة 9:30 مساءاً تقريباً.**

**المكان: مستشفي بروڤو السلوكية.**

**التفاصيل:**

في تمام التاسعة مساءاً، كان ويليام والكر، أحد النزلاء، يرتدي زي سانتا كلوز - الذي حصل عليه بطريقة ما - ثم قام بخنق زميله في الزنزانة. ضرب بعدها جرس استدعاء الحرس ثم قام بطعن أحدهم في عينيه ليرديه قتيلاً في الحال، قبل أن يضرب الأخرى حتى أغشي عليها واستخدم مفتاحها للهرب.

توجه بعدها لصالة الاستقبال حيث كان هناك ضابطين يتولين نزيلاً مضطرباً. نجح والكر في مفاجأتهما وانتزاع سلاح أحدهما وفي الدقيقتين التاليتين أطلق ستة وعشرين طلقة في أروقة المستشفى راح ضحيتها ضابط وأصيب آخر. حتى الآن لم يتم الوصول لتفاصيل تلكما الدقيقتين. خرج بعدها والكر من المستشفى واستخدم سيارة أحد الضباط ليتوجه لعنوان لينيت تاركينجتون.

***

الشيء الجيد في غرف الاستجواب هو أنكِ تجلسين دائمًا في مواجهة الباب، والشيء السيئ في غرف الاستجواب هو أنها دومًا مليئة برجال الشرطة. المحقق الأصلع ذو الوشم على رقبته يجلس أمامي، تظهر عضلاته أسفل بذلته، ويداه مشبوكتان فوق ملف مفتوح. شرطية تجلس بجانبه في قميص بولو كحلي، ذراعاها مطويتان، متكئة على كرسيها، تشع بالازدراء. الجميع في الغرفة الأخرى، يشاهدون بالكاميرا المعلقة من السقف، أفترض أن جاريت هناك، ربما يأكل الفشار.

"متى مارستِ الجنس لأول مرة مع بابا نويل؟" يسألني ذو البذلة.

يباغتني السؤال حتى إنني كدت أن أفتح فمي للإجابة، هل هذه اكتشافات جاريت المذهلة؟

"اسمحي لي أن أكرر لضعاف السمع: هل يمكنكِ إخبارنا بتاريخ أول لقاء جنسي لك مع سانتا كلوز القاتل".

يجب أن أعرف ما الذي يتحدثون عنه بحق الجحيم، لكن لم يندم أحدٌ أبدًا على عدم التحدث إلى رجال الشرطة.

أقول لهما: "محام".

"هل مارست الجنس مع بابا نويل القاتل قبل أو بعد أن حاول قتلك؟"، يسألني.

"حاول قتلك مرتين"، تصحح لي الشرطية.

"المرة الثانية لم يكن هو"، يصحح لها ذو البذلة، "كان أخاه".

الجدار لونه جميل، أصفر شاحب، أتمنى أن أريح بصري فوقه إلى الأبد، أكرر: "محام".

- هل تعرفين الرجل في هذه الصورة؟

يدفع ذو البذلة بصورة لامعة مقاس ثمانية × عشرة عبر الطاولة، لقد أراد ريكي أن يكون ممثلًا، وانتهى الأمر بصورته في ملف، ها هو أمامي، بزاوية ثلاثة أرباع، يعطيني ابتسامة خبيثة من خلال صورته الراقدة فوق سطح الطاولة. ربما اعتقد مدير اختيار الممثلين أنه كان ساحرًا، ذا سلوكيات شيطانية عابثة، لكن كل ما يمكنني رؤيته على وجهه هو الجنون.

أكرر: "محام".

أركز على وشم رقبة ذي البذلة، يبدو أنه اسم امرأة، لوسيل؟ شانيل؟ جانيل؟

بنفاد صبر تُخرج الشرطية شهيقًا بين أسنانها.

"ماذا عن هذا الرجل؟" يقول الضابط، وهو يرفع صورة ريكي ويضع أخرى لبيلي.

بيلي لم يعتنِ بنفسه كما فعل ريكي، لقد عاش حياة قاسية، كسر أنفه وهو يلعب كرة القدم، لكنه حصل على نفس مظهر ممثل مسلسلات الدراما، على الرغم من أنه من الصعب معرفة ذلك من الصورة، فقد قاموا بضربه جيدًا قبل أن يأخذوا هذه اللقطة، وهذا لم يحزنِّي في شيء.

أكرر: "محام".

تقول الشرطية: "مكتب المحامي العام غارق في القضايا، لقد وافقنا على طلبك، وهم يأملون في إرسال أحدهم إلى هنا بنهاية اليوم".

يقول الضابط: "أو غدًا".

قلت: "سأنتظر"، في محاولة لمنع رئتي من الانسداد.

يقفان ويخرجان من الغرفة لكنهما تركا صور ريكي وبيلي ووكر على الطاولة.

لا تزال الكاميرا تراقبني، لذا لا أستطيع الصراخ أو البكاء أو ضرب رأسي في الطاولة، لا أستطيع فعل أي شيء أريده، وهو ما يستلزم كل إرادتي.

هذا إذن ما يقال عني؟ مارست الجنس مع ريكي والكر؟ لا أستطيع حتى التفكير في هذه الجملة من دون أن ترتبك معدتي.

أركز على أخذ أنفاس عميقة، ولا أنظر إلى الصور، بل أريح عيني على الحائط. بعد فترة طويلة، انفتح الباب ودخل جاريت بمفرده، حاملًا ملفًا رفيعًا، مرتديًا قبعة رعاة البقر وابتسامة غامضة متعالية.

قال وهو يضع الحافظة على الطاولة: "لا أحد هنا غيرنا نحن الدجاج".

كالعادة، الغرفة ليست كبيرة بما يكفي لي وله وعطره النفاذ.

"ألاحظ أنك لم تستجيبي لضباط لوس أنجلوس" قالها وهو يمط الضمة على حرف الجيم والكسرة في أنجلوس. "لذلك فقد أقنعتهم بمنحنا بعض الوقت بمفردنا. نحن أصدقاء قدامى، أنا وأنتِ، لذلك دعينا نتخطى المزاح اللطيف، ونختصر الدردشة، وندخل في صلب الموضوع، كيف يبدو لك الأمر؟".

ينظر إلى عيني، مثل مصباح يدوي يلمع في وجهي مباشرة، لكنني لن أنظر بعيدًا.

"أنا لا أحب الكذابين، ليني، لكني سأمنحك فرصة للقيام بما يأمرنا به يسوع وتعترفين بكل شيء".

متعالٍ ومتعجرف لدرجة أنني نسيت نفسي.

"أعترف بماذا؟" أسأل.

"إنها تتكلم!" يقول وهو يفتح الملف بما لا يمكنني من رؤية محتوياته، "نحمد الرب".

الصور التي يخرجها لا تزعجني، لقد شاهدتها تحدث، لكن الطريقة التي كنت أستمع إليه فيها وهو يتبختر ويتملق نفسه ثم أجد أن الطاولة أصبحت مغطاة بصورٍ واضحة لأفراد عائلتي القتلى، كأن صدري قد سُجِنَ في قفصٍ حديدي ملتهبٍ. لحظتها عرفت أن المحامي الخاص بي لن يأتي.

"نعم، إنهم دائمًا ما يؤثرون في بنفس الطريقة" يقول وهو يهذب شاربه بأطراف أصابعه، ويراقبني من أسفل قبعته. قام بإخراج صورة جثة والدي ووضعها في الأعلى، "لقد كنت أحترم هذا الرجل حقًّا".

يتكئ على الطاولة، لتصطدم حافة قبعته برأسي، يتكلم بصوتٍ منخفضٍ وبطيء.

"متى بدأت علاقتك حميمة مع ريكي والكر؟" يسألني، لكن كلماته لا معنى لها.

"أنت تعلم أنني لم أفعل"، خرج صوتي ضعيفًا فيضحك وهو يقول: "بيلي يقول شيئًا مختلفًا، لقد اعتنق الفتى مذهب يسوع، ولم يعُد يستطيع أن يكذب".

"قال لي والدي إنه لا يمكنك حتى توجيه حركة المرور في مباراة بولدوجز من دون من يمسك بيدك"، أجيبه وأنا أنظر إلى عينيه مباشرةً قبل أن أستطرد: "لمن كانت هذه الفكرة؟".

يعطيني ابتسامة رقيقة تظهر جزءًا من أسنانه.

"إذن أنتِ تقولين إنك لم تمارسي مع ريكي ووكر الرذيلة لمدة ستة أشهر قبل وقوع الجريمة؟ ولم تطلبي منه أن يقتل والديك؟ تقولين إنكِ لم تخبريه كم تكرهين والدك؟ ألم تقنعي ذلك الفتى المريض ذهنيًا بقتل ذويك؟ هذه هي مشكلة المرضى النفسيين يا ليني، يمكنكِ أن تقوديهم إلى البحر لكن لا يمكنك جعلهم يقتلون من تريدينهم، إنهم يميلون إلى إفساد الأمر بجنونهم".

فجأة أصبح لديَّ فكرة عمّا يوجد داخل هذا الملف، ولم يعد في إمكاني التمسك بالعالم الواقعي بعد الآن، ليس وأنا أتعثَّر في هذا العرض اللعين وهم يراقبونني من وراء الزجاج، حيث يتربص بي الجميع.

"هذا ليس صحيحًا"، كلمات تخرج مني دفاعًا ضعيفًا.

"لا أحد يحب قتلة رجال الشرطة يا لينيت." يقولها وهو يضحك.

"لم أفعل..." أبدأ دفاعي من جديد، لكنه يقاطعني: "صحيح، بالطبع لا". يحاول إصابتي بالذعر، وينجح في ذلك. "أنتِ مجرد معاونة للقاتل الحقيقي، نحن لا نعتمد فقط على كلمة بيلي، وهذا لأنه لا يهم مدى تدين القاتل المتسلسل، فإن معظم القضاة لا يبالون بمصداقيتهم ولا شهاداتهم".

أراهم جميعًا أمامي: أمي، أبي، أختي، تومي، فأغمض عيني.

"ماذا كنتِ تتوقعين؟" يسألني، "هل كان ريكي سيقتل صديقك ووالديك من أجلك؟".

أتذكر تومي وهو يحاول حمايتي، تومي الذي لم يستسلم، تومي الذي كان ينهض مرارًا وتكرارًا مهما طعنه ريكي. أسمع صوت فتح الملف ثم خرفشة كيس الأدلة البلاستيكي.

يقرأ بأسلوبٍ مسرحي مقززٍ:

"عزيزي ريكي، لا تضع عنوان عودتك على رسالتك. أبي هو رئيس الشرطة وإذا علم أنك تراسلني...".

هنا أقفز فوق الطاولة.

كانوا ينتظرونني خارج الباب، يتقدمهم ذو البذلة، قبل أن يجبروني على الخضوع، يسحقون قفصي الصدري على الطاولة، يقيدونني ويسحبونني إلى خارج الغرفة.

لم يضيعوا وقتهم، أحد جدران الزنزانة التي ألقوني فيها كان من الزجاج المقوى. على الجانب الآخر منه، قاموا بعمل عرض صغير لي: شجرة عيد ميلاد صناعية، تم إعدادها بأضواء متلألئة وديكور دقيق.

أرى الشرطية تنقر على الزجاج، ترتدي قبعة بابا نويل ولحية بيضاء كبيرة.

أبدأ بالصراخ.

تقف هي على الجانب الآخر مع رجال الشرطة الآخرين، وتضحك، وتضحك، وتضحك.

***

الزنزانة التي سأموت فيها أصغر من الغرفة التي كانت مخصصة لميشيل بدار الرعاية، مضاءة بشكلٍ ساطعٍ لتمكِّنهم من مراقبتي عبر الجدار الزجاجي في حالة محاولتي الانتحار قبل أن يتمكَّنوا هم من قتلي. الزجاج شبكي غير قابلٍ للكسر، أعرف هذا لأنني حاولت بالفعل كسره وفشلت. الجدران كتلة وردية فاتحة مثل الجمر، والأرضية خرسانية. هناك لوحٌ يبرز من الحائط يمكنني الاستلقاء فوقه. يوجد خلف اللوح

قاعدة من الستانلس غير القابل للصدأ مع حوض في الأعلى ومرحاض من الصلب على الجانب الآخر، إذا انكمشت وأنا جالسة على المرحاض وانحنيت حتى يلتصق صدري بركبتي، فيمكنني أن أحصل على قدرٍ ضئيلٍ من الخصوصية. أعطوني لفافة من ورق التواليت لكنهم أخذوا رباط حذائي.

لم أعد أكره هيذر لاتصالها بجاريت لأنني أبقي كل كراهيتي لنفسي، لو لم يكن كل هؤلاء رجال الشرطة يراقبونني، لكنت قتلت نفسي الآن، ليس لديَّ رباط حذاء لكنني واسعة الحيلة، كنت سأقضم لساني وأختنق بدمي حتى الموت إذا علمت أنهم لن يكونوا فوقي قبل أن تزهق روحي.

إن اللوح باردٌ، لكني أغفو فوقه، لا يوجد بطانية. في لحظة ما، أستيقظ لأجد مجموعة من رجال الشرطة يغنون ترانيم عيد الميلاد وهم يراقبونني. لقد قاموا بلصق ديكورات وزخارف بابا نويل على الزجاج حتى أتمكَّن من رؤية وجهه، أحمر وسعيدًا، يريدون مني أن أعطيهم ردَّ فعل، ولا أستطيع منع نفسي، فأعطيهم ما يريدون.

أنتظر حتى تأتي مارلين مع محامٍ خاص، أنتظر وصول چوليا مع محامي العام، أنتظر داني، أو الدكتورة كارول، شخصًا ما ينقذني من نفسي، ثم أتذكر أن چوليا في المستشفى، داني في الحجز، ومارلين في الأغلب تكرهني، وكذلك هيذر والدكتورة كارول، لأنهن يعتقدن أنني ارتكبت الخطيئة الوحيدة التي لا يمكننا أن نغفرها: التودد إلى وحشك الآدمي، يعتقدون جميعًا أنني كريسي ميرسر أخرى.

أستطيع أن أرى وجهي في الأخبار مرة أخرى، يتهمونني بما تخيلوه، الفاسقة التي قامت بمضاجعة القاتل. صورتي في المدرسة الثانوية ولقطة ريكي، وجوهنا ملتصقة ومتجاورة مثل ثنائي راقصٍ في حفلة موسيقية، تتردد على جميع القنوات الإخبارية.

نظرت عبر الزجاج لأرى جاريت يقف بجانب شجرة عيد الميلاد، عندما تلتقي عينانا يشير إليَّ بالإصبع الوسطى.

كم هو أمر مضحك، لكنه الرجل الوحيد الذي أحببته.

عشية عيد الميلاد، سنة 1988، في بلدة أمريكان فورك، بولاية يوتا. أغنية "سويت تشايلد أو ماين" لفرقة جانز آند روزز تصدي في كل مكان، لكنني كنت أفضِّل أغنية "نيفير جونّا جيف أب" لريك آستلي. هذا لأنني سعيدة طوال الوقت، وقد كنت أحب. يبدو تومي بوركهارت تمامًا مثل جوردان نايت بينما تطلق علينا أمي تشارلز وديانا لأنها تعتقد أنه يعاملني كأميرة. على الرغم من أننا كنَّا نتواعد منذ ستة أسابيع فقط، ستة أسابيع بدأت في منتصف نوفمبر واستمرت طوال فترة الكريسماس، وكنت أعلم أنه سيقدم إليَّ هدية رائعة لعيد الميلاد.

كان والداي سيحصلان على الطلاق لو لم يكن والدي يهتم كثيرًا بالمظاهر. هو قائد شرطة بلدة صغيرة وقد استثمر في مشروع نورمان روكويل، لذلك فهو يختبئ في المكتب، بينما تلعب أمي دور ربة المنزل السعيدة، وتجعل كل شيء مثاليًا قدر الإمكان طوال الوقت. وهذا يدفعنا جميعًا إلى الجنون. يبذلان قصارى جهدهما، لكني أنا وجيليان نعلم أنه يجب علينا فعل شيء ما.

جيليان في الحادية عشرة من عمرها، وقد تحدثنا عن ما سيحدث عندما يتم الطلاق، وقررنا قضاء عطلات نهاية الأسبوع مع أبي، وبقية الأيام مع أمي، وأنه لن تنفصل إحدانا عن الأخرى؛ الأخوات لا يتفرقن. يأمل كلانا أن يحدث ذلك قريبًا لأننا كنا نسير على قشر البيض من شدة الحذر.

تأتي عشية عيد الميلاد، وربح أبي عشاء لشخصين في ذلك المطعم الإيطالي بوسط المدينة. لقد قرأ في إحدى المجلات إنه يجب قضاء بعض الوقت مع زوجته وحدهما، لذلك يأتي إليَّ أنا وجيليان ويطلب مباركتنا بمنتهى الجدية، وقد كان ذلك المطعم هو المكان الذي تواعدا فيه أول مرة. كان متوترًا حتى تعرَّقت يداه، بالطبع وافقنا، وقبل أن يغادر لتناول العشاء، طلب مني التأكد من أن ربطة عنقه مستقيمة ثم قال: "تمني لي التوفيق"، وفجأة لم يعد والدي في نظري، بل رجلًا في طريقه إلى موعدٍ غرامي. أعود للداخل وأدعو أن يستطيعا حل مشاكلهما، أركع بجانب سريري ويداي مطويتان بالدعاء.

أحببت عيد الميلاد. أحببت ترانيم عيد الميلاد التي لا تتوقف جوقة تابرناكل عن عزفها في المركز التجاري. أحببت أفلام الرسوم المتحركة عن أطباء الأسنان الجان ومشاهدة رودولف ذي ريدنوزد ريندير على شاشة التلفزيون، أحببت والدتي وهي تخبز، لذا كانت رائحة المنزل دائمًا مثل السكر الساخن والزبدة الدافئة. أحببت تغليف الهدايا، جعلني أشعر أن السلام على الأرض شيء ممكن، جعلني أشعر أن عشاء فاخرًا يمكن أن يحل زواج أمي وأبي.

اتصل تومي ليقول إنه سيحضر إليَّ هديتي، وأرسلت جيليان إلى الطابق العلوي.

"شاهدي التلفاز في غرفة أمي وأبي، ولا تنزلي".

قالت "لديك موعد غرامي"، أكرهها لكونها مزعجة وأحبها لكونها طفلة.

فتحتُ الباب لتومي ووقفت مذهولة من مظهره الجميل. أنا لست قبيحة، لكنني لم أعتقد أبدًا أنني سأحظى به، خاصة وأن شاشينا جروتيباس كانت تريده لنفسها. تعانقنا لبعض الوقت، ثم قدَّم إليَّ هديتي، دبوس شجرة عيد الميلاد مزينًا بالياقوت والزمرد.

بعد مرور عشرين عامًا، علمت أنها أحجار مزيفة، لكننا كنَّا على طاولة البلياردو في غرفة الاستراحة وكنت قد رفعت قميصي. أتذكر كيف توهج ذهب الدبوس على بشرتي، وكما قلت، كنت أحب الكريسماس أكثر من أي شيء آخر.

لم يكن من المقرر عودة أمي وأبي حتى الساعة الحادية عشرة مساءً، وكانت الساعة الثامنة مساءً فقط، حتى لو تشاجرا، فقد اعتقدت أن لدينا ساعتين على الأقل، لذا قررت أن هذه ستكون ليلة لا تنسى. بدأ الأمر يتطور فوق طاولة البلياردو، لكنني خططت للانتقال إلى الأريكة فائقة النعومة في الطابق العلوي.

ثم رنَّ جرس الباب.

"أهلك؟" سألني تومي وقد انتصب في وضعٍ مستقيم، فأجبته: "معهم مفاتيح".

رنَّ جرس الباب مرة أخرى.

زمجرتُ وخرجتُ من تحت تومي، وأمسكتُ بقميص الهوكي، وربطت بروش عيد الميلاد، هدية تومي، على ياقتي.

قال: "أسرعي بالعودة"، بينما كنتُ أعيد إحكام ملابسي وأصعد السلم،

كانت تلك كلماته الأخيرة لي.

كنتُ في السادسة عشرة من عمري، غبية نوعًا ما، كنا نعرف الجميع في بلدة أمريكان فورك، لذلك فقد فتحت الباب للتوّ من دون أن أنظر من الزجاج. لم يكن أحدٌ هناك، وكان الجو قارس البرودة، لكنني وقفت لدقيقة أستنشق دخان الحطب من مداخن الجيران، مع وجود صديقي في الطابق السفلي، وهديته على عظم ترقوتي، معتقدة أنني فاتنة، متخيلة أنني أتحكم في العالم كله بخيطٍ رفيع.

ثم ظهر بابا نويل من جانب البيت حاملًا فأسًا.

في البداية، لم أتعرَّف على ريكي والكر، كل ما رأيته كان بذلة بابا نويل، واعتقدتَ أنه أحد لاعبي فريق الهوكي يمزح، لم أعتقد أنه كان مضحكًا لذا أغلقت الباب في وجهه وأدرت القفل.

لم يستغرق منه الأمر سوى ضربتين بالفأس ليفتح الباب على مصراعيه، ويدخل ومعه البرد، كان ذلك عندما تعرفت عليه.

- ريكي؟

هجم عليَّ بفأسه، وعندما صرختُ سمعني تومي وصعد الدرج. حاول حمايتي، لكن كلما حال بيننا، كان ريكي يضربه بفأسه، أخيرًا، كان رأس تومي مشوَّهًا لدرجة أنني توسلت إليه، "تومي، لا تنهض مرة أخرى!".

رشق ريكي فأسه في رقبة تومي، ثم انقض عليّ، تمكنت من خدش وجهه، لكنه مزّق قميصي ورفعني وحملني إلى غرفة المعيشة. كان والدي صيادًا كبيرًا قبل ولادة شقيقتي جيليان، وقد اصطاد ظبيًا ذا ذيل أبيض، ووضع رأسه الضخم ذا القرون الهائلة على جدار غرفة المعيشة، كان هذا ما خوزقني ريكي عليه.

في البداية لم أفهم ما كان يؤلمني، ثم بدأت القرون تخترقني لدرجة أنني اعتقدت أنها ستمزقني نصفين، ثم صاروا داخلي، شاهدتهم يخرجون من الأمام.

كنت ضئيلة جدًّا في ذلك الوقت، بالكاد أزن خمسة وتسعين رطلًا، ودخلت القرون فوق كليتي وخرجت أسفل القفص الصدري، عُلِقت هناك لمدة عشر ساعات في حالة صدمة، وقد منعتني القرون ووزني من النزيف حتى الموت. فقدت وعيي وعدتُ إليه مرارًا حتى رأيت جيليان تنزل الدرج، وحين عاد أمي وأبي، شاهدت ريكي وهو يتولى أمرهم جميعًا.

عندما كنت في السادسة من عمري كنت أعتقد أنني أم جيليان، سمحوا لي أن أصنع لها حلوى، كنت أعدها كل صباح، أعطيها حمامًا حتى رأيت "وداعًا للدموع" مكتوبة على شامبو جونسون للأطفال. لطالما حاولت أن أكون شديدة الحذر عندما أغسل شعرها الطفولي، ثم رأيت ذلك الملصق وشممت الرائحة الطيبة، وقد بدا لي الشامبو الأصفر السميك مثل العسل. سكبتُ نصف الزجاجة في عينيها لأنني اعتقدت أنه "وداعًا للدموع"، أليس كذلك، وصفة سحرية تعني أنها لن تبكي مرة أخرى، لكنها صرخت بأعلى صوتها حتى ثقبت طبلة أذني، انقضت أمي عليها ورفعتها على كتفها لتضمها إلى جانب رقبتها.

قالت في غضبٍ شديدٍ: "لينيت، عليك حماية أختك".

أنا آسفة يا جيلي.

لقد فعل ريكي أشياء مريعة بجسدها، بأجسادهم جميعًا، قام بتأليف سيناريوهات، كان يقشر اللحم من فوق عظامهم. في مرحلة ما، التقت أعيننا أنا وأمي بينما كان تركيز ريكي منصبًّا على أبي، ورأت أمي الدموع تنهمر على وجهي، كانت تعلم أنه إذا رآني ريكي أبكي فسوف يدرك أنني ما زلت على قيد الحياة، ولذا هاجمته أمي؛ لفتت انتباهه، جعلته يركز فيها تمامًا، ولفترة طويلة؛ كانت ضحية مثالية، أتمنى ألا تكون تألمت كثيرًا. أتمنى أن تكون ثملة كي لا تشعر بشيء.

لن أعرف أبدًا ما إذا كان أبي قد أعاد إحياء علاقته الرومانسية بأمي، حرمني ريكي من إجابة هذا السؤال، إلى الأبد، ولم تعش أمي حتى تكتشف ما حدث لتشارلز وديانا.

عندما أشرقت الشمس، كان ريكي يغط في النوم داخل العش الدموي الذي بناه من أجساد عائلتي، لم أستطع معرفة جسد تومي من جسد والدي، كان من السهل معرفة مكان بقايا جيليان، فقد وضع رأسها على رف الموقد، وهي تنظر إليَّ.

استيقظ ريكي، وذهب إلى المطبخ ليتبول في حوضنا، كان لا يزال هناك عندما خطا الشرطي الأول في غرفة المعيشة.

"مرحبًا؟" هكذا نادى مايك ميلر عبر الباب الأمامي المكسور، "أهناك شخصٌ في المنزل؟ كارل؟ كارول؟ سوف أدخل".

أردت أن أحذره، لكنني لم أرغب في كشف نفسي، وكان نصيبه فأسًا في صدره، كان جاريت بي كانون الشرطي التالي عبر الباب.

"مايك؟" هتف جاريت، وهو يدخل المنزل، "مايك؟ من الأفضل لك ألا تسرق هدايا عيد الميلاد من بيت رئيسنا".

ثم رأى ريكي يشق قفص مايك الصدري بفأسه، نهض ريكي وهجم عليه، سمعت مسدس جاريت يقع وهو يسب ويلعن، قبل أن يتمكَّن من التقاطه في الوقت المناسب وأطلق منه خمس رصاصات. ساد الصمت بعدها، ثم عاد ريكي ركضًا إلى غرفة المعيشة، لم أستطع معرفة ما إذا كان قد تعرض للإصابة أم لا لأنه كان غارقًا بالدماء قبلها.

حطَّم الأبواب الزجاجية المنزلقة في الطرف البعيد من غرفة المعيشة ووراءه جاريت، وهو يخفق في إعادة حشو سلاحه، لكنه نجح في النهاية وأفرغه في ظهر ريكي. أتذكر أنني رأيتُ ريكي ينقلب فوق الدرابزين، وقدماه ترتفعان في الهواء بشكلٍ مستقيمٍ، قبل إنه سقط بقوة قسمت جمجمته قسمين.

وقف جاريت هناك لمدة دقيقة قبل أن ينقشع دخان السلاح، ناظرًا إلى نسائل الجلد والعضلات وشظايا العظام التي كانت عائلتي والفتى الذي أحببته. شعرت أن عقلي بعيدٌ، لكنني تمكَّنت من التلويح بيدي اليسرى في دوائر صغيرة من عند الرسغ حتى انتبه جاريت.

"يا للهول"، شهق بعنفٍ وهو ينظر إليَّ، ثم خرج وأفرغ ما تبقى من ذخيرته في جثة ريكي، ذهب إلى جهاز اللا سلكي واستدعى كل الإمدادات التي يمكن أن يجدها في صباح عيد الميلاد.

أعطوني مسكناتٍ للألم قبل أن يقطعوا القرون ويأخذوني من فوقها إلى المستشفى مباشرة، فقدتُ الوعي لمدة يومين تقريبًا، ولم يترك جاريت جانبي طوال الوقت.

استيقظت، غير قادرة على الاستلقاء على ظهري، لأجد ألمًا لم أكن أعتقد أنه من الممكن اختباره، حتى أظافر قدمي كانت تؤلمني. أحضر إليَّ جاريت الصحف وأطلعني بالأخبار، أحضر إليَّ الزهور ثم كذب عليَّ وقال إنني كنتُ أرتدي قميصًا عندما وجدني. في ذلك الوقت لم تكن لتحظى الفتيات العاريات غير المتزوجات في ولاية يوتا بالتعاطف، وقد أراد جاريت التأكد من أن يراني الجميع الضحية النقية البريئة في هذه القصة.

جلس بجانبي في أول مؤتمرٍ صحفي لي، الذي انحنيت فيه لأفرغ كل ما جوفي فوق المنضدة، لكنه حكى قصتي بالنيابة عني. في بقية المقابلات جلستُ بجانبه واكتفيتُ بالابتسام، وعندما سألوني قلتُ عنه إنه "بطلي"، "كل شيء بالنسبة إليَّ"، "فارسي ذو الدرع اللامع" هو ما كان صحيحًا، في ذلك الوقت، كان الشيء الوحيد الذي يقف بيني وبين الصراخ كالمجنونة هو جاريت بي كانون.

هل كانت مفاجأة أن أقع في الحب؟

***

لمدة عامين كنتُ الحمقاء الصغيرة التي تفعل ما يقال لها، رميتُ كل شيء ورائي، حاولت ألا أتمسك بالماضي.

"لماذا نعيش في الماضي؟" غردت كعصفورةٍ بلهاء، مبتسمة بشجاعة.

والداي بالتبني كانا كل ما تمنيته، في عيد الميلاد التالي، كادا يقنعاني أن الأمور صارت طبيعية. استأجرنا أفلامًا، وذهبنا إلى التزلج على الجليد، ثم عدنا للمنزل لنلعب أدوارًا لا تنتهي من المونوبولي، قمنا بطهي وجبات غير تقليدية، فعلنا كل ما يمكنه أن يبعدني عن التفكير في ريكي.

في عيد الميلاد التالي، سمحت لمايك وزوجته ليز أن يضعا بعض زينة عيد الميلاد، وكنتُ أشعر بالإثارة سرًّا، أكثر مما كنت أتوقع، عندما رأيت هدايا ملفوفة عليها اسمي في غرفة المعيشة. سمحتُ لنفسي أن أتخيل أن كل شيء يمكن أن يكون طبيعيًا مرة أخرى. سيساعدني كلٌّ من مايك وليز في الحصول على حياة حقيقية، لم أعول على شقيق ريكي الصغير، بيلي، لم يفعل أحدٌ.

كان بيلي يقضي عقوبته في جناح نفسي مغلق لمهاجمته جاره في شجار حول اليوم الذي يضع فيه أيهما صناديق القمامة الخاصة به، وكان يلومني على ما حدث لأخيه الأكبر. عندما جاء وقت عيد الميلاد، قرر أن عليه إخباري بما يشعر، حصل على بذلة بابا نويل من مكانٍ ما، وخنق زميله في الغرفة، ثم تبادل إطلاق النار في غرفة الاستقبال مع شرطيين أسفر عن مقتلهما. بالطبع، عندما أدرك الناس من هو شقيقه، صاروا في حالة تأهب قصوى. كنت أحتاج بشدة إلى التحدث مع جاريت، لكنه كان مشغولًا بإخبار الصحافة كيف يجب عليه أن يكون حذرًا حين يحدّق إلى هاوية الجحيم لأنها ستحدق إليه أيضًا.

لكنه تكرّم ووضع مراقبة خارج منزل عائلتي الجديدة، أربعة رجال شرطة، في الواقع، كلهم عند الباب الأمامي، مما يعني أن بيلي جاء من الخلف، وكانت كارول هي ضحيته الأولى، ثم مايك.

شلَّ الذعر حركتي، منعني من الركض، ونزفت ندوبي كأنها جراحٌ جديدة طوال الساعات الثلاث التي أبقاني فيها في المطبخ. في البداية كان يضربني كلما أحدثت ضوضاء، ثم بدأ يضربني من أجل المتعة. استخدم حاجزَ بابٍ -على شكل القطة كيتي- مصنوعًا من الحديد المصبوب كانت كارول تعشقه. تشوّه الجزء الخلفي من جمجمتي لدرجة أنه كان

عليهم زرع دعامة معدنية، وفي المرات القليلة التي سافرت فيها بعد ذلك، كنت عادةً ما أصيب جهاز الكشف عن المعادن بالجنون.

أنا متأكدة من أنه كان سيقتلني إذا لم يقرع أحد رجال الشرطة جرس الباب لاستخدام الحمام، أطلق عليه بيلي النار وخرج من الخلف كما جاء. استغرق الأمر منهم أربعًا وعشرين ساعة ليجدوه مختبئًا في مشهد المهد في كنيسة لوثرية. أطلق جاريت النار عليه في تمام الساعة 3:14 صباحًا في صباح عيد الميلاد الممطر، ثم أخرجه وهو ينزف وألقاه في المقعد الخلفي لسيارته. لم يفرغ في ظهره كل ما يحمل من ذخيرة هذه المرة، فقد أدرك جاريت أن القبض على القاتل حيًّا يحدث كل الفرق عندما يتعلق الأمر بصفقات الكتاب.

مرة أخرى كان جاريت ينتظرني عندما خرجت من غرفة الجراحة، مستعدًّا لأخذ الفضل في إنقاذي للمرة الثانية. من قبل، كنت أعبد الأرض التي كان يسير عليها، كان حبًّا تافهًا. هذه المرة كنت في الثامنة عشرة وكان يريد أكثر من حبي الساذج مقابل مكافأته، كانت المرة الأولى التي مارسناها في غرفتي بالمستشفى. كان أكبر مني بثلاث وعشرين عامًا، لكني لم أهتم، كان لديه زوجة وأطفال، لكن عندما لم يكن معي في شقتي، كنت أتصل بمنزله أبكي، وأتوسل إليه ليأتي ليحميني. قال جاريت لزوجته إنني "انطبعت" عليه مثل فرخ البطة. كان زواجها الثاني بعد أن ذهب زوجها الأول إلى السجن لإطلاق النار على شقيقها، لم تكن من النوع الذي يطرح الكثير من الأسئلة.

لمدة عامين، كان جاريت كل شيء بالنسبة إليَّ، تعامل مع من يريدون ظهوري في برامجهم، بَتَّ في جميع العقود الخاصة بي، وذهب إلى كل

مقابلاتي، وقد فعلتُ كلَّ ما يريد، معه شعرت بالرعاية والحماية، لكنني لم أرَ كم استفاد من كل هذا هو الآخر.

ذهب بي إلى لوس أنجلوس حيث شاركت في أول فيلم سلاي يبلز، صفقته الكبرى في ذلك الوقت. احتاج المنتجون إلى وسيلة للتحايل لجعل الناس يلاحظون إنتاجهم الرديء، وكنت غبية بما يكفي لتصديق جاريت عندما قال إنه سيكون ملائمًا لي. لم أفكر أبدًا في سؤاله عن المبلغ الذي دفعوه له، لكن في اللحظة الأخيرة، أصبت بنوبة هلعٍ، هربت منهم وعدت إلى أمريكان فورك. أخبرني أنه لا يمانع في أن أفسد صفقته، لكن بعد ذلك توقف عن الاتصال بي كما كان يفعل، ثم توقف عن المجيء مرة واحدة، وبعد فترة نسيني، وكنت أبكي كل ليلة حتى أذهب في النوم، ولمدة طويلة.

اعتقدت أن جاريت قد تركني وحدي، لكنني أدركت في النهاية أنني كنتُ دومًا وحيدة. لقد فعلت كلَّ ما طلبوه مني، ولم يمنع هذا من أن تتكرر المأساة، لم يتمكن أحدٌ من إبقائي بأمان، لم ينتبه لي أحدٌ، الشخص الوحيد الذي كان يمكنه أن يحافظ على سلامتي هو أنا، وكان هذا ما فعلته بالضبط.

أحيانًا، كان يمرُّ عام كامل حتى أعتقد أن هذه هي نهاية القصة، لكن في أعماق قلبي كنت أعلم أنني أستحق أن أكون في السجن، بداخلي يقين بأنني أستحق أن أكون في الجحيم.

والآن بالطبع، بعد أن عثروا على الخطابات، أصبح لدى الجميع هذا اليقين.

***

ل.ت 5/ 02

أعرف بالخبرة أن طريقة لينيت للتكيف متطرفة بكل المعايير. سلوكها أقرب لندم الناجي الوحيد من حادث ما، أقرب ما يكون لعقاب النفس. في لقاء قريب سألتني إن كانت تأخذ احتياطات كافية لتبقى في أمان لأجيبها أنها قد جعلت من حياتها روتيناً لا طعم له. شعرت أنه نقد لاذع فدافعت عن نفسها قائلة أنها تحيا ما تبقى من الحياة التي تركها لها، نسبة لبيلي والكر. فما كان مني سوى أن أخبرها أنها تحيا الحياة التي تظن أنها تستحقها. حينها انغلقت على نفسها ولم تعقب.

لدي إحساس قوي أنها تخفي شيئاً، أو في حالة انكار عالية لشيء آخر. وهو كامن في جذر المشكلة التي تعقد حياتها وتجعلها تهاب الخلاء ومصابة بتلك البارانويا المزمنة.

***

الجو باردٌ هنا، يخترق هواء التكييف المركزي البارد عظامي، لا يتحدث معي أحدٌ، لا يخبرونني بما يحدث. بدلًا من ذلك، يقومون بلصق نسخ مصورة من خطاباتي على الحائط الزجاجي حتى أتمكّن من قراءة كل سطر بها، لا يزال في إمكاني رؤية جمل أتذكر أنني كتبتها على رزنامة هولي هوبي المزينة بالورود حول الأطراف.

أخرجوني من زنزانتي مرتين، مرة ليصوروني ومرة لآخذ حمامًا باردًا. في كلتا المرتين، عندما أعود، كان هناك المزيد من الخطابات الملصقة على الحائط الزجاجي، رسائل أبذل قصارى جهدي كي لا أنظر إليها.

يُفتح الباب ثلاث مرات في اليوم، ويحضر شرطي كومة من صواني الطعام البنية عالية الجوانب إلى زنزانتي. يترك واحدة على الأرض كأنه كلبٌ يترك غائطه، أحسب الوقت لتتبع الجدول، يأتي واحدٌ كل خمس ساعات، بدءًا من الثامنة صباحًا.

أعلم أنه في مكانٍ ما يتم تحريك أوراقي من خلال القنوات الهضمية الغليظة للنظام القانوني، وسرعان ما سيفتحون بابي وبدلًا من اصطحابي إلى الحمام، سيأخذونني إلى قاعة المحكمة حيث سيقدرون كفالة أكبر مما أستطيع دفعه، وعندما يحدث ذلك، سوف أُرسَل إلى السجن العام لانتظار محاكمتي، حيث ستطعنني حتى الموت إحدى المجنونات اليائسات من الحياة بفرشاة أسنان حادة، مجنونة تسعى إلى تحقيق الشهرة. من المحتمل أن تكون قادرة على بيع المدية التي قتلت بها فتاة أخيرة ببضعة دولارات عبر الإنترنت، حتى لو لم تكن أخيرة تمامًا.

وأنا أستحق ذلك.

هذا ما كانوا يقولونه عني دائمًا: أنا لستُ فتاة أخيرة حقيقية؛ الأخريات قاومن حتى قتلن وحوشهن الآدمية، لكن ماذا عني؟ لقد عُلِّقت على تلك القرون مثل قطعة من اللحم، بقيت هناك بينما كان يحفر في جمجمتي، أنا لم أنقذ أحدًا، جاريت بي كانون أنقذني.

أتى شرطي بصينية الغداء: موز، تفاح، شريحتان من الخبز الأبيض، شريحتان من بولونيا، كيس مايونيز، قطعتان من كعك السكر، وبعض الفاكهة. بينما كنت آكل التفاحة، تقفز عبارات من رسائلي إلى ذهني عبارات أرسلتها إلى وحشي الآدمي.

"... أتمنى لو كنت هنا حتى يمكننا الهروب...".

"... كيف حال عملك بالتمثيل، هل رأيتك في عملٍ ما...".

"... هل سمعت ألبوم ميتاليكا الجديد... ".

أتذكر أنني كنت سعيدة طوال الوقت في مرحلة الثانوية، لكن هذه الرسائل تحكي قصة مختلفة.

"... أبي يتصرف كأننا مشتبه فينا، ينتظر أن يرتكب أحدنا خطأً واحدًا حتى يتمكن من إرسالنا إلى السجن...".

"... لقد جعل جيليان تنظف الحمام بفرشاة أسنانها...".

"... أتمنى أن يظهر من هو أقوى منه ليذيقه بعضًا من...".

"... أنا أكرهه... ".

"... وجودي مع هذه العائلة مثل التواجد في الجحيم...".

"... أتمنى لو كان ميتًا... ".

"... سيكون خائفًا جدًّا من قول أي شيء لوجهك...".

"...أرجوك أغثني...".

كان أبي في الجيش ولديه أفكارٌ صارمة حول القانون والنظام، ربما كان أكثر حزمًا مما يجب، لكنني لا أتذكر أنني كنت أكرهه بهذا العنف. كل المراهقين يتغذون على الصراعات، ولا أستطيع أن أتخيل أنني كنت استثناءً. بعد بيلي ووكر، دفنت الأوقات العصيبة التي عشتها مع أبي وقمت بتلميع هالته حتى تصبح مشرقة بما يكفي لتعميني عن الماضي.

عندما كنتُ في الصف الخامس، عيَّنت السيدة مارجريت أصدقاء للمراسلة، كان معظمهم في دور رعاية التبني، مثل ريكي. فقد الأطفال الآخرون الاهتمام بعد بضعة أشهر، لكنني لم أفعل ذلك، ولم يفعل ريكي. على مدار ست سنواتٍ، كنَّا نتبادل الرسائل. لم أخبره مطلقًا أن يقتل والدي، لكنني أعطيته عنوان منزلي، وقلت إنه يجب أن نهرب معًا إلى لوس أنجلوس، قلت له إن والدي يصرخ طوال الوقت، وإن أمي كانت بالخارج لتناول الغداء. حتى إنني أخبرته عدة مرات أنني أتمنى لو مات والداي.

المراهقون يتحدثون هكذا، أليس كذلك؟ حتى لو كان الأمر قبيحًا عندما تعود بذاكرتك إلى تلك الفترة. لم أكن أعرف أن هناك محركًا دمويًا داخل رأسه ينتظر أن يأتي أحدهم لتشغيله، لم أكن أعرف مطلقًا أن هذا سيكون عن طريق فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عامًا.

لو لم أكتب له، لو لم أعطه عنواننا، لو لم أطلب منه إنقاذي، لكان ريكي والكر قد ذهب إلى منزلٍ آخر، لم يكن ليقتل قائد شرطة بلدتي المحبوب، ولم يكن هو وشقيقه ليقتلوا خمسة من رجال الشرطة.

في مركز الشرطة شديد البرودة هذا، أجد نفسي محاطة بالأشخاص الوحيدين على وجه الأرض الذين يكرهونني بقدر ما أكره نفسي.

عندما استيقظت في المستشفى ظننتُ أنهم عثروا على الخطابات، لكن لم يقل أحدٌ شيئًا، ولذلك لم أقل شيئًا، انتظرت أن يأتي أحدهم ليقول شيئًا ما، لكن هذا لم يحدث، لذلك التزمتُ الصمت، وبعد فترة بدأتُ أنسى حتى أنني كتبته. أحيانًا كنت أتخيل تلك الرسائل وهي تظهر للعلن، فهي في مكان ما، وكانت تلك الليالي صعبة. في تلك الليالي كنت أمارس الرياضة حتى مرحلة الجفاف، كنت أجبر نفسي على تنظيف أسلحتي حتى تصبح نظيفة تمامًا، ثم أنظف شقتي بالكامل حتى الغروب، أعاقب نفسي بأقصى ما أستطيع، لكن لم يؤلمني شيء بقدر ما تؤذيني فكرة ظهور تلك الرسائل.

لكن هذا لم يحدث قطُّ.

يقول صوتٌ ناعمٌ: "معذرة". ألتفت لأجد الشرطي الذي كسرت أصابعه، الذي يرتدي الآن جبيرة معدنية خضراء في يده اليسرى، يلتقط صينية الطعام ويكرر: "هل انتهيتِ؟".

لم آكل إلا التفاحة، لا أستطيع أن ألتهم شيئًا آخر مع وجود تلك الخطابات التي تحدق إليَّ عبر الزجاج الذي ألصقت عليه، أرى طعامي كما هو على الصينية، أهزُّ له رأسي بالموافقة، لقد انتهيتُ.

***

كيف وصلت الرسائل إلى حوزة جاريت؟ فقط ادع جاريت إلى افتتاح مركز تجاري في ألاسكا وسيكون هناك في لمح البصر، ما دام يعتقد أن ذلك قد يعزز مبيعات كتابه وأقراص ال DVD. لم يكن من الصعب أن يلتقط الطُّعم، ولكن كان على أحدهم أن يرميه إليه في المقام الأول.

عندما أحضر الشرطي الشاب ذو اليد المكسورة صينية الغداء في اليوم التالي، شردت فيها لفترة طويلة. نفس شريحتي الخبز، نفس كيس المايونيز، نفس كعكات السكر، نفس الفاكهة، ولكن هناك ديك رومي بدلًا من البولونيا هذه المرة، وبرتقالة بدلًا من موزة، من اتخذ هذا القرار؟ يجب أن يكون هناك مطبخٌ في مكانٍ ما في القسم، يعمل به الناس على تقسيم أرغفة الخبز الأبيض وعد شرائح الديك الرومي وإخراج علب العصير من المبرد. ينظرون إلى نماذج الطلبات، ثم يتصفحون قائمة النزلاء، ويتحققون من مخزونهم.

عندما تفكر فيها تجدها معجزة لوجستية، أراهن أنه إذا كنتِ يهودية فسيكون هناك كوشير، وإذا كنتِ مسلمة، فسيكون هناك بها شيء حلال، مجهود يتطلب عددًا هائلًا من البشر، فريقًا متكاملًا.

تسبَّبت هيذر في القبض عليَّ، لكنه خطر ببالها فقط عندما شاهدت جاريت على شاشة التلفزيون، الذي كان عليها لأن بيلي ووكر تقدَّم بهذه الرسائل. هذا بعد أقل من أربع وعشرين ساعة منذ أن حاول شخصٌ ما حرق منزل هيذر، واعترف هاري بيتر واردن بجرائم داني. وكان أيضًا أقل من أربع وعشرين ساعة منذ أن تتبَّع أحدهم چوليا وراسل ثورن إلى شقتي وأطلق النار عليهما. وكان في نفس اليوم الذي جلس فيه كريستوف فولكر في مخزن أدريان في انتظار نزولها إلى الطابق السفلي.

لا يفعل كل ذلك شخصٌ واحدٌ أبدًا، إلا إذا كان أكثر المعتلين نفسيًّا نظامًا ودقة في الوجود. هذا ليس فعل وحش واحد، هذا فعل عصبة منهم.

والسؤال: من له مصلحة في موتي؟ أرفض أن أقبل أن هذا كله مجرد مصادفة، وأن هناك مجموعة من المرضى النفسيين لكل منهم أجندته المنفصلة، يستفيد من تطور وتشابك الموقف. عدم رؤية النمط هو ما عمى بصيرتي عن الأخوين ووكر، لن أرتكب هذا الخطأ مرة أخرى.

شخص ما جاء بكريستوف فولكر إلى كامب ريد ليك، شخص ما أقنع هاري بيتر واردن بالاعتراف، شخص ما جعل راسل ثورن يظهر في اللحظة المناسبة تمامًا، شخص ما هاجمنا في شقتي، شخص ما وجد رسائلي، من يكرهنا إلى هذه الدرجة؟ من يستطيع التنسيق بين من داخل السجن وخارجه؟ من يعرف كل نقاط ضعفنا؟

عندما جاء الشرطي ناعم الصوت ذو اليد المكسورة بوجبتي التالية، قال أن لديَّ زائرًا.

***

أخذوني إلى غرفة أكثر دفئًا بها طاولة طويلة تشق منتصفها. هناك حواجز بين النوافذ الزجاجية التي تطل على الجانب الآخر من الغرفة. يوجد هاتفٌ على جانبي كل نافذة، في صمتٍ تم نقلي إلى أحد الأكشاك، وجلست.

على الجانب الآخر من الزجاج تجلس الدكتورة كارول، تبدو متعبة، بلا مكياج، وهناك كومة سميكة من الأوراق على المنضدة أمامها. يسقط الهاتف من بين أصابعي الخدرة لكنني سعيدة لرؤية إنسان لا يكرهني، أسألها عبر الهاتف الذي ألتقطه مجددًا:

"دكتورة كارول، ماذا يحدث هنا؟ هل أخبروك بما يحدث؟ لا يتكلم معي أحدٌ، ولكني أعتقد أنني فهمت كل شيء".

تقول: "توقفي".

على الرغم من أننا على بُعد قدمين فقط، فإن الهاتف بدا كوسيلة اتصال بعيدة المدى، أميل إلى الأمام وأخفض صوتي وأنا أقول:

"شخصٌ ما يفعل هذا، بل أكثر من شخصٍ، إنه التفسير الوحيد كي يحدث كل هذا مرة واحدة، شخص ما في الخارج يريد القضاء على المجموعة".

لاحظت أنها تنظر من فوق كتفي الأيمن، نظرت خلفي لكنني لم أرَ أحدًا هناك فاستدرت إليها لأقول: "علينا الوصول إلى مكان يمكننا التحصن به، والبدء في محاولة فهم ما يحدث، يجب أن نحصل على قوائم زوار هاري بيتر واردن وبيلي ووكر، أعتقد أننا سنرى اسمًا يتكرر في كلتا القائمتين. ربما أكون بأمان هنا ليوم أو اثنين، لذا ركزي على جمع كل من لا يزال طليقًا واذهبي إلى ذلك المكان سهل التحصن، نحن أهداف سهلة ما دمنا متفرقات هكذا".

تنظر كارول إليَّ محاولة استشفاف حقيقة ما، يصعب عليَّ أن أبقى هادئة، لكنني أعلم أنه يجب عليَّ أن أفعل، لذلك آخذ نفسًا عميقًا قبل أن أتركها تتحدث.

- لماذا فعلت ذلك يا لينيت؟ لماذا؟

في البداية اعتقدت أنها تتحدث عن الخطابات، لكن بعد ذلك قرأت ما كان مكتوبًا على الجزء العلوي من كومة الأوراق الرابضة أمامها، كل ما أردت فعله لحظتها هو العودة بالزمن إلى الوراء والتراجع عن كل شيء، لأنني تعرفت على صفحة العنوان.

"مجموعة دعم الفتيات الأخيرات"، بقلم لينيت تاركينجتون.

يتطلَّب الأمر كل إرادتي كي لا أضع السماعة وأغادر.

أقول لها تلقائيًّا: "لم أكتب ذلك".

- لقد جاءني في رسالة إلكترونية الليلة الماضية، ونفس الشيء تلقاه الجميع.

ما دام نظري ملتصقًا إلى حيث يلتقي الزجاج بالمكتب يمكنني التظاهر بأن وجهها بعيدٌ مثل صوتها.

"من؟" خرج صوتي شديد الضعف.

تقول كارول: "ليس لديَّ أي فكرة عن شعور مارلين وهيذر، لكني أتألم بشدة بسبب وصفك لي".

أقول لها: "هذا ما يريده، ألا ترين؟ يريد تقسيمنا، يريدنا في حيرة من أمرنا حتى لا نركز على الأشياء المهمة".

تستمر: "لم أعتبرك شيئًا أقتنيه، أنا لا أسعى إلى الاستحواذ عليكن، أنتن مريضاتي، أنا أهتم بكل واحدة منكن. لقد كرست الكثير من حياتي المهنية لمساعدة النساء مثلك، قضيت جزءًا كبيرًا من حياتي في محاولة بناء عالم خالٍ من النساء مثلكن، خالٍ من الضحايا".

أقول لها: "الشيء المهم هو معرفة من يفعل هذا، هذا الكتاب مجرد إلهاء، سرقه شخصٌ ما من على قرصي الصلب".

"لم يكن عليكِ أن تكتبيها في الأساس!" تصرخ في السماعة الصغيرة التي تنقل غضبها كريحٍ ثائرة في أذني. "تتهمينني بإهمال أطفالي بالمجيء إلى المجموعة عشية عيد الميلاد، كيف يمكنك حتى التفكير في ذلك؟ أنتِ من قاتلت بأعلى صوتٍ كي نجتمع في ذلك اليوم، تعتقدين أنني أعاملكن كحيواناتٍ أليفة؟".

أحاول الدفاع: "لم أقل ذلك قطُّ".

"إنه في كتابك!" تصيح، "كيف يمكنك الجلوس وسط المجموعة وأنتِ ترينني بهذه الوضاعة؟ تضحكين عليَّ خلف ظهري؟ لماذا تكرهينني؟".

كل كلماتي ترتد إليَّ لتؤذيني، الرسائل، هذا الكتاب، كل ما كتبته انقلب سلاحًا ضدي، كل شيء فكرت فيه يعود ليصيبني، يجعلني أنزف، من هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أن ينسق كل هذا؟ من يعرف كل مخاوفنا، يعرف كيف يشلنا نفسيًّا؟

نظرت إلى أعلى ورأيت الدكتورة كارول تحدق إليَّ عبر الزجاج الشبكي المغطى بالخدوش.

"لماذا؟" تكرر، "أريد فقط معرفة السبب؟".

أقول لها: "لا أعرف".

"عليك أن تبتعدي عنَّا، لا يوجد من يريد أن يسمع عنك أو منك في المجموعة، أنا لا أريد أن تتصلي بي بعد الآن".

ثم أدرك، شيء ما يتعلق برد فعلها، إنه مبالغٌ فيه، مثل ممثل سيئ في مسرحية سيئة يحاول إقناع الجمهور بحزنه بالصراخ. رغم استيائها الشديد لكنها أخذت الوقت الكافي لطباعة كتابي بالكامل، وإحضاره هنا كدليلٍ دامغ، لكنه دليلٌ فاسدٌ، رزمة الورق تلك أكثر سمكًا من أن تحتوي فقط على الخمس وعشرين ألف كلمة التي كتبتها.

"لماذا تفعلين أنت هذا؟" أسألها.

فجأة ظهرت العديد من الأسباب: ربما تحتاج إلى دفعة في مستقبلها المهني، ربما تكون معتلة نفسيًّا هي الأخرى وتعتقد أنه أمرٌ مضحكٌ، ربما تعتقد أننا ناكرون للجميل وتريد الانتقام، ربما سئمت من الاستماع إلى أنيننا وشكوانا طوال الوقت.

تقول: "أتمنى أن تحصلي على المساعدة التي تحتاجين إليها". ثم وضعت سماعة الهاتف على المنضدة لتصدر طرقة شديدة في أذني، تنحني بعدها من أجل حقيبتها لكنني أبادرها:

"دكتورة كارول؟" أصرخ كي تسمعني، "دكتورة كارول!".

هناك حركة ورائي، إنهم يأتون من أجلي، جلستْ معتدلة مرة أخرى، وفركت جبهتها، وقالت شيئًا لا أستطيع سماعه.

"التقطي الهاتف!" أصرخ، وأضرب على زجاج شبكي، "جاوبيني!"، أهزُّ الطاولة، وأحاول أن أصرخ من خلال الزجاج.

"دكتورة كارول!" أصرخ غاضبة كما لم أكن من قبل، "أنا أعرفك! لقد وثقنا بك!".

يمسك أحدهم بمرفقي، يدفعوا بوجهي ليلتصق بالمكتب، "لقد وثقت بك!" أصرخ، "لقد وثقت بك!".

وضعوا الأصفاد في معصمي ليطحن المعدن عظامي، وعندما يرفعونني إلى أعلى يلفُّون ذراعي حتى أشعر كأن كتفاي سوف تنخلع. أرى ظهر الدكتورة كارول وهي تهرع خارج غرفة الزيارة، لا يمكنها سماعي، مهما صرخت.

***

إنا بحاجة إلى هاتف، بحاجة إلى تحذير الجميع بأنها هي، ولكن كلما زدت في الإلحاح على هذا الطلب، قل استماع رجال الشرطة إليَّ. كسرت طبق بودنج الشوكولاتة على زجاج زنزانتي البارد، ثم قمت بتلطيخه به. أسدُّ المرحاض بالفاصوليا الخضراء وشريحة الدجاج ثم أدق بالصينية على باب زنزانتي لمدة عشر دقائق متتالية.

يأتي ثلاثة نوابٍ يرتدون ملابس مكافحة الشغب، ويضعونني في الأصفاد. ثم ينقلونني بعدها إلى غرفة المقابلات حيث بقيت لبرهة. وعندما أعادوني، كان مرحاضي غير مسدودٍ والزجاج نظيفًا، يقطر بالماء. لا يزال الجو قارسَ البرودة، ولا يتحدث إليّ أحدٌ مهما حاولت شرح ما يحدث.

لا بد لي من الوصول إلى الهاتف، إذا تمكنت من هذا يمكنني تحذير مارلين وهيذر.

أتوسل إليهم حتى ينزف حلقي، ثم أبدأ في ركل الزجاج حتى أرسلوا فرقة مكافحة الشغب مرة أخرى. هذه المرة نزعوا عني الأغلال ووضعوني في أنبوبٍ من الفينيل مبطن باللون الأزرق الساطع به فتحات للأذرع. إنه درعٌ مضادٌ للانتحار، يسمونه فيرغي، أحاول ركل الزجاج مرة أخرى ولكني أسقط إلى الخلف فترتطم رأسي بالأرض.

تركوني هكذا فترة طويلة، على الأرض، غير قادرة على الحركة، أواجه خطاباتي الملصوقة على الحائط الزجاجي.

تقول إحداها بخط يد فتاة منمق: لا أستطيع الانتظار حتى أراك، لا أطيق الانتظار حتى أمارس الحب معك مرة أخرى وحينها يمكنك أن تخبرني بما تريد أن تفعله بأبي.

كنت عذراء عندما جاء ريكي ووكر إلى منزلنا عشية عيد الميلاد، لم أفعلها معه قطُّ، كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ أنا لم أكتب هذه الرسالة. خط اليد هو نفسه، والدفتر ليس متطابقًا. في جميع دفاتر هولي هوبي التي أتذكر امتلاكها، كانت تجمع الزهور البرية على غلافه، الخلاصة: بعض هذه الرسائل ليست لي، بعضها مزور.

عندما يأتي الشرطي بوجبتي أحاول إخباره، أقول إن عليَّ التحدث إلى شخصٍ ما، أتوسل إليه بصوتٍ منكسرٍ يدفع بالهواء عبر حلقي الممزق، لكنه لا يستمع، لا أحد يستمع، لم أعد أستحق أن يستمع إليَّ أحدٌ.

قال لي، "أنا آسف"، وهو يضع الصينية على الأرضية متفاديًا عينيَّ، ويغادر.

***

في الإفطار، أحضر لي قطعة من خبز النوترالوف وزجاجة صغيرة من الماء. أرجوه أن يعطيني هاتفًا، مكالمة هاتفية واحدة فقط، هذا كل ما أريده، لكنه لا ينظر إلى اتجاهي، يتصرف كأن هذه غرفة فارغة حتى أتساءل عمَّا إذا كنت أتحدث بالفعل، ربما أعتقد أنني أتحدث فقط؟ ربما أصبت بالجنون؟

أتحدث بصوتٍ عالٍ لبضع دقائق، أستمع لصوتي المحشرج يرتد من على الجدران، لكن هذا لا يثبت شيئًا، يمكنني تخيل ذلك أيضًا، ليس لديَّ طريقة لمعرفة ما إذا كان هناك صوتٌ يخرج بالفعل من حلقي.

من الصعب الجلوس بالزي المضاد للانتحار لأنه بالكاد ينثني، لذلك أستلقي على ظهري وأحدق إلى السقف، وأحاول ألا أفكر في الرسائل المزيفة، أحاول ألا أفكر في حقيقة أننا جميعًا نثق بالدكتورة كارول. سنفتح أبوابنا لها، سنصدق كل ما تخبرنا به، وسنذهب إلى أي مكان توجهنا إليه.

أفكر في ملفاتها الخاصة بالفتيات الصغيرات الأخيرات، في ملف ستيفاني فوجات، وأفكر في الوقت التي أخذته لتجمعنا حتى يبدأ البرد يتسلل داخل زيي، يخترق جسدي ويشرخ عظامي.

لكن ماذا لو كنتُ مخطئة؟ ماذا لو جُنَّ كريستوف فولكر أخيرًا؟ ماذا لو حاول مجرمٌ عشوائي قتل چوليا في منزلي؟ وأحرقت هيذر منزلها وكذبت بشأنه؟ ماذا لو لفَّق هاري بيتر واردن قصة للخروج من السجن، وقرر بيلي ووكر أخيرًا الكشف عن مكان تلك الرسائل؟ ماذا لو كنت فعلًا من كتب تلك الرسائل، وأحاول الآن الهروب مما أستحقه؟

عندما وضعت الشامبو في عيني جيلي، رأيت أن الملصق يقول "وداعًا للدموع"، وتوصلت إلى استنتاجات خاطئة، ثم تصرفت بناءً عليها وأذيت شخصًا أحبه، ماذا لو كانت المؤامرة الوحيدة موجودة داخل رأسي؟

لا.

الدكتورة كارول هي الاستنتاج الوحيد المنطقي، يجب أن تكون هي، لا بد أن تكون.

وإلا فهو أنا.

لقد أعطوني قطعة أخرى من الخبز للغداء لكن لا آكلها، عندما يأتون لإلقاء صينية العشاء، يقول الشرطي ذو اليد المكسورة: "أحضرت لكِ شيئًا".

أجد صعوبة في الجلوس في أنبوب القماش العقيم هذا لكنني أتمكَّن من الاستناد بنصفي العلوي إلى الحائط، تبرز ساقي منه أمامي مباشرة.

يتفقد إذا كان أحدٌ يراقبه، ثم يسحب لوح جرانولا بسرعة من جيبه ويسقطه في الصينية.

يقول: "أنتِ بحاجة إلى أن تظلي قوية"، وهو يبتسم.

سيفعلن ما تقوله الدكتورة كارول إليوت، سوف يتبعنها إلى مكانٍ منعزلٍ حيث يمكنها إنهاء علاجهن، واحدة تلو الأخرى، ستأخذهن إلى سايجفاير، ملاذها الصحي في الجبال، هذا ما ستفعله، ستحبسهن هناك وتطاردهن، وسوف يمتن، واثقات بها حتى النهاية.

"أنا بحاجة إلى هاتفٍ"، يخرج صوتي مشروخًا.

"أنا آسف"، يقول الشرطي الشاب، "كل ما يمكنني فعله هو اللوح المغذي، هذا كل ما يمكنني فعله".

أنا أيضًا آسفة.

***

زي الانتحار هذا يثبتني ويجعل عضلاتي تتيبس، تنبض ساقاي وتتألم من الدم المتخثر، أريد أن أعانق نفسي لأبقى دافئة لكنني بالكاد أستطيع ثني ذراعي، عندما يعود الشرطي ذو اليد المكسورة، ينظر إلى لوح الجرانولا غير المأكول ويهز رأسه.

يضع الصينية الجديدة على سريري ويجلس القرفصاء، ويحدق إليَّ.

"من فضلك" أقول له من خلال شفاهي المتشققة، "عليك أن تحضر لي هاتفًا".

"هل أحببتِه حقًّا؟" سأل.

عقلي مخدر لدرجة أنني لا أدرك عمن يتحدث في البداية. يقول "ريكي والكر، هل أحببتِه؟".

"لا"، أجيبه بصوتي المشروخ، من دون أن أعرف إلى ما يصبو.

يقول: "هذا من سوء حظك"، ثم يضع يده الكبيرة على فمي، يقرص أنفي ليبقيها مغلقة، حتى لا أستطيع التنفس. كل ما يمكنني تذوقه هو راحة يده المالحة، لا أستطيع الحصول على الهواء، أحاول الجلوس لكنه يمسك بي بسهولة بيده المكسورة. ينظر وراءه ليتأكد أن لا يراه أحدٌ، ثم إليّ بتعبير بارد كأنه يفعل شيئًا عاديًا، هو ليس غاضبًا، بل مجنونًا.

يقول: "سيغار الجميع مني".

من قال إن رجال الشرطة لا يمكن أن يكونوا وحوشًا آدمية هم أيضًا إنها نهاية الطريق إذن، لكن جسدي يواصل القتال بشكلٍ تلقائي، أخدش معصميه ولكن لا يمكنني التحرك بسهولة في زيي هذا، أحاول الركل لكنه يحبس ساقي وتنبض جمجمتي بالدم الأسود من قلة الأكسجين، تندفع الغيوم الرمادية بسرعة كي أفقد رؤيتي، كل ما هو حولي يصير بعيدًا جدًا.

لم أنجح في أي شيء، تركت جوليا تنزف على أرضية شقتي، وهربت، ثم اعتقلت لينتهي بي الأمر هنا، مقتولة، كانت كل خططي عديمة الجدوى، وكل نقاط قوتي كانت نقاط ضعف مقنَّعة، أنا لم أنقذ أحدًا، لقد كتبت تلك الرسائل، هذا كل ما فعلته.

أجعل رئتي تتوقف عن المقاومة، يبدأ مجالي البصري في التحول إلى اللون الأسود. صوت جاريت بي كانون يطفو نحوي من أعلى البئر الذي غصت فيه وهو يقول: "حان الوقت".

يستدير الشرطي ليرى جاريت عند باب زنزانتي.

يترك الشرطي الشاب فمي ليصيبني الفواق بسبب دفعات الأكسجين الهائلة، لا أستطيع أن أحصل على هواء يكفي عقلي، لا يزال الشرطي جالسًا في وضع القرفصاء، يحاول الوصول إلى سلاحه الجانبي، يركله جاريت في ذقنه بحذاء رعاة البقر ليسقط على مؤخرته، ثم يتراجع إلى الخلف، لترتطم جمجمته بالجدار الأحمر.

"أيها اللعين"، يقولها جاريت، وبدأ في الدوس عليه بحذائه.

ثم يغمى عليّ.

***

كارل هارتمان: تمام. أنت وصوفيا شاهدتما دخول الأولاد للمنزل، أليس كذلك؟

مارلين توريس: كارلوس وتاج، كما تعلم، دخلا بعد الرجل. ثم لم نسمع شيئاً لفترة طويل حتى رغب لويس في الدخول خلفهم.

كارل: ولماذا لم يفعل؟

مارلين: لأنه في الثانية عشر، ولم نكن لنسمح له.

كارل: وماذا حدث بعدها؟

مارلين: جاء رجلاً بدا عادياً على دراجة نارية وبدأ يتحدث إلينا حتى اطمئننا إليه.

بود إينرايت: وماذا قال؟

مارلين: فقط، كما تعرف، أشياء لطيفة، أشياء يقولها شخص طبيعي.

كارل: ثم؟

مارلين: ثم خرج إلينا الآخر ببندقية خرطوش.

بود: مهلاً. هل يمكنك...؟ رجل آخر؟

مارلين: لم نكن قد رأيناه من قبل. بدين، قصير، يرتدي تيشيرت عليها علم الكونفدرالية. وبندقية خرطوش، كما قلت، قصيرة هي الأخرى...

كارل: مقصوصة؟

مارلين: نعم. ثم اختطف الرجل -الذي كان طبيعياً على دراجته البخارية قبلها بثوانٍ - لويس، و ... حسناً...

كارل: خذي وقتك. هل تريدين استراحة؟

مارلين: وضعه أمامه على الدراجة.

كارل: و...؟

مارلين: أخرج موسى حادة... وسلخه حياً.

***

عندما أستيقظ، لا أكون في زي الانتحار، بل في زنزانة مختلفة، من دون رسائل ملصقة على جدارها الزجاجي. هناك مسعفٌ يسدد نور مصباح يدوي في عيني، يسألني كم عدد الأصابع التي يشير بها، أخمن وأقول:

"ثلاث؟".

قادوني إلى الحمام، عندما أخرج أجد ملابسي التي جئت بها مطوية على مقعدٍ أمام نائبة شرطة محتقنة. أجفِّف نفسي بقطعة من ورق الصنفرة بحجم المنشفة، وأرتدي ملابسي فوق الجلد المبلل البارد. أفعل هذا بينما لا يزال في إمكاني تذوق ملح يد الشرطي الشاب على لساني. أفعل هذا وأنا أتوقع أن سلَّت هذه الشرطية عصا مكافحة الشغب وتكسر بها ساقي، تسحق قصبتي الهوائية، ثم تتركني أختنق بدمي على الأرض الخرسانية المبتلة.

لكنها لم تفعل أيًا من ذلك، بل قيَّدتني في غرفة الاستجواب لفترة طويلة جدًا.

أخيرًا، يُفتح الباب ويدخل جاريت بي كانون مرتديًا واحدة من بذلاته ذات اللون البني وقبعاته البيضاء العملاقة.

"هل أنتِ مستعدة للانطلاق؟" يسألني، "نحن متجهون إلى يوتا، معًا، تدرك شرطة لوس أنجلوس أنها لا تملك المال الكافي لإبقائك مسجونة بأمان، لذلك سنقوم برحلة صغيرة للعودة إلى أميريكان فورك، حيث ستحاكمين بصفتك معاونة في جريمة قتل أمك، وصديقك، وأختك الصغيرة المسكينة، والضابط ميلر، ووالدك. صدقيني يا لينيت، سنجد طريقة لإضافة بضع سنوات عن جريمتك في عائلتك بالتبني

وضباط الشرطة الثلاثة الذين قُتلوا في أثناء أداء واجبهم هناك، سنمضي وقتًا جميلًا مثل الأيام الخوالي.

ثم يغمز لي بعينيه.

"هل كانت طبيبتي هي السبب؟" أسأله.

"من؟" يجيب جاريت بابتسامة باهتة.

- هل كانت الدكتورة كارول هي من جعل هذا الشرطي يحاول قتلي؟

- كان الضابط دين فولي من كبار المعجبين بكِ، يبدو أنه كان ينتظر طوال حياته ليضع يديه عليك.

قلت له: "لم يفعل ذلك بمفرده، هذه مؤامرة، شخص آخر سيعيد المحاولة".

"خمني ماذا يا أوليفر ستون؟" يقول، "أنا حقًّا لا أكترث، هيا".

***

عندما يفتح الشرطي باب ساحة الانتظار، تخترق أشعة الشمس عيني مثل المسامير ويمتص جلدي المتجمد الدفء بنهم، لهذا السبب انتقلت إلى لوس أنجلوس في المقام الأول: فهي ليس بها شتاء. لم أغسل ملابسي منذ أسبوع لكنها لا تزال مبتلة ولزجة، أعطتني الشمس قبلة حياة ورائحة الهواء ليست عبارة عن رائحة المنظفات.

"تحركي"، قالها نائبٌ مكتنزٌ بالعضلات من ورائي.

أتقدَّم خلف جاريت، تصدر سلاسلي صليلًا حين تحتك بالخرسانة، أحاول تحريك رأسي في دائرة لأن الدكتورة كارول يمكنها أن ترسل قناصها إلى هنا أيضًا، لكن الألوان الزاهية تشتِّت انتباهي.

تحيط بي حافلات صغيرة وسيارات رياضية متعددة الاستخدامات وسيارات ترانزإم، شجيرات خضراء وسماء زرقاء خالية من السحب، رائحة النسيم مثل رائحة كاليفورنيا، وأشعر أنني أضحية بشرية يتم نقلها إلى المذبح.

أفتح عينيَّ فقط عندما أعتاد ارتداد أشعة الشمس فوق زجاج السيارات الأمامي. ثم أغمضهما مرة أخرى، وتتلاشى العشرون عامًا الماضية كأنها لم تكن حين أرى جاريت يجلس في سيارة كاديلاك سيفيل حمراء كالكرز.

"إنها رائعة"، هكذا يصفها النائب وهو يجلس القرفصاء ليحرر قدمي من الأغلال.

يجيبه جاريت: "أول سيارة امتلكتها على الإطلاق، سيكلفني الأمر 152 دولارًا من الوقود للقيادة إلى بروفو، لكنها تستحق كل بنسٍ".

لا أريد أن أركب سيارته، أتذكر أنني كنتُ بها مراتٍ عديدة، جسده فوق جسدي، لكن عندما فتح جاريت الباب الخلفي وأرشدني للجلوس ويده على مؤخرة رأسي، كما يفعل كل رجال الشرطة من أول يومٍ لهم في التدريب حتى يوم وفاتهم، لا أقاومه، ماذا سأجني لو فعلت؟ كلُّ ما يمكنني فعله هو الانحناء للعاصفة.

***

يفك أحد الأصفاد، ثم يضعه حول قضيب مُثبّت بمسامير في باب سيارته.

"مرتاحة؟" يسألني، ثم يغلق الباب من دون انتظار إجابة.

أستمتع بحرارة الشمس بينما هو ونائبه يلتقطان الصور. كانت هذه السيارة مصدر فخر وسعادة جاريت، لكنه وضع الآن قضيبَ تقييدٍ وشبكة معدنية سوداء ثقيلة تفصل بين المقاعد الأمامية والخلفية، أحاول أن أفتح الباب لكنه لا يُفتح من الداخل.

قال جاريت، وهو يجلس خلف المقود: "... لكن يمكنك أن تأتي لزيارتي المرة القادمة وسأكون سعيدًا لأخذ مالك".

يغلق بابه ويلوح للنائب، الذي يلتقط صورة للسيارة السخيفة بهاتفه. يتأكد جاريت من وضع رأسه بالزاوية الصحيحة ليشد الجلد المترهل على رقبته.

"حزام الأمان يا لينيت"، يقول جاريت وهو يشعل المحرك ويبعثه إلى الحياة، "لن أسمح أن تتحطم أسنانك الصغيرة في حادثٍ قبل أن أنتهي منك".

نخرج إلى الشارع، بينما تزمجر السيارة مثل دبابة.

يقول جاريت وهو ينساب بالسيارة في زحام العصاري حتى يختفي مركز الشرطة خلفنا: "ها نحن في طريقنا الذي لن تكون نهايته سعيدة لك، ما لم تظني أن الحقن بالإبرة المميتة شيئًا مسليًا".

تمر السيارات على جانبينا، في مستوى أعلى منّا، ينظرون إلى المقعد الخلفي، وأرى أنه يمكن لأي منهم أن يطلق عليّ النار.

يقول: "أتعرفين، لقد اشتريت هذه السيارة بأول شيك حصلته من فيلم الأخوين ووكر، وليس هذا فقط، فقد دفعوا لي مقابل كل يومٍ زرت فيه موقع التصوير، وكل ما فعلته هو التأكد من أن هؤلاء الممثلين الذين يلعبون ضباط السلام لم يتعاملوا مع أسلحتهم مثل مجموعة من الحمقى".

نزلت إلى الأرض، وذراعي المقيدة بارزة فوقي، ما زلت غير محمية من الجانبين، لكن على الأقل لا أحد يستطيع إطلاق النار عليّ عبر النافذة الخلفية. كيف وصل الأمر إلى هذا؟ قبل أسبوع كنت حرة، والآن لحق بي ماضيّ، وهو ماضٍ متعطش إلى الدماء. كيف فعلت الدكتورة كارول هذا بمفردها؟ بالتأكيد لجأت إلى المساعدة، شخص ما لم نكن نراه، شخص مثل...هيذر. من اتصل برجال الشرطة، من تتغير قصتها في كل مرة ترويها، من كان من الممكن أن تحرق منزلها، من كانت داخل محيط مارلين عندما وصلت إليها، من اتصلت برجال الشرطة ليضعوني في مكان يستطيع فيه دين فولي أن يقتلني.

يقول جاريت: "لم أعتقد أبدًا أن الممثل الذي جسَّد شخصيتي كان مناسبًا، لكني أعتقد أنه من الصعب أن يحاكي هالتي، الطريقة التي أتحرك بها في تعاملي مع المواقف المختلفة وما شابهها، الممثل لا يستطيع تعلم ذلك. هل تعرفين ما قاله المخرج عندما أخبرته أنه يجب أن ألعب دوري بنفسي؟ قال لي: أيها الضابط كانون، لو فعلت ستجلب الكثير من المصداقية إلى الشاشة، وستجعل جميع الممثلين الآخرين يبدون مزيفين، ما قاله كان حقيقيًّا".

أضغط بجسدي الباب الأيمن لحماية جذعي ورأسي من أي هجومٍ محتملٍ من جهة اليمين، لكنني ما زلت مكشوفة من اليسار. أنزلق إلى الأرض، لماذا أحاول حتى؟ لقد فكروا في ذلك مسبقًا، كانوا أمامي بثلاث خطوات طوال الوقت، أنا ضعيفة ووحيدة، وهم قوة لا نهاية لها.

"اللعنة يا لين"، يهتف جاريت عبر شبكة الأسلاك السوداء، "توقفي عن الزحف اللعين واجلسي مستقيمة، وإلا سأتوقف وأدق وجهك".

إعتدل جالساعلى مضضٍ إلى أعلى على المقعد، في اللحظة التي يدخل فيها عبر ممر الطلبات لمحل كارلز جوينور، نداء غريزي صرخ في معدتي وبدأ لعابي يسيل. أنا جائعة جدًّا، أكثر من رغبتي في الأمان، ألتهم الصور على لوحة القائمة الكبيرة بعيني مثل فلاحٍ في رحلته الأولى إلى المدينة.

قال جاريت عبر الميكروفون: "مرحبًا، أريد برجر ديك رومي بالجواكامولي، مع جبنة إضافية، وبطاطس صغيرة بالجبن الحار، ومخفوقًا برتقاليًا متوسطًا، ولا بأس من كولا دايت صغيرة معه".

يقول صوت الروبوت: "سيكون هذا 12.79 دولارًا أمريكيًّا".

يقول جاريت، وهو يتحرك إلى الأمام، "يجب أن أراقب وزني، مهلًا، أوه، اللعنة، لين، هل تريدين شيئًا؟".

كان عليه أن يسمع بطني.

"نعم" أقول له.

"هل لديكِ أي نقود؟" يسألني وهو ينظر في مرآة الرؤية الخلفية.

- سأرد لك ستدفعه.

- إنها تسع ساعات حتى بروفو، تناولي بعض العلكة.

دفع بحزمة علكة من نوع بيج ريد عبر الشبكة لتسقط على الأرض، رائحة الزبدة الساخنة من كيسه الورقي تجعل معدتي تلتهم نفسها. خرجنا على الطريق السريع وأعلن أنني لن أتوسل إليه من أجل إصبع بطاطس أو رشفة من مشروبه.

"تريدين أن تعرفي سرًّا؟" يقول جاريت بين الرشفات، "كنتُ أعرف أن فولي معجبٌ بكِ، أعلم كل من يلاحقك، لقد تأكدت من أنه سيكون أول من يضربك عندما أمسكنا بكِ، وسأعترف بأنني تعجبت أنه لم يحاول قتلك طيلة ذلك الوقت، لكن كل الأشياء الجيدة تأتي لمن ينتظر".

"هل كنتَ تريده أن يقتلني؟" أسأله مندهشة أنه لا يزال يكرهني بهذا القدر، ربما أكون مخطئة، ربما ليست الدكتورة كارول هي التي تريد لنا الموت.

قال: "أردت أن تدرك شرطة لوس أنجلوس أنهم لن يستطيعوا التحفظ عليكِ، أردت قضاء بعض الوقت بمفردي معكِ، تمامًا مثل الأيام الخوالي".

أشعر بانعدام الوزن، نحن نتجه أعلى تلال سان برناردينو. يفتح جاريت شطيرة ويأخذ قضمة، ثم يعيدها إلى الحقيبة كأنه يحتفظ بها لوقتٍ لاحقٍ. أدرك أنه سيكون بالضبط الشخص الذي ستتصل به الدكتورة كارول.

يقول جاريت: "بيننا صلة، أنا وأنت يا لين".

تجاوزنا رانشو كوكامونجا، وبدأت حركة المرور تقل ونحن نسلك الطريق 15 نحو الجبال. حولنا مساحات من الصخور والتراب، مستودعات تخزين صغيرة عليها صور لفئران تحمل جذوعًا، أنا جائعة لدرجة جعلت رائحة البرجر الساخن تصيبني بالدوار.

"كلانا يعرف أنه في بعض الأحيان عليك أن تتولى الأمور بنفسك".

يتحدث جاريت كثيرًا عندما يكون متوترًا، ويكون متوترًا فقط حينما يستجمع شجاعته لفعل شيء لا يريد فعله. أحاول مرة أخرى مع الأصفاد، لكنها محكمة، حتى وأنا أتعرق لا أعتقد أنني أستطيع أن أفلت منها. أنظر حولي بحثًا عن سلاحٍ، لا شيء سوى أسناني وأظافري وعبوة العلكة.

يقول جاريت: "كما تعلمين، عندما سمعت لأول مرة أن شرطة بروفو حصلت على رسائل الحب هذه لم أصدق نفسي"، لم يعد يراقبني في مرآة الرؤية الخلفية. "ولكن عندما ذهبت إلى مكتب المدعي العام وقرأتها، أقسم أنني شعرت بكل ما ظننته قد ولَّى ينفتح مرة أخرى مثل علبة الديدان، ديدان صغيرة متعرجة تتلوى في كل مكانٍ، تفسد كل شيء، أنا لا أحب الديدان يا لين، هل قلت لكِ ذلك من قبل؟ هذا هو السبب في أنني لا أصطاد السمك".

ربما أستطيع لف حزامي حول يدي وضربه بالإبزيم، خططت ذات مرة لإخفاء شفرة حلاقة في بطانة بنطالي لكني لم أستخدمها، لقد أصبحت ليّنة على مر السنين، ضعيفة، وكسولة. وأصبحت الدكتورة كارول ذكية ومنظمة وقوية، لا يوجد سيناريو هنا لا ينتهي بي ميتة، لا ينتهي بنا جميعًا قتلى.

لقد قامت بقتل أدريان، وأبعدت داني عن ميشيل، ستقضي على جوليا، ثم مارلين، وستقضي على هيذر، وأنا، و...

ستيفاني.

جاريت: "تلقى مكتب المدعي العام رسائل الحب هذه من بيلي ووكر نفسه بعد أن كان قد دفنها قرب قبر أخيه. لا أعرف لماذا لم يقل أي شيء من قبل، ولكن من يدري دوافع المخبول؟ أنا أحب والدك، كما تعلمين، كنَّا دائمًا على وفاقٍ، أعلم أنه كان يمكنه أن يصير سريع الغضب، لكنه كان يدرك أنني سأقوم بما يستلزم به الأمر، وفي اتخاذ القرارات الصعبة يمكنه الاعتماد عليَّ".

ستيفاني فوجات، أفكر في ملفِّها الرابض على مكتب الدكتورة كارول، على وجهها ابتسامة مراهقة غبية ومتفائلة، ابتسامة تبرز دعامات أسنانها. تطل عيناها الواسعتان وتبرزان من تحت شعرها المنسدل، بنفس الطريقة التي كانت تطل بها جيليان.

وهي بالفعل تشبه جيليان.

نمر بمزرعة توليد كهرباء بالرياح حيث تدور الصلبان الكبيرة ببطء، ثم نعبر بقعة صغيرة من الحياة الريفية: علامة باللونين الأحمر والأبيض لمطعم "توني"، وأخرى باللونين الأصفر والأسود لصالون تشبه رسمة بدائية لطالبٍ في الصف الأول الابتدائي، ثم موقف سيارات متهالك محاط بسلسلة متصلة. نصبح بعدها وحدنا مرة أخرى في التلال الجافة ذات اللون البني.

يقول جاريت: "لا أحب أن يتبوَّل أحدهم على ذكرياتي عن من فقدناهم من أحبائنا، أنا مستاء من تلك الرسائل التي أخرجتِ فيها عيوب والدك إلى العالم".

أفكر في ستيفاني، وكل تلك الملفات الخاصة بجميع الفتيات الصغيرات الأخيرات، تلك الرابضة في ظلمة مكتب الدكتورة كارول، لماذا كانوا بحوزتها؟ لقد قالت في غرفة الزيارة: "لقد أمضيت حياتي أحاول بناء عالم لا توجد فيه نساء مثلك".

متى يكون العلاج أسوأ من المرض؟

يبطئ جاريت السيارة، ثم يأخذ منعطفًا إلى قمة ضيقة بها مساران أسودان يلتويان عبر التلال. نجتاز بعض المنازل المهجورة غير المكتملة، ويقف بالسيارة خلف منزل به نوافذ محطمة وأسلاك تتدلى من الثقوب حيث كان من المفترض أن تضيء مصابيح الشرفة، تم الانتهاء من نصف السقف ببلاط الطين الأحمر والنصف الآخر عبارة عن نسائل من ورق قطران وشرائط ممزقة ترفرف في مهب الريح.

بالطبع هذا هو المكان الذي نتوقف فيه؛ لن يفسد جاريت أبدًا سيارته من الداخل. يضع ترس السرعات على وضعية التوقف ويطفئ المحرك، ثم يترجل. لبضع ثوانٍ صامتة، أقوم بمراجعة خياراتي، لا يوجد الكثير. ربما أستطيع الركض إلى المنزل نصف المكتمل، وأحاول الانقضاض على جاريت؟

فتح الأخير بابي، وسحب معه ذراعي اليمنى، سلاحه في يده اليسرى، يتدلى بجانبه. لا أستطيع رؤية الطريق من هنا، لا أعتقد أنه سينتظر ليدخل المنزل. لقد توصلت أخيرًا إلى الإجابة وقد فات الأوان، أنا بطيئة جدًّا، غبية جدًا، وبلا أدنى فائدة.

يقول: "انزلي من السيارة يا لينيت، لقد حان الوقت لتسوية هذا!".

"جاريت... "، لكنه يقاطعني:

"لا، لقد اتخذت قراري، والآن استديري".

خرجت، ورأسي يدور، أستدير لأواجه مقدمة السيارة، يدي المقيدة بالأصفاد ممدودة خلفي، أتمنى لو لم أخزل ستيفاني. بمجرد نزولي إلى قبري الضحل، من سينقذها؟ من سيحذرها بشأن جاريت بي كانون والدكتورة كارول؟ في النهاية، كان هناك الكثير منهم، في النهاية، خذلت كل من أهتم بهم.

أشعر بنقرة على معصمي، إنه يفك الأصفاد، أغمض عيني.

"ماذا تنتظرين؟" يسأل جاريت من مكانٍ بعيدٍ، أفتح عيني لأراه يتجه إلى المنزل، "تعالي".

يختفي جاريت في الداخل، يمكنني أن أهرب الآن، يمكنني أن أرحل في غضون ثانية، لكني أريد أن أعرف ما الذي يرمي إليه من كل هذا.

الفضول هو الوحش المجهول الذي طعن القطة بحربته.

أشق طريقي عبر الفناء الأمامي الصخري وأنا أرتجف من الجوع والإرهاق، وكدمات معصمي، ألتقط قطعة قذرة من الأسمنت، سيكون من الأفضل أن أتبع جاريت إلى داخل هذا المنزل المظلم وهناك سلاحٌ ما في يدي.

"ما هذا بحق الجحيم؟" يسألني بعد أن عاد إلى الخارج وفي يده مسدسه الكولت. "أهذا ثقل للورق؟" ينتزعها من يدي ويرميها مرة أخرى إلى الفناء. "كنت أحسب أننا سنتحدث بشكلٍ أفضل في الشمس، واسمحي لي أن أكون صادقًا تمامًا، فليس لديَّ أي سيطرة على ما يحدث، وإلى أن أفعل سأفترض أن سيارتي بها أجهزة تنصت، لأن هناك من يعرف أكثر مني بكثيرٍ".

أتطلع إليه، في انتظار يده الممسكة بالسلاح أن تظهر في أي لحظة.

"ماذا بحق الجحيم يا لين؟ هل اعتقدتِ أنني سأنقض عليكِ؟ اللعنة، هل تعتقدين أنني سأطلق النار عليك؟".

"أليست هذه خطتك؟" أسأله.

"أتمزحين؟" يقولها مبتسمًا، "كل شيء كانت تفوح منه رائحة نتنة منذ اللحظة الأولى".

كل شيء يبدو غريبًا، المنزل، الفناء، جاريت، يبتسم لي كما لو كنَّا صديقين قديمين.

"ماذا؟".

أشعر بالحماقة والغباء.

يقول جاريت: "دعيني أخبرِكِ شيئًا يا لينيت، إذا كان هناك شيء واحد تعلَّمته على مرِّ السنين، هو كيفية معرفة متى يتلاعب بي أحدهم. بعد عشرين عامًا، فجأة تظهر معلومات جديدة وجريئة؟ هذا يحدث في الأفلام وليس في الحياة الواقعية. أخبر بيلي ووكر مكتب المدعي العام عن هذه الرسائل لأن شخصًا ما أرادكِ في الحجز، وهذا الشخص ليس غبيًّا مثل بيلي ووكر، لماذا؟ أنتِ لم تعدي تلك الفاتنة منذ وقتٍ طويلٍ، لقد اتصلت بمعارفي في هوليوود وكان امتيازك شديد الخطورة، لا أحد يريد حتى التفكير في استغلاله أو إعادة تشغيله، إذن من يهتم بك؟ اعتقدت أنهم سيرسلون شخصًا إلى هنا لاصطحابك وإعادتك إلى بروفو، واعتقدت على الأقل أنَّ لدينا تاريخًا مشتركًا، لذلك تطوعت".

"أنا لا أصدقك".

"لا تصدقينني؟" يقول وهو يلعق شفتيه غاضبًا، أعرف الآن أنه لا يكذب. "مكثتُ في مركز الشرطة في انتظار طائر الوقواق هذا ليقدم على فعلته لمدة ثلاثة أيام! لقد أحضرتك إلى هنا لأحررك أيتها القبيحة؛ أريد أن أتعامل مع هذا الهراء الذي يحدث الآن لأنني أكره أن يقلل أحدهم من شأن ذكرى الرجل الوحيد الذي احترمته. وربما يمكننا تأليف كتابٍ جديدٍ عن هذا، وربما نكتبه معًا، يقول وكيلي إنكِ إذا شاركتِني في التأليف، فسنحصل على دفعة مقدمة هائلة، خاصة إذا كان هناك بعض الأحداث الحالية، لديَّ كاتب خفي سيبهرك".

لا أستطيع النظر إلى جاريت بعد الآن، أنا ممتنة لأنه لم يردني رميًا بالرصاص في الصحراء، لدرجة أنني لا أثق بأنني لن أفعل شيئًا غبيًّا، مثل أن أعانقه، أتخيل نصفه العلوي عاريًا، وشعر بطنه المستديرة رماديًّا كالزغب، لحمًا مترهلًا، وقبعة رعاة البقر لا تزال فوق رأسه، تجعلني هذه الصورة المقززة أفيق من أحلامي.

"إذن من يفعل هذا؟" أسأله.

"كنت أتمنى أن تخبريني، هناك من يطلق النار عليكِ أنتِ وصديقاتك، من أغضبتن إلى هذه الدرجة؟".

تهدأ انقباضات بطني، وينساب التوتر مني في طوفان بارد. هناك من يستمع أخيرًا، قد يكون مجرد جاريت بي كانون، لكنني سأقبل بأي شخصٍ.

أقول له: "إنهم أكثر من شخصٍ، يجب أن يكونوا كذلك. لاحق كريستوف فولكر أدريان ثم تتطور كل شيء بعدها بصورة أسرع مما يؤكد أنها كانت عملية منظمة، اتصل شخصٌ ما براسل وأخبره عن كتابي...".

"أتؤلفين كتابًا؟" يقولها متهمًا كأنني طعنته.
"الأمر ليس كذلك، لم يكن مقدرًا له أن يرى النور".
"إذن ما هو الهدف؟" سأل.
"لقد كان تمرينًا، لراحة بالي".
"هذا هراء كاذب"، يقولها متذمرًا.
"لكن شخصًا ما حصل عليه، من على جهاز الكمبيوتر الخاص بي".
"هل سمعت عن كلمة المرور من قبل؟" يسألني متعمدًا استفزازي، أتجاهله وأستمر.
"لقد قرؤوه وحملوا راسل ثورن على الذهاب إلى جوليا، كانت تعرف عنواني، وهكذا جاء الاثنان إليَّ، من أطلق عليهما النار كان ينتظر أن نكون معًا، ثم أحرقوا منزل هيذر، ثم تقدَّم هاري بيتر واردن ببلاغ عن داني، ثم أخبر بيلي ووكر مكتب المدعي العام بهذه الرسائل، كل هذا يحدث بسرعة كبيرة".
يقول جاريت: "شخص يمكنه تنظيم الاتصالات من داخل السجن وخارجه؟ هذا يتطلب الكثير من الجهد".
"دكتورة كارول"، أقول له، "عملية استقصاء متتالية، إنها الوحيدة التي تعرف كيف تضغط كل أزرارنا هكذا".
"الدافع؟".
أجيبه: "أعتقد أنها مريضة في رأسها، تعتقد أن الطريقة الوحيدة لشفائنا هي قتلنا".
"دكتورة نفسية مجنونة"، ثم يجرب سطرًا ترويجيًا للكتاب المحتمل: "وليس الطبيب هو... العاقل".

أقول "ربما هناك ما هو أكثر من ذلك، ربما تريد تأليف كتاب جديد وتحتاج إلى شيء مختلف".

يقول: "هذا في منتهى القسوة"، لكني أسمع الاحترام في صوته.

أقول: "إنه مجالٌ في منتهى القسوة. في الوقت الحالي، أعتقد أنه إذا نظر شخصٌ ما إلى قائمة زوار بيلي ووكر ثم إلى هاري بيتر واردن، فسيجدون اسمها على كليهما".

"يجب أن يكون عبقريًّا من يتحقق من قوائم الزوار هذه، ألا تظنين ذلك؟" يسأل جاريت.

"ليس صحيحًا".

"حسنًا، هذا العبقري قام بهذا بالفعل"، قال مبتهجًا، "لم أقم بزيارة السيد واردن حتى الآن، ولكن هناك اسمًا واحدًا متكررًا في قائمة زوار بيلي ووكر، وهي ليست طبيبتك، لقد أرسلت شخصًا ليقوم بمهامها، واحدة من الفتيات".

أعرف من سيقوله قبل أن يقولها.

يقول: "كريسي ميرسر".

كنت أتوقع هيذر.

"أوه"، أقولها وقد شعرت بالارتياح للحظة ربما لأن هيذر قد عادت إلى جبهتي مرة أخرى.

يقول: "هذا منطقي، طبيبتك هذه تحب جمع الفتيات الأخيرات، هي فقط لم تخبرك أن لديها المجموعة الكاملة منهن".

يختفي ارتياحي، وأشعر بالقلق مرة أخرى، لكن هذا لا يهم. إنه أمر محتمل، وإذا كان كذلك، فلا بد لي من معرفة ما إذا كان صحيحًا أم لا.

"سوف نرتِّل أنا والسيد واردن بعض الآيات الدينية بينما تتكلمين أنتِ مع كريزي كريسي، حتى إنني أحضرت بعض صورك العارية للمساعدة في جعلها تتكلم".

بالطبع لا يزال لديه تلك الصور.

"ماذا عن بروفو؟" أسأل.

يقول: "تبًّا لها، لم أكن لآخذك إلى بروفو يا لين، سيعود أبوك من قبره ويقتلني إذا فعلت ذلك، تعاليْ".

يخطو فوق أنقاض البناء مصدرًا صوت خرفشة، ويتجه إلى صندوق سيارته ليفتحه، أرى حقيبتي الظهر والوسط خاصتي، مسدسي لا يزال داخلها، أموالي، وهاتفي الخلوي.

يقول: "لقد قمتُ بشحن هاتفك وسمحت لنفسي بأخذ خمسمائة دولار". "مكافأة العثور عليها، سأعطيك فاتورة لاحقًا، يمكنك خصمها كمصروفات تجارية. شكرًا سيكون الرد المناسب. أعلم أنك تواجهين صعوبة في التعامل مع الاجتماعيات".

"ماذا عنك؟" أغيرِّ الموضوع.

"ماذا عني؟" يتراجع إلى الخلف قبل أن يردف: "أعتقد أنني توقفت لأنك كنتِ تشكين من تشنجات ثم انقضّ عليَّ اثنان من معاونيكِ، أفكر في جعلهم اثنين، ربما ثلاثة من الذكور السود، يناهزون المترين طولًا، يزن كلٌّ منهم مائتي رطل، أحدهم يحمل بندقية رشاشة. ربما أجعل واحدًا منهم أبيض حليق الرأس، فقط لجعل الأمر أقل عنصرية".

"حليق الرأس واثنان من الرجال السود؟" أسأله.

يقول: "كل ما عليك فعله هو ضربي في عيني، وجرجرتي قليلًا، وتقييد يدي إلى سيارتي، ثم تعودين إلى ذلك المطعم الذي مررنا به، إنه على بُعد نحو 40 دقيقة سيرًا على الأقدام، يمكنك استدعاء سيارة أجرة من هناك. أنتِ واسعة الحيلة يا لين، وسأبقى على اتصالٍ معك بشأن واردن، وأراقب طبيبتك بينما تطاردين أنتِ كريسي المجنونة، الآن لديكِ حدسٌ، إذا كان لكتابنا أن يصبح من أكثر الكتب مبيعًا، فنحن بحاجة إلى دليلٍ".

"لماذا لا تضرب نفسك؟" أسأل.

"لا يمكنني إلحاق الضرر بعملٍ فني". يبتسم قبل أن يردف: "هيَّا، يكفي العبث". يضع مسدسه في جرابه ويحكم تأمينه. "لا أريد أن تتحرك ردود أفعالي الغريزية وأطلق عليكِ النار، استهدفي عيني اليمنى، ولنرى ما إذا كان يمكنك إعطائي كدمة بيديك الصغيرتين هاتين".

وأدركتُ حينها أن جاريت بي كانون أنقذ حياتي للمرة الثالثة.

"هل تعتقدين أنه سيكون أكثر واقعية إذا جعلتهم زنجيين واثنين حليقي الرأس؟" يسألني.

هنا أركله بركبتي بين ساقيه بكل قوتي.

"أووف!" يصرخ وهو ينزل بجنبه ليستلقي على الأرض، يحمي منطقته الحساسة لكن بعد فوات الأوان.

أقول له: "فقط أخبرهم أنها كانت فتاة غاضبة".

انتزعتُ مفاتيحه من يده، وركبت السيارة، أدور حوله بينما كان يعاني كي يقف. أضغط بكل قوتي على دواسة البنزين لأترك ورائي سحابة غبار بنية اللون، ولم تمر ثوانٍ حتى أصبحت على الأسفلت متجهة إلى الطريق السريع، أجعل المكيف على أعلى درجة وأزيد من سرعتي، لديَّ محطة طارئة قبل أن أبدأ في تعقب كريزي كريسي.

على الرغم من أنه كان باردًا، لكن برجر كارلز جونيور هو أفضل شيء أكلته طوال الأسبوع.

***

في عام 1991 قام حبيبي وصديقه بقتل ثمانية من زملائنا كي يَعِدَّاني لأصبح الفتاة الأخيرة لخيالهم المريض بعد أن تأثرت أحلامهم بأفلام السفاحين. ثم بمساعدة الأدوية المهدئة، والأهل والأطباء النفسيين تمكنت من تجاوز سنوات الدراسة الثانوية والتحقت بجامعة ويندسور حيث التقيت برايموند كارلتون. شاب رياضي، ذكي، فضولي، عاطفي، دافئ وحنون، كان يفوق الخيال.

وقد كان كذلك بالفعل، خيالاً. حيث اتضح أنه كان يخفي نفسية مضطربة سيكوباتية وأراد أن يعيد إحياء ذكرى ما حدث لي بقتله خمسة من زملائنا. وحين فاجئت به يهاجم رفيقتي في الغرفة انقضت عليه لنقع سوياً من الطابق الثالث. نجا هو وأصبحت أنا مشلولة تقريباً وماتت رفيقتي.

وإلى يومنا هذا، يتواصل رايموند مع معجبينه وأعتقد انه يشجعهم على العنف. ومهما حاولت السلطات فهو يصل إليهم دائماً.

ولهذا السبب بالتحديد، فأنا أتقدم إليكم بطلب لرفض الإفراج عن رايموند كارلتون.

***

أقرر أن أجعل الأمر بسيطًا؛ سأختطف ستيفاني فوجات.

قضت وسائل الإعلام بضعة أيام يحومون حول أفراد أسرتها، لذلك فليس من الصعب العثور على عنوانها: حي جميل في سانتا مونيكا. أقود بأقل سرعة ممكنة، وأوقف سيارتي في الجهة المقابلة عبر الشارع. يتألف منزلها من طابقين وثلاث غرف نوم ومرآب يتسع لسيارتين، والكثير من الخضرة والمناظر الطبيعية. إنها الأكبر سنًّا بين بنتين لذا من المحتمل أن تكون غرفتها هي الأكبر، تلك التي فوق المرآب. سأمرُّ عبر الشجيرات، وأصعد إلى سقف المرآب، وأقنعها بالخروج. لستُ متأكدة من كيفية القيام بذلك بالضبط، ولكن كل ما عليَّ فعله هو الحفاظ على سلامتها لبضعة أيام؛ فوحوشنا الآدمية يأخذون وقتهم، والأمور تأخذ وقتًا طويلًا للغاية معهم.

سأفعلها من دون جلبة، خطتي مضمونة لأنها بسيطة، أنا سهم ينطلق مباشرة إلى المستقبل، كل قراراتي تبدو صحيحة.

أقوم بفتح الباب الجانبي، وأقف على الأسفلت الذي لا يزال يشع حرارة النهار، وقبل أن أترك الباب ينغلق، يقول رجل، "أخبريني لماذا تراقبين منزلي وإلا سأتصل بالشرطة".

أجده يقف في ظل شجرة نخيل عبر الشارع، يرتدي سروالًا قصيرًا وقميص أكسفورد بالي، وربما كان يراقبني بينما كنت أفحص المنزل. يمسك هاتفه في يد ولجامًا في الأخرى، في نهاية اللجام، يحدق إلى وجهي كلب شيواوا بأرجل مقوسة.

لقد ركزت بشدة على المنزل نسيت أن أتحقق من محيطي أنا.

"كانت الصحافة تدق جرس بابك طوال الأسبوع"، أقول له مرتجلة وعيناي على يده، أتأكد من أن إبهامه لا يضغط زر الاتصال. "جيران يزورونكم من دون سببٍ، رنين هاتف لا يتوقف. أراهن أن هناك عددًا لا بأس به ممن كذبوا عليك بشأن هويتهم، هؤلاء هم من سيلاحقونها في المستقبل، المعجبون اللذين سيحيلون حياتها جحيمًا، أتفهَّم لماذا أنت منزعج".

ضغطت أصابعه الهاتف ثلاث مرات، ثم حرك إبهامه فوق الشاشة مرة أخرى.

- سوف اتصل بالشرطة في ثلاثة، اثنين،...

أتقدم إلى الأمام، يدي ممدودة وأبتسم له.

- دكتورة لورا نيوبري، معالجة نفسية أعمل مع شباب مثل ستيفاني، قد تعرف شريكتي في عيادتنا، الدكتورة كارول إليوت.

ينفتح فمه بطريقة كاريكاتورية ويتحول إلى رجلٍ آخر، يمد يده الممسكة بالهاتف، قبل أن يكتشف خطأه ويضعه في جيبه، يمسك يدي بكفِّه المتعرق ويهز ذراعي كله.

"لقد تلقيتِ رسائلنا الصوتية"، يقول بوجه امتلأ بالراحة.

"دكتورة إليوت لم تستطع القدوم"، أقول مستمرة في الارتجال، "وقد أرسلتني بدلًا منها".

سيكون هذا أصعب، لكنه أفضل، سأقنع آل فوجات بأن يسمحوا لي أن آخذ ستيفاني إلى مكانٍ آمنٍ، ولن يرسلوا من يبحث عنًّا لأنني شريكة الدكتورة كارول إليوت، سيسمح هذا لي بالقيادة أبطأ قليلًا، وأن أفكر أكثر وضوحًا، لقد كسبت لتوي ساعات إضافية.

يقول: "لا يمكنك تخيل ما كانوا يفعلونه بها".

- في الواقع، أستطيع.

"كين فوجات"، يقول لي وهو ما زال مبتسمًا من أثر المفاجأة. "زوجتي

ستسعد كثيرًا لرؤيتك، أتمنى ألا تمانعين، لكن هل يمكنني رؤية بطاقة الهوية؟ إجراء احترازي بسيط".

أقول "بالطبع"، ثم أعود لأغلق باب السيارة، مما يمنحني الفرصة للوصول إلى حقيبة الوسط من دون أن يرى سلاحي. لديَّ خمس هويات مختلفة هنا؛ يستغرق الأمر مني ثانية للعثور على المناسبة.

أصبحت الهويات البديلة غير قانونية بعد أحداث 11 سبتمبر، لذلك فقد دفعت مبلغًا إضافيًّا لشحنها من الصين داخل كتاب، طباعة أوفست، قطع دقيق، شريط مغناطيسي على الظهر، ورمز شريطي يجعلها متطابقة مع الهويات الصادرة عن الدولة، الاختلاف الوحيد هو صورتي المحفورة بالليزر على الجبهة بجانب اسم دكتورة نيوبري.

يقول كين: "لقد انتهت صلاحية هذا الترخيص".

- كنت بصدد تجديده.

- لمدة عامين؟

- لقد كنت مشغولة.

كلب الشيواوا يحدق إلى وجهي من دون أن يرمش.

أقول "يمكنك الاتصال بالدكتورة إليوت إذا أردت، سأعطيك رقم هاتفها الخلوي، مع أنه ليلة ولي الأمر/ المعلم في مدرسة باكس، ابنها، لكنني متأكدة أنها لن تمانع".

الشيواوا ما زال يحدق، ما بال هذا الشيء؟

"تعاليْ إلى الداخل"، هكذا قال كين بعد أن تغلَّب حب المشاهير على حذره، واتجه نحو منزله، "أعتقد أن كل وسائل الإعلام قد رحلت، ولكن من يدري، أنا متأكد من أن آخر شيء تريدينه هو أن يعرف أحدهم أنكِ هنا".

قلت له: "بالتأكيد"، وأنا أتبعه عبر الشارع المظلم.

أتحكم في تنفسي، أظل هادئة، وأسير كما يجب أن تسير شريكة معالجة الصدمات الشهيرة، واثقة وهادئة، كما لو كانت لديَّ جميع الإجابات، أكرر شعاري مرارًا وتكرارًا داخل رأسي.

أنا دكتورة نيوبري، أنا دكتورة نيوبري، أنا دكتورة نيوبري.

"ستيفاني بدأت تعود كما كانت"، قال من فوق كتفه، "لكن لا بُدَّ أنه كان أمرًا صعبًا عليها؛ أن يحدث لها مرتين قبل أن تبلغ السادسة عشرة من عمرها؟ بعد واقعة لعبة التنس لم تستطع النوم، توقفت عن اللعب الذي كان كل حياتها، خسرت كثيرًا من وزنها، ثم بدأت تذهب إلى ريد ليك حيث حدث ما حدث! والآن هذا؟ لم نعُد نعرف ماذا يمكننا أن نفعل لها".

بدلًا من دخول الباب الأمامي، دفع بوابة بيضاء لندور حول المنزل، لا يوجد جدارٌ بلا نوافذ، لا تعرفون ماذا يمكنكم أن تفعلوا لستيفاني؟ ابدؤوا بتأمين جميع نقاط الدخول هذه، هذا ما ينبغي لكم فعله، أمِّنوا مكانكم، تصرفوا كأنكم في حالة طوارئ دائمة.

يفتح باب المطبخ بينما يستمر كلب الشيواوا في التحديق إليَّ، على الأقل يغلقون الأبواب. هناك لاصقٌ عازلٌ حول حواف الباب يصدر

صوت شفط عندما يفتحه، أتبعه إلى مطبخٍ باردٍ باهظ الثمن تنبعث منه رائحة الليمون الطازج.

أرى امرأة شعرها أشقر ذو جذورٍ رمادية تتكئ على الحوض، تراقبنا، ربما رأتنا عبر كل هذه النوافذ، تبدو من النوع الذي يطلب الكثير من التفسيرات.

"شيريل"، يقول لها كين فوجات، "لن تصدقي ما حدث".

تقوم شيريل بفحص كل ميلّيمتر في وجهي بينما يفك كين لجام التشيواوا ليحرره. الموقد ضخم، وتبدو أعينه كأنها قد تحرق وجهي لو اقتربت منها؛ بجاور شيريل تقف حاملة سكاكين من الفولاذ الألماني، وساحق للحوم يمكنه كسر جمجمة، كلها أشياء يمكنها أن تأذيني بها، وفي متناول يدها.

"من هذه؟" تسأل.

"إنها زميلة دكتورة إليوت"، قال كين بينما يقفز كلب الشيواوا مبتعدًا داخل المنزل.

تحدق إحدانا إلى الأخرى للحظة قبل أن أمد يدي.

"دكتورة نيوبري"، أقول لها، "أنا وكارول سنتأكد من أن ستيفاني ستتعافى من كل هذا".

تنطلق شيريل نحوي، عيناها تتحولان إلى اللون الأحمر، وهي تعانقني، يداها تحيط بكتفي، وشعرها يحجب رؤيتي. أحاول أن أبادلها العناق، كما يجب أن تفعل شريكة معالجة نفسية شهيرة، لكنها تضغطني، مما يجعل ذراعي عديمة الفائدة، وتثبتني في مكاني.

أنا دكتورة نيوبري، أنا دكتورة نيوبري، أنا دكتورة نيوبري.

"شكرًا"، همست لها، "شكرًا جزيلًا لكِ".

"هلا ذهبنا لنتحدث في غرفة المعيشة؟" يقترح كين.

بينما كنَّا نسير عبر البيت الأبيض الكبير ذي النوافذ العديدة، كنت أتحقق من الأقفال الموجودة على بابهم الأمامي، قفل وسلسلة واحدة، أنظر إلى لوحة الإنذار الحديثة، وألاحظ أنهم قد أضاؤوا الأنوار كلها، مما يحجب الغسق بالخارج.

"لديَّ كل كتب الدكتورة إليوت"، تقول شيريل، وهي تذهب إلى رفٍّ ممتلئ بالكتب من الأرض إلى السقف، أرى يدها تحوم فوق الرفوف، قبل أن أراهم. لديها أول كتاب لها، قبل أن تعرف الدكتورة كارول أهمية اختيار عنوان جذاب، دليل المعالج للصدمات، تتصلَّب أصابع شيريل وتستقر عليه.

"الوقت شديد الأهمية بالنسبة إلى ستيفاني"، أقول كأن ما أقوله يستحق الاستماع إليه، أجلس على أريكتهم البيضاء وكلي اهتمام أن أنقذ أرواح المعذبين في الأرض.

يجب أن أعطي ظهري إلى غرفة المعيشة الفارغة لأنهم يقفون بجانب الأريكة الأخرى، كل تلك المساحة المفتوحة خلفي تجعل بشرتي تقشعر خوفًا. يجلس كين وشيريل متجاورين، تعطيني تعبيرًا جامدًا أما كين فيسند مرفقيه إلى ركبتيه. طاولة القهوة الإسكندنافية المنخفضة بيننا تحمل رافعة فضية بمنقارٍ حادٍّ يمكنهم طعني به وفقء عيني، وهناك مجموعة من الأجرام السماوية الزجاجية ثقيلة بما يكفي لتحطيم أسنان شخصٍ ما.

تقول شيريل: "لا أصدق أنكِ أتيتِ، أعني، أنتِ لستِ دكتورة إليوت، لكنها مع ذلك، لن تعمل معكِ إذا لم تكوني طبيبة جيدة، هل نشرت أي كتبٍ؟ أفترض أنكِ ستقومين بدورها على أكمل وجه، أليس كذلك؟ هل هي قادمة لاحقًا؟ ليس لأنني لست واثقة بك".

تقول كين، وهي تضع يدها على ركبتها "عزيزتي، دعي الدكتورة نيوبري تتكلم".

"آسفة"، قالت وهي تومض لي بابتسامة متحجرة، "لقد كان أسبوعًا صعبًا".

ننتظر حتى تجد منديلًا وتمسح زوايا عينيها قبل أن تنفخ به أنفها.

أقول لها: "نتلقّى مئات المكالمات كل أسبوعٍ"، وهو ما كانت ستقوله الدكتورة كارول التي تعالج الكثير من المرضى، "لكن ستيفاني تقع في فئة خاصة جدًّا من ضحايا الصدمات، ولهذا السبب أنا هنا".

"هل ستكون بخيرٍ؟" تسأل شيريل بصوتٍ خفيضٍ جدًّا.

"لا"، أجيبها رافضة أن أكذب بهذا الشأن، حتى وأنا أتظاهر بأنني شخصٌ آخر، "هذا غير ممكنٍ".

"ماذا؟" ينهار وجه شيريل.

"الحفاظ على سلامتها هو أفضل ما يمكننا القيام به الآن"، أقول وأنا أعلم أنه كلامٌ لا يخرج من الدكتورة كارول على الإطلاق.

قال كين، وهو يفرك يد شيريل: "بالضبط، بمجرد أن تصبح آمنة، يمكن أن يبدأ العمل الجاد".

أقول "أريدك أن تفهمي أن ستيفاني هي ما تشير إليه وسائل الإعلام بالفتاة الأخيرة".

حاجبا شيريل يلتقيان في المنتصف وتقول: "لا ليست هي".

أقول: "الإنكار لن يساعد ستيفاني".

"لا"، تكرر شيريل وهي تقف، "أود أن أسمع رأي الدكتورة إليوت، هل يمكننا التحدث إليها؟ أريد أن أعرف ماذا تظن، أنا متأكدة من أنك معالجة جيدة، لكنها هي التي اتصلنا بها".

لقد بدأ هذان الشخصان في إغاظتي.

"شيريل،" أقول بصوتٍ عالٍ وحازمٍ، "هناك أشياء تحدث لا تعرفينها، وهي تتعلق مباشرة بسلامة ستيفاني".

"ماذا؟" يهتف كين، وهو يمد يده إلى يد شيريل من دون النظر إليها، تجلس وبلا وعي يتكئ أحدهما على الآخر.

أضيف: "قبل أسبوع بدأ شخصٌ ما في استهداف الفتيات الأخيرات في منطقة لوس أنجلوس".

" بعضهن يعيش هنا؟" تقاطعني شيريل.

أجيبها: " كلهن. من الواضح أنك على معرفة بأدريان بتلر، ولكن في اليوم التالي لقتلها، هاجم شخصٌ ما جوليا كامبل ولينيت تاركينجتون".

"من هي لينيت تاركينجتون؟" شيريل تسأل.

هل تمزح؟

"فتاة أخيرة"، أجيبها.



"هل تذكرها؟" تسأل كين.

"هذا ليس مهمًّا"، أقول، منزعجة من افتقارهم إلى التركيز، "المهم أن ستيفاني في خطرٍ".

يقول كين: "يعرج أحد الضباط على المنزل كل ثلاث ساعات، فكرنا في الاستعانة بخدمة أمنية خاصة لكن جيراننا يكرهوننا، بالفعل ناهيك عن وجود غرباء في ساحات منازلهم، هل تعتقدين أننا يجب أن نمضي قدمًا في هذا الأمر؟".

أقول: "الشرطة والأمن الخاص، لا فائدة منهم، عندما يأتي أحد هؤلاء الوحوش الآدمية خلف فتاة أخيرة، لا شيء يمكن أن يمنعه".

تقول شيريل: "لكن كريستوف فولكر مات".

أقول "فولكر غير ذي صلة، هذا يتجاوز فولكر، الخطر حقيقي للغاية، قريب للغاية".

شيء ما ينقر فوق الأرضية الصلبة فألتفت لأجد الشيواوا يدخل على أطراف أصابعه.

"تعال إلى هنا يا جوردون"، تقول شيريل وهي تلتقطه. يجلس في حجرها، ويبدأ في التحديق إليَّ مرة أخرى، يا إلهي.

أريد أن أنظر ورائي بشدة، لا أحب وجود كل هذا الفراغ في ظهري، لا أحب أن تقتحمني أعين هذا الكلب الصغير هكذا، لكن المعالجة الشهيرة لا تنظر من فوق كتفها، لا يخاف المعالجون المشهورون وشركاؤهم من الكلاب الصغيرة.

"متى كانت آخر مرة رأيت فيها ستيفاني؟" يسأل كين زوجته، وقبل أن تجيب، كان يصعد الدرج، وينادي: "ستيفاني، هل يمكنكِ النزول إلى هنا لمدة دقيقة؟ ستيفي؟".

يستدير إلينا، ويهز كتفه وهو يقول: "أشعر براحة أكبر وهي أمامي".

شيريل والشيواوا يحدقان إلى وجهي بينما ينفتح باب في الطابق العلوي

وتأتي ستيفاني بتكاسلٍ، تستند إلى الدرابزين، ثم تدخل الغرفة.

لا تتحقق من حدود رؤيتها، لا تنظر خلف الباب بعد أن تدخل، ولا ترتدي حذاءً إذا احتاجت إلى الجري. وجهها ناعمٌ مثل الأطفال، بشرتها شاحبة للغاية لدرجة تؤذي بمجرد النظر إليها، وقد أزالت دعامات أسنانها وصبغت شعرها بلون أسود ليتماشى مع لون أحمر شفاهها. قميصها أسود، جينزها أسود، بالاختصار هي نجمة داكنة صغيرة في وسط غرفة المعيشة النظيفة البيضاء هذه.

"مرحبًا"، تقول مرحبة، ثم ينفتح فمها تمامًا كما فعل والدها عندما فوجئ بمعرفة هويتي المزيفة في الخارج. "يا إلهي، أنت...".

أرى لسانها يضرب الجزء الخلفي من أسنانها العلوية لنطق حرف ال L فأقف وأنطلق تجاهها، أمسك بظهرها، وأضغط صدرها نحوي، تمامًا كما فعلت والدتها.

أقول "أنت بأمان الآن، ستيفاني، أنا دكتورة نيوبري، أعمل مع الدكتورة كارول إليوت. لقد جئتُ لأتحدث إلى والديك عن سلامتك".

تتراجع وتسأل "لماذا؟ ماذا حدث؟".

"لا شيء، حبيبتي"، هكذا قال كين، وهو يضع يده الكبيرة على كتفها، "أنت آمنة تمامًا هنا بنسبة مائة بالمائة".

أقول لها وأنا أحاول التواصل معها بالنظر: "يحاول والدك طمأنتك، في الواقع، يمكن في أي لحظة أن يأتي مجنونٌ مختل ليقتلك كما فعل مع الفتيات الأخيرات".

"أنا فتاة أخيرة؟" تقول بصوتٍ عالٍ.

تقول والدتها: "أنتِ لستِ فتاة أخيرة".

أقول: "بل أنتِ فتاة أخيرة".

تمشي ستيفاني ببطء إلى الأريكة التي ابتلعتها حين جلست.

"شخص آخر يريد قتلي؟" تسأل وهي تنكمش على نفسها: "لماذا؟ ماذا فعلت؟".

ملأ والداها الغرفة بكلماتٍ مطمئنة، وأصوات مهدئة، يقولان أشياء غير صحيحة لجعلها تخفض حذرها. أجلس بجانبها، أقابل عينيها، أتحدث إليها فقط.

"هكذا هي حياتك الآن، هذا ما أنت عليه، لا يوجد سببٌ، أنت لم تكتسبيه لفعلٍ ما، عقاب لا تستحقينه، لكن عليكِ التعامل معه وإلا ستموتين".

"مهلًا"، يقول كين، وهو يقطع ضجيج شيريل، "أنا لا أحب أن تصدميها هكذا، إنه ليس مثمرًا".

"هل تعرف ما هو غير منتج، يا سيد كين؟" أسأله من دون أن أرفع عيني عن ستيفاني. "أن تموت ابنتك لأنك لم تأخذ هذا التهديد على محمل الجد، على الرغم من أن إحدى الأطباء النفسيين الأشهر في العالم تجلس هنا لتحذيرك".

"ما هو رقم هاتف الدكتورة إليوت؟" يسأل كين.

أقول: "نحن بحاجة إلى التركيز على ستيفاني، يمكنني الحفاظ عليها آمنة إذا سمحتَ لها بالذهاب معي خلال الأيام الثلاثة المقبلة، يمكنني أن أضمن أنها ستعيش".

شيريل تعانق الشيواوا بكلتا يديها، "إلى أين ستأخذينها؟" يسأل كين.

أقول بثقة: "لا أستطيع أن أخبرك. لكن...".

جرس الباب يرن.

يقول كين، وهو يتجه إلى الصالة: "انتظري لحظة".

يُفتح الباب الأمامي، ويصدر صوت يقول:

"أنا آسفة لإزعاجك في وقتٍ متأخر جدًّا، لكنني الدكتورة كارول إليوت، وأنا أخشى أن تكون ابنتك في خطرٍ من إحدى مرضاي".

"شيريل، عزيزتي؟" يناديها كين من الصالة، فتنطلق من جواري، تاركين الشيواوا وراءهم.

"ستيفاني..."، أبدأ وأنا أنظر إلى عينيها.

تقول ستيفاني: "أنت لينيت تاركينجتون".

أسرع بالقول: "عليكِ أن تثقي بي، تلك المرأة بالخارج تريدك ميتة، أريد أن أحافظ على سلامتك".

- ماذا؟

أسمع مناقشة عاجلة في الصالة، لا أستطيع أن أحدد الكلمات، لكن في أي لحظة سيعودون إلى غرفة المعيشة.

أقول لها: "نحن الفتيات الأخيرات، بعضنا يفهم بعضًا، إذا أردتِ البقاء على قيد الحياة في الأيام الثلاثة المقبلة، تعالَيْ معي الآن".

أقف وأذهب ناحية الجزء الخلفي من المنزل، ينشرح قلبي عندما أشعر بأن ستيفاني ورائي. "لينيت؟!" تنادي الدكتورة كارول خلفنا.

أفكر في عكس المسار، والركض ناحيتها بسرعة، وفتح حقيبة وسطي، وأضع سلاحي على جبهتها وأضغط الزناد ثلاث مرات، لكن بعد ذلك سأذهب إلى السجن، وهي لا تعمل بمفردها، ولن تكون هناك طريقة لحماية ستيفاني من شركائها.

"أنتِ!" يصرخ كين.

"قفي!" د. كارول تصيح.

"ستيفاني!" شيريل تصرخ بهيستيريا.

مددتُ يدي خلفي، وأمسكت بمعصم ستيفاني، وسحبتها ورائي. نتحرك عبر المطبخ، ونخرج من الباب الجانبي ذي الإطار العازل، وندور حول المنزل، إنهم يتبعوننا بغباء بدلًا من لقائنا في الفناء الأمامي. أسمع صوت قدمي ستيفاني الحافيتين وهي تخطو فوق الممشى خلفي، ثم يختفي عندما نسير فوق العشب، ثم يظهر مرة أخرى حين نصبح فوق الأسفلت متجهين إلى السيارة الكاديلاك.

أفتح الباب الجانبي للسائق، وأدفع بستيفاني إلى المقعد، ثم أنزلق وراءها، أضع المفتاح في الإشعال، وأعصره. تنبض الدبابة الكبيرة بالحياة بينما تجري الدكتورة كارول عبر الفناء الأمامي، في بلوزة بيضاء. لقد تأخرت في المجيء لأنها توقفت لتضبط مكياجها وشعرها، هذا هو مدى ثقتها، لم تتوقع وصولي إلى ستيفاني أولًا.

"هل هذه...؟" تبتر ستيفاني سؤالها عندما أضغط دواسة البنزين، وتندفع السيارة الكبيرة إلى الأمام.

أدير العجلة لأنحرف حول دكتورة كارول وأقول لستيفاني: "إنها المرأة التي تحاول قتلنا، واحدة منهم، هناك أكثر، أكثر بكثيرٍ. اجلسي على

الأرض وابتعدي عن الأنظار. يجب أن أخطط لخطوتنا التالية، بمجرد خروجنا من لوس أنجلوس، سأخبرك بما يحدث".

تنزلق على الأرض من دون اعتراض وتنغلق على نفسها، فتاة مطيعة، فتاة ذكية.. فتاة أخيرة.

***

روبرت

لقد جعلتنا فخورين بك يا بني.

نفتقدك بشدة، وللأبد.

إمضاء: أبويك.

من الفريق

بوب، أنت نجمنا، ونادي الشطرنج لن يصبح كما كان من دونك.

لقد "كش مات" الملك.

أصدقاؤك: ماكس، إيميريت، لوك وچين.

*لا أدري السبب*

*لقد أخذ مني أحدهم أفضل شقيقة في الدنيا.*

*عودي يا ليندا.*

*إمضاء: چولي.*

لماذا أخذت منا أختنا أيها الوحش

لقد فقدنا كلباً لكن الرب عوضنا عنه بطفلة جميلة. سوف نفتقدك دوماً يا أوليميا. سوف يبقى فراشك دافئاً وفي انتظارك. "قبلات"

إمضاء: عائلة سكارليت كلها.

**أنتم يا عائلة شيبمان لابد أن تعدوا حقائبكم وتغادروا.**

**خارج المدينة.**

أنتم لستم مرحباً بكم بعد اليوم.

عندما يكون أبناءكم قتلة، يجب عليكم النظر في المرآة.

***

**متى ستأخذ الشرطة الخطر الذي يجوب الشوارع بجدية؟**

وهذا هو ما سيحدث حينما تكون الشرطة كسولة.

إمضاء: مواطن مهتم.

**الصغيرة ليندا**

نفتقد بسمتك بشدة أنا وأمك وأوقاتنا السعيدة سوياً. لكن الرحلة انتهت الآن وأنت في يد الرب الرحيمة يا ملاكنا الرقيق.

نحبك فوق الوصف.

إلى اللقاء. إمضاء: أبويك.

وصلنا إلى الطريق رقم 10، متجهين إلى ال 405، من غير المرجح أن يغلقوا طريقًا سريعًا وسيكتفون بالشوارع الفرعية، ولكن لا يزال هناك طرق عديدة يمكنهم إيقافنا بها: نظام الإخطار أمبر الخاص بالأطفال المخطوفين، دوريات الطرق السريعة، كاميرات المرور، نظام ال GPS، بث من محطات الراديو. كاديلاك جاريت هي من نوعية السيارات التي يتذكرها الجميع بعد مرورها، كأنني أقود لافتة نيون.

يصدى هاتف ستيفاني بأغنية ما فتلتقطه لتقول: "إنها أمي"، وتريني شاشته وهي جالسة على الأرضية.

تتطلب قيادة سيارة مثل هذه إلى قوة هائلة لإبقائها في مسارها بهذه السرعة، ولهذا أبقي عيني على الطريق، وأقول لها: "قولي لها إنك بخيرٍ وألَّا تتصل بالشرطة، أخبريها أنني لم أختطفك، وسأحافظ على سلامتك".

"سوف يعتقدون أنكِ تجبرينني على قول ذلك"، تقول بينما تستمر أغنية البوب العالية في ضغط أعصابي. "سيعتقدون أنكِ تسددين مسدسك إلى رأسي".

قلت لها "هذا صحيح"، ثم أعيد النظر، "لا تخبريهم بذلك".

أجابتها: "أمي، أنا ..." لم تعطِها الفرصة للتحدث إلا حين نصبح في الطريق 405 شمالًا. "يمكنها حمايتي"، ثم تتوقف مؤقتًا للاستماع، "نعم أنا... أنا، نعم، أعرف بالضبط من هي"، تصمت، "لا، إنها ليست مجنونة، لا يهمني ما تقوله طبيبتها، أمي؟" تصمت، "أمي؟"، تصمت، "أمي!!".

مددت يدي إليها لتضع هاتفها في كفي، حتى فوق هدير كاديلاك يمكنني سماع صوت شيريل وهي تصرخ في ذعرٍ. أضغطه على وجهي لأقول لها:

"شيريل"، ثم مرة أخرى بصوتٍ أعلى، "شيريل!".

"من الأفضل أن تتوقفي الآن وتدعي ابنتي تخرج من السيارة!" تقول صارخة.

قلت لها: "سأبقيها آمنة لمدة ثلاثة أيامٍ، لن ينالها أذى".

لكنها لا تستمع، بين قعقعة المحرك، الذي يبقينا في حارتنا، وتشويش السماعة، لا ألتقط سوى كلمات متقطعة. أسمع: "مجنونة"، "سجن"، "مختلة"، كلمات تؤلم، ثم حلَّ الهدوء. الصوت التالي ينحر التشويش الذي يكاد يفجر رأسي، صوت الدكتورة كارول.

"لينيت، لم يفت الأوان بعد، توقفي ودعي الفتاة تنزل من السيارة".

أقول "بل ستبقى معي حتى ينتهي هذا، سأقوم بحمايتها".

"من نفسك؟" تسألني.

أقول: "كلانا يعرف من سأحميها منه".

"في الوقت الحالي، كل ما أعرفه هو أنكِ تعرضين حياة فتاة صغيرة للخطر". تقولها بصوتٍ عالٍ، تتلاعب بوالدي ستيفاني، هنا أدرك الخطأ الذي ارتكبته.

لقد تركتها ورائي فأصبحت حاملة الحقيقة، الوحيدة التي لديها تفسير، لتلقي باللوم على مريضتها غير المتزنة؛ لقد منحتها كل الصلاحيات.

أقول لها: "ضعيني على مكبِّر الصوت".

"لينيت، أنا لست...".

"ضعيني على مكبر الصوت، وإلا سينغلق هذا الهاتف!" هناك ضجيجٌ مكتوم، ثم أسمع صدى.

"كين، شيريل؟ هل تسمعانني؟" أسألهما.

"طفلتي..."، أسمع شيريل تبكي قبل أن يصبح كلامها غير واضح.

أصرخ في الهاتف: "أريدكم جميعًا أن تسمعوني بوضوح"، أريد كل كلمة أن تنحفر في رؤوسهما، مباشرة من فمي، من دون أن تنقِّحها لهما الدكتورة كارول. أنتم تعرفون أنني مسلحة، لو أصدرتم نشرة عن سيارة كاديلاك حمراء زاهية، أو أبلغتم عن فقدان ستيفاني، أو لو أوقفت الشرطة هذه السيارة، أو حدث أي شيء لإبطائنا، سأقتلها". أشعر أن ستيفاني تجمدت في جلستها. "في اللحظة التي يوقف فيها شرطي هذه السيارة، ستستقر رصاصة في رأسها. لديها جهاز أيفون وسأعرف لو أصدرتم إخطار أمبر عن اختطافها، من الأفضل ألا أرى شيئًا من هذا".

تركتُ كلماتي تحفر نفسها في رؤوسهم للحظاتٍ قبل أن أضيف: "ستتصل بكم ستيفاني كل خمس ساعاتٍ حتى تتأكدوا أنها لا تزال على قيد الحياة، ستغلق هاتفها بين كل مكالمة وأخرى، لذا لا تحاولوا تتبُّعه، هذا هو الاتفاق، اصمتا، وترقَّبا، وستسمعان صوت ابنتكما كل خمس ساعات حتى تمر ثلاثة أيام، بعدها ستعود إليكما".

ثم أغلقت المكالمة وأعطيت ستيفاني الهاتف، لكنها لم تأخذه مني.

"سيتصلون بالشرطة، لكن قبلها سيتجادلون حول ذلك لبضع ساعات، هذا كل ما أحتاج إليه".

ما زالت لا تريد أن تأخذ هاتفها فأقول لها: "لن أقتلك، إني أحاول إنقاذ حياتك، أرسلي رسالة نصية إلى أبيك وأمك، أخبريهم أنكِ ستتصلين خلال خمس ساعات، سيوفِّر لنا ذلك الوقت الذي نحتاج إليه".

تأخذ الهاتف وتنشغل، بينما وصلنا إلى مكانٍ لتدوير قطع الغيار، كانوا على وشك الإغلاق لكني أقنعتهم بالعدول عن هذا بالكثير من المال. تأتي ستيفاني معي لكنها تمشي ببطء كأنها مخدرة، كأنها مجبرة تحت تهديد السلاح. كأنها رهينة.

نشتري أربعة إطارات مستعملة من طراز تشيفي وأدفع ثمنهم نقدًا، تساعدني تسيفاني على دحرجتهم إلى السيارة، اثنين إلى المؤخرة، واثنين إلى المقعد الخلفي، نتجه نحو بيربانك بسيارة تفوح منها رائحة المطاط.

أعلم أن ستيفاني تريد طرح الأسئلة، ندخل مرآب السيارات في بيربانك ثم إلى المستوى الثالث، لكنها تظل صامتة، فتاة مطيعة. تتحقق من الوقت عندما أسأل، لقد مرَّت خمسون دقيقة فقط، أعتقد أن لدينا أربعين أخرى متبقية قبل أن يبدؤوا في ملاحقتنا.

مساحة فارغة بجوار سيارتي التشيفي لومينا بإطاراتها الأربعة الفارغة من الهواء. أوقف المحرك. الكاديلاك ترتعش قبل أن تخمد تمامًا بينما أتحقق من مجال رؤيتي. لا أحد هنا. مهما كانت هذه المؤامرة، فقد بلغت أقصى مداها، لا يمكنهم توفير مراقبة لطريق هروب اعتقدوا أنهم أغلقوه الأسبوع الماضي.

أخرجت الرافعة من الصندوق وستيفاني تراقبني، ثم أرفع السيارة اللومينا وأبدأ في فك الإطار.

تقول: "لا أحب هذا المكان".

"كلما أسرعنا بتغيير هذه الإطارات كلما كنَّا على الطريق"، أخبرها من دون التوقف عمَّا أفعله: "ساعديني بتغيير الإطارين الأخيرين، لا بد لي من إجراء بعض المكالمات".

تقول: "لم أقم بتغيير إطار من قبل".

قلت "لقد رأيتني فقط أفعل ذلك مرتين لتوِّي، تعلَّمي بالممارسة".

بدأت في العمل على الإطار التالي وأنا أبتعد عنها، لن تكون أي من هذه المكالمات ممتعة.

"اتركيني لحالي!" صرخت مارلين بصوتٍ عالٍ جعلني أبعد الهاتف عن أذني.

أخبرتُ مدبرة منزلها بأنني د. كارول، لهذا حوَّلت مكالمتي إلى غرفة نومها، وكما هو واضح فهي ليست سعيدة أنه أنا. أسمع حفيفًا محمومًا وصوتًا مكتومًا حتى خشيت أن يكون هناك من يهاجمها، ثم يأتي صوتها قبيحًا وقريبًا من أذني مرة أخرى.

تقرأ من شيء ما: "مبتدئة من تكساس لم يرفض لها أبوها طلبًا، عندما أعادوا عرض أفلامها، كانت عودة مارلين توريس لإدمان الخمر أمرًا مفجعًا، إدمان الخمر؟!!".

شرحت لها: "لم يكن من المفترض أن يرى ذلك أحدٌ، شخص ما سرقها وأرسلها لتشويه سمعتي".

تقول: "لقد نجح في هذا".

لقد فكرت مليًّا في كيفية شرح الجزء التالي.

"أعلم أنكِ تكرهينني، ولكن عليكِ أن تكون حذرة، لا تتركي المنزل، لا تدعي أي شخص يزورِك، أنتِ بأمانٍ فيه".

"لا تخبريني ماذا أفعل، أنتِ، من بين كل الناس، لا تخبريني ماذا أفعل".

أقول لها: "لا تثقي بأحدٍ، ولا حتى دكتورة كارول".

"لا تتحدثي معي عمَّن يجب أن أثق به"، تقول بوضوحٍ أكثر "أنا لا أثق بكِ أنتِ".

"كيف حال چوليا وهيذر؟" أسألها.

تقول مارلين: "سأنهي المكالمة، لا أريدك أن تتصلي بي أو تعودي إلى هنا، لا أريد حتى أن أنظر إلى عينيك لأنني أعتقد أنني سأبصق عليكِ لو رأيتك".

قلت لها: "عليكِ أن تستمعي إليَّ"، وأشرح لدقيقة كاملة قبل أن أدرك أنها أغلقت الخط.

عندما أعاود الاتصال، لا تحوِّلني مدبرة منزلها.

اتصل بداني، وأنا أعلم أنها لن ترد ولكن سأترك رسالة تحسبًا.

"ماذا؟" تسألني عبر الهاتف.

قلت لها باندهاشٍ حقيقي: "لقد خرجتِ من الحبس".

"بكفالة، في انتظار المحاكمة، أنا رهن الإقامة الجبرية".

قلت لها "ابقي في المنزل، أغلقي جميع المداخل والأقفال، لا تسمحي لأي شخصٍ أن يقترب من بيتك". تلا كلامي صمتٌ طويلٌ، وعندما تتكلم يخرج صوتها بحساب، وبلا حياة.

"وجدوا جثة صديقة عمري في الحديقة العامة حيث ألقيت أنتِ بها".

حاولتُ أن أشرح لها: "أردنا أخذها إلى بيتها، لكنها لم تكن تعلم الطريق".

"ماذا تريدين يا لينيت؟" تسألني.

"لا يمكنك الوثوق بأحدٍ، لا الدكتورة كارول، ولا الشرطة، لا أحد على الإطلاق".

تقول: "قالوا لي إنك ستقولين ذلك، وداعًا".

"انتظري!" أصرخ، "من قال لكِ هذا؟".

لكنها أغلقت الخط، عندما أعاود الاتصال، يخبرني صوتٌ مسجلٌ أنها لم تقم بإعداد بريدها الصوتي.

أحاول الاتصال بجوليا، لكنها لا ترد، أحاول مع هيذر ولكن رقمها لم يعد في الخدمة. أشعر بجلدي يضيق عليَّ، أريدهن أن يستمعن لكنهن لا يتركن لي الفرصة. عندما أعود إلى ستيفاني، كانت تخلع لوحات ترخيص الكاديلاك وتضعها في المرآب، يسعدني أن أراها تأخذ المبادرة، ثم نترك المرآب.

بعد دبابة جاريت، تصبح قيادة سيارتي اللومينا سهلة وممتعة للغاية. نتجه إلى الطريق السريع. من الصعب الحفاظ على السرعة أقل من ثمانين ميلًا في الساعة بينما تعاني السيارة من سوء إطاراتها المستعملة. أركز على الطريق وأندهش عندما ألقي نظرة على ستيفاني وأرى انعكاس النور على خدها الرطب.

أقول: "لن أطلق النار عليك".

"أعلم"، قالت، ببطء.

أقول "إذن لا تبكي، هل ترينني أبكي؟".

"أنا لا أعرف حتى ما الذي يحدث"، قالت بصوتٍ مهزوزٍ.

لذلك أخبرها، أستمر في الشرح حتى نصل إلى الجانب الآخر من وادي الموت. ألقي نظرة على الساعة، تقترب من الثانية صباحًا. بعد أن وصلتُ إلى الجزء المتعلق بركل جاريت بي كانون بين ساقيه وسرقة سيارته، توقفت، ليسود الهدوء فترة طويلة.

ثم تبدأ ستيفاني بالاختناق، ترتجف، وأتصور أنها تبكي مرة أخرى وأن كل ذلك الشرح كان هباءً، أشعر بصدري يضيق، ثم أدركت أنها تضحك، وبشدة، ثم سرعان ما يتحوَّل إلى هستيريا. تلهث بصوتٍ عالٍ، وترتفع ضحكاتها الرنانة حتى تتحوَّل إلى فواقٍ، ثم تبدأ في ركل لوحة القيادة، تركتها تخرج كل ما لديها.

لقد رأت أصدقاءها يُقتَلون، والآن هناك من يحاول قتلها، لا بد أن تنفصل عن الواقع. أتذكر عندما حدث هذا لي، كنت أضحك عندما كان يجب أن أبكي، أبكي عندما كان يجب أن أضحك، وفي مرحلة ما شعرت بأن مشاعري مختلطة لدرجة أنني لم أعُد أستطيع أن أتذكر كيف كان من المفترض أن أتصرف.

"هل كل هذا صحيحٌ؟" تسألني أخيرًا، لاهثة، وهي تحاول التعافي من نوبة الضحك الهيسترية.

"ولِمَ أكذب عليكِ؟" أقول لها.

قبل أن نتطرق إلى ما هو أبعد من هذا، أحتاج إلى طرح سؤال كان يؤرقني.

- لماذا استجبتِ لي بهذه السرعة؟ أنتِ لا تعرفينني.

تمر ثوانٍ صامتة.

"أنا أعرف من أنتِ"، تقول بجدية الآن، "أعلم أن ما يحدث لي قد حدث لك، أنا أثق بك".

أقول "أنا لست مقتنعة".

الصحراء مظلمة، إلا من أنوار المصابيح الأمامية، بينما ينزلق سياجٌ سلكي على يميننا.

قالت في الظلام: "أنتِ تذكِّرينني بألانا، بالضبط، كانت أعز صديقاتي في المخيم، لو كانت كبرت كانت ستكون مثلك، كانت تعني تمامًا كل كلمة تقولها، في رأسي، أتظاهر أنك هي".

أترك الأمر عند هذا، في بعض الأحيان علينا أن نتبع حدسنا، لهذا السبب ننجو.

"هل يمكنك تصفح الإنترنت باستخدام هاتفك؟" أسألها معلنة أن الموضوع أغلق.

- إلى ماذا تحتاجين؟

- أريد أن أقابل شخصًا ما، لكنه لن يأتي إذا عرف أنه أنا.

- ماذا تريدين أن أفعل؟

"ادخلي على ManCrafting.com"، أقول عندما تمرُّ سيارة لتغمرنا بنور مصابيحها الأمامية.

آمل ألا تكون الصفحة الرئيسية عنيفة بالنسبة إليها.

"أوه"، تقولها كأنها وخزت إبهامها بإبرة، ثم تصمت للحظة، "ما هذا؟"، أقول "إنه موقعٌ يديره الشخص الذي أريد رؤيته، أنا لا أريدكِ أن تتجولي فيه أو في أي من الصفحات الأخرى المرتبطة به، أريدك فقط أن تذهبي إلى صفحة الاتصال".

تقول: "هذا مخيفٌ، ما هذا؟".

قلت لها "إنها جريمة قتل، لا يوجد أي منها على صفحة الاتصال، اذهبي إلى هناك الآن".

تقول: "إنه نموذج بريد إلكتروني".

- أريدك أن تكتبي ما أقوله لكِ.

نتخبط لبعض الوقت، وأجد نفسي مضطرة إلى تهجِّي الكثير من الكلمات، P كما في بوليس أكرِّر لها أكثر من خمسمائة مرة، ولكن بحلول الوقت الذي نصل فيه إلى تنوباه يصبح لدينا:

مرحبًا، هذه رسالة عاجلة. أود أن أبيع كمية من الأشياء التي عثرت عليها في خزانة صغيرة اشتريتها. يقول صديقي إن موقعك قد يكون مهتمًا بها. هناك العديد من الصور وبعض الملابس التي تنتمي إلى نوعية الأشخاص الذين تهتمون بهم. سلام (كانت تلك لمسة ستيفاني). إمضاء: مارسيا.

تضغط ستيفاني إرسال، والآن صار الأمر متروكًا لكريسي.

في مرآة الرؤية الخلفية، تظهر سيارة شرطي من خلف سيارة نقل ذات ثماني عشرة عجلة وتقترب منًّا.

تقول ستيفاني من دون مقدماتٍ: "قبل أن يأتي الرجل إلى المخيم، كنت قلقة بشأن ما أرتديه، وما إذا كنت نحيفة بدرجة كافية، وماذا أفعل بشعري، والطعام الذي كنت أتناوله، وأحاول أن أقرر ما إذا كنت أريد حقًّا تعلُّم البرمجة، وكيف أنه ربما كان يجب أن أعود للعب التنس مرة أخرى".

الشرطي يحوم خلفنا، مقدمة سيارته تكاد تلتصق بنا.

تستطرد: "ثم أصبح كل ما أهتم به هو البقاء على قيد الحياة، كل شيء أصبح شديدَ الوضوح، لم أعُد أفكر في كل هذا الهراء".

إذا كان هناك شيء واحدٌ أعرف كيف أفعله، فهو الاستماع إلى فتاة أخيرة.

تقول: "في كل مرة يؤذي فيها شخصًا ما كنت أعرف أنهم مجرد بالونات مائية بالنسبة إليه، كان يفرقعهم، الواحد تلو الآخر، لكن عندما اضطررت إلى إيذائه، لم أستطع فعل ذلك في الوقت المناسب. كان يعطيني ظهره في الدور العلوي، وكانت ألانا تصرخ طلبًا للمساعدة، لكنني تجمَّدت مكاني. كان في إمكاني دفعه لكني لم أكن قوية بما يكفي، لم أفعل إلا عندما بدأ يلاحقني، لم أتمكَّن من إنقاذ أي شخص غير نفسي".

أقول لها: "في بعض الأحيان هذا كل ما يمكنك فعله".

المخرج قاد، أعطي الإشارة قبل أن أنحرف.

تقول: "لا أريد أن أموت مثل الباقين".

سلكت المخرج، بينما استمرت سيارة الشرطي في طريقها. توقفت على جانب الطريق وقبعت لمدة دقيقة خلف عجلة القيادة بينما تسبح نقاط سوداء في مجال رؤيتي، هل قام بالكشف عن لوحاتي؟ هل كتب نمرتها؟ هل سيتذكر سيارة تشيفي لومينا ذات اللون الأحمر الداكن عندما يعود إلى القسم؟ هل سيوصل الخيوط والأدلة ببعضها؟

تقول ستيفاني: "لقد ضرب ألانا في رأسها بمطرقة، ثم استمر على ضربها، المرة تلو الأخرى، لماذا فعل ذلك؟".

لم يعتمد أحدٌ عليَّ في أي شيء من قبل، باستثناء فاين. أتخيل مارلين، مخمورة في غرفة نومها الرئيسية، بمفردها، هيذر جالسة على الأرض،

تكلم نفسها، وقاطعة صندوقٍ مخبأة خلف إحدى ساقيها، أتخيل داني، جالسة على طاولة مطبخها، تبكي، من دون أن تخرج أسلحتها من الخزانة، أتخيل جوليا غائبة عن الوعي في المستشفى من دون حماية. أفكر في سكاي في منزل والدته، على جهاز الكمبيوتر الخاص به، غافلًا عن أي شخص يأتي من ورائه؛ لم يسبق أن كان لديَّ هذا الكم من الناس لأقلق بشأنهم، يجب أن أكون بأمان، يجب أن أكون ذكية، كان من الممكن أن يوقفني هذا الشرطي، وإذا كان قد فعل ذلك، لكان كل شيء قد انتهى.

"لن تموتي"، أقولها لستيفاني، ولنفسي أيضًا، "لن يموت أي شخص آخر، سأتأكد من ذلك".

***

كريستين ميسير: ثم حاول ماتي إيقافه لكنه ضربه بتلك الفأس.

جون سترايكار: هل رأيتِ ما حدث بعدها؟

كريستين: آسفة. لا. أنا آسفة. لم أر. كنت أركض هاربة. آسفة جداً.

دونالد تومبسون: خذي وقتك.

جون: ما الذي حدث لألكسندرا كاثكارت؟

كريستين: هل أصابها أذى؟

دونالد: لا نعلم شيئاً الآن.

جون: يجب أن تخبرينا أنت، ميس ميرسير.

دونالد: هل تريدين المزيد من الوقت؟

جون: ميس ميرسير، هل تسمعينني؟ هل يمكن اخبارنا بما حدث بعدها؟

كريستين: ماذا تتوقعان؟ جاء الوحش، والتهم الجميع.

***

تأتي كريسي قبل ميعادها بنصف ساعة لتأمين الستاربكس حيث من المفترض أن نلتقي، وهو أمر مفهوم. لقد نمنا في السيارة الليلة الماضية واستيقظنا مع الشمس. كل خمس ساعات تتصل ستيفاني بوالديها لكنها تتعلَّم؛ تتكلم أقصر وتبكي أقل في كل مرة، وإلا أصر على إبقاء هاتفها مغلقًا، وهو ما يجعلها متوترة.

تذمرت قائلة: "إنها بحاجة إلى أن تتحرك أسرع من هذا".

أقول لها: "الصبر سيبقيكِ على قيد الحياة".

- ليس إذا قتلني الملل أولًا.

كان لديَّ فكرة أن كريسي لا تبتعد عن منزلها، لذلك فقد اتجهت إلى جنوب ألبرتا، بالقرب من المكان الذي حدثت فيه مأساتها، ثم أرسلت إليها بريدًا إلكترونيًّا من هاتف ستيفاني في أثناء قيادتي السيارة. استغرق الأمر يومًا ونصفًا، كنَّا قد عبرنا للتوِّ إلى أيداهو عندما أخبرتنا كريسي أنها ابتعدت عن حي بلاك درم وانتقلت إلى الحدود الجنوبية شرق مونتانا. كانت ستيفاني ستعتقد أنني حمقاء إذا اتضح أنها انتقلت إلى لوس أنجلوس.

كريسي أكثر حذرًا مني، الأمر الذي يكسبها احترامي، شعور لم أفكر أبدًا أنني سأكنُّه لأحدٍ. بالنسبة إلى بقيتنا، فإن كريسي شخصية انتهازية ونحاول عدم ذكر اسمها، نراها خائنة، ماسوشية، متلونة وكاذبة. نراها مصابة بمتلازمة ستوكهولم. كلنا نشعر بالأسف من أجلها ونحتقرها، لكنها على الأقل حذرة، هذا يجعلها واحدة منَّا، رغم كل شيء.

"هل يمكنني على الأقل الدخول وأرى ما تفعله؟" تسأل ستيفاني، "فهي لم ترَ وجهي من قبل، ولن تتعرَّف عليَّ".

أقول لها: "كريسي تتابع جرائم القتل الجماعية بنفس حماس الكنديين في متابعة الهوكي. ثقي بي، لقد رأت وجهك؛ دعينا لا نفسد الأمر ونقلل من قدراتها، هذه هي الطريقة التي ننجو بها: نحن ننظر قبل أن نقفز".

الجو حارٌّ في السيارة، ولكنه يصبح أكثر برودة كلما امتدت ظلال ما بعد الظهر. لقد تركت السيارة فقط لأستخدم الحمام في محل عصائر، بغض النظر عن عدد المرات التي أغسل فيها وجهي، فإن اثنتين وعشرين ساعة في السيارة قد غطَّته بطبقة شحمية مقاومة للماء. عندما ينتهي ما نفعله هنا، سنعود إلى بيلينجز، ثم نؤجِّر غرفة في فندق لبضع ساعات حيث يمكنني الاستحمام، يحكني جلدي في اشتياقٍ إلى الفكرة.

"لقد عادت مرة أخرى"، تقولها ستيفاني فالتفتُّ لأتأملها. قبل أسبوع فقط، قتل مجنونٌ صديقاتها أمام عينيها، والآن أراها في قمة انتباهها. نحن قادرون على التكيُّف. "هناك، الكرايسلر بنية اللون".

تمر العلبة المعدنية أمريكية الصنع متجاوزة ستاربكس للمرة الثانية بهديرها العالي، تنفث سحابة زرقاء كبيرة من العادم فوق الشارع. ثم أرى مقدمتها تظهر من بين صفوف السيارات المتوقفة، على بُعد سيارتين منَّا. كان هناك الكثير من الرسائل المتبادلة بيننا عبر البريد الإلكتروني، الكثير من الفصال والصفقات، حاولتُ تجنُّب الحديث عن الأسعار، وبدلًا من ذلك عرضت أن أريها الأشياء شخصيًّا حتى تتمكَّن من تقديم عرض واقعي. حاولت أن أكون غبية ومباشرة، مجرد امرأة تحاول تغطية نفقاتها عن طريق ما تستطيع اصطياده من متاجر التوفير وما يُترك في الخزائن المهجورة، تحاول الشراء بسعرٍ منخفضٍ والبيع بسعر أعلى قليلًا.

لقد تجنَّبت الحديث عن المكان الذي حصلت فيه على كنزي الصغير، وتجنَّبت ذكر أي أسماء، لكنني لم أستطع تجنُّب إخبارها بما لديَّ، ضغط إرسال على هذا البريد الإلكتروني جعلني أشعر بالقذارة:

تم وضع العلامات على الأشياء التي أمتلكها في أكياس بلاستيكية من قبل المالك السابق، وهي:

- أحذية رياضية كان يرتديها رودي توريس (ملطخة بمادة داكنة على إصبع الحذاء الأيسر.
- سترة نجاة، ملطخة بالدماء، من مخيم ريد كامب (اللوجو واضحٌ على الصدر).
- شماعة معطف، شكَّلها أحدهم على هيئة كرة، مع بقعة داكنة في نهايتها (توجد فاتورة بيع شريطة أن يستخدمها دانييل شيبمان).
- قناع صنعه الشبح الأول (مع فاتورة البيع شاهدة على الأصالة).
- الطبعة الأولى من "ملك الأحلام ومملكة القتل"، بتوقيع هيذر ديلوكا، كتبت على الأوتوغراف "تبًّا لك، هيذر".
- أربع لقطات عارية للممثلة بارب كورد من فيلم "ذبح الأجراس" موقعة من لينيت تاركينغتون.

كانت الأخيرة هي ما أخرجها من مخبئها، لقد أرسلت صورة لإحدى اللقطات التي التقطتها ستيفاني بهاتفها، أندر العناصر في المجموعة. عندما ذهبنا إلى لوس أنجلوس في المرة الأولى، جعلني جاريت أوقِّع بعض الصور عارية الصدر للممثلة التي ستلعب دوري في الفيلم. توقفت عن توقيع التذكارات بعد أن بدأت المجموعة، لذا فهذه أشياء قيِّمة لهواة الجمع. من المحتمل أن تساوي الواحدة منهم

خمسمائة دولار، ولو كنت فتاة أخيرة فعلية، فستكون قيمة كل منها أكثر من ثمانمائة.

"هل ستعطيها هذه الصور حقًّا؟" سألتني ستيفاني.

- لا، لكنها ستريدهم، بشدة.

كنَّا بالفعل نغادر نيفادا عندما لاحظت قذارة قدمي ستيفاني الحافيتين، لم تشكُ مرة واحدة. أرسلتها إلى وول مارت بأربعين دولارًا، بالتأكيد وجهي قد صار على كل النشرات، ثم أنني أردت معرفة ما إذا كانت ستهرب.

خرجت بعد أربعين دقيقة مثيرة للتوتر، مرتدية حذاء تشاك تايلورز أسود، وتحمل وجبة عائلية من سور بريت كراولرز.

"إفطار؟" سألت، وهي تقدم إليَّ بعضًا مما جاءت به.

- أنت بحاجة إلى شيء مغذٍّ أكثر مني.

"من الفتاة المعترضة الآن؟" سألت، ملوحة بواحدة أمام وجهي، "هل الفتاة الغاضبة بحاجة إلى غذائها؟".

اندفعتُ فجأة والتهمتُه من بين أصابعها، ضحكت كطفلة بريئة، ضحكت مثل جيليان.

تسألني أسئلة، تريد أن تعرف عن حياتي، كنتُ متحفظة في البداية، لكنها تبدو معجبة جدًّا بقصتي، وأظهرت استياء حقيقيًّا عندما أريتها ندباتي. هنا لم أستطع تمالك نفسي، واتضح أنني أحب وجود شخصٍ ما بجانبي، رفيق سلاح.

عندما أنام، تقود ستيفاني، وعندما تنام، أقود أنا السيارة، لكنها أمضت معظم الوقت نائمة لأنها لا تزال مستهلكة، لذلك أصبحت في قمة توتري، تهتز مقلتاي من الإرهاق، أشم رائحة نُعاسي طوال الوقت. الجزء الداخلي من فمي مغطى بالسكر من حلوى سور بريت الحامضة. مددتُ يدي إلى داخل الحقيبة واكتشفت أنها فارغة. عندما تنام ستيفاني، ترتعش وتأنُّ.

لقد قمتُ بتجميع أجزاء من قصتها بينما كنَّا نتجه نحو مونتانا، على ما يبدو، انتظر كريستوف في سيارته خارج العقار حتى غروب الشمس، ثم وجد نقطة عمياء في كاميرات المراقبة التي أحاطت بالمخيم وتسلل إليه. وبعد ذلك، أعمل شوكته العملاقة في الصدور، خوزق البعض بالمديات المعدنية، أطلق السهام في الحلوق وبنادق الحراب في الأعين. بعدها سحق جمجمة صديقها في مشبكٍ معدني ضخم في ورشة الأخشاب، كانا يتواعدان لمدة ثلاثة أسابيع.

- كنَّا نتواعد منذ ستة أسابيع.

"مَن؟" سألتني، ذقنها مستلقٍ على ركبتيها، وقدماها على مقعد الراكب.

أجبتها: "تومي"، كانت هذه هي المرة الأولى التي أقول فيها اسمه لشخصٍ من خارج المجموعة منذ أكثر من عقدٍ. "كنت في فرقة التشجيع وكان هو لاعب كرة قدم".

قالت "كم يشبه هذا قصة جاك وديان، هل كان حبًّا؟".

أفكر أنه كان كذلك أحيانًا.

قلت لها: "لم نتواعد طويلًا بما يكفي لنتأكد من هذا، أشعر أنني كنت أحبه، ولكن إذا أردتِ الصدق، فلم تتح لنا الفرصة لمعرفة ذلك. كنت أخطط للذهاب معه إلى نهاية الخط عندما قرع ريكي والكر جرس الباب".

قالت ستيف: "كان بول الأول بالنسبة إليَّ، لم أحبه، لكني أعتقد أنه أحبَّني. هل تواعدتِ مع أحد بعد ذلك؟".

- ليس حقًّا.

هنا تدرك شيئًا.

"انتظري! لو كان تومي أول واحدٍ في حياتك، ولم تواعدي أحدًا بعده، فهذا يعني..؟" تتثاءب عيناها وفمها من الرعب.

قلت: "كان لديَّ صديقٌ بعده، نوعًا ما".

"نوعًا ما؟" تسألني.

قلت: "جاريت ب. كانون. ولا، أنا لستُ عذراء".

أفكر كيف لم نتطارح أنا وتومي الغرام، كيف أنني لن أعرف أبدًا ما إذا كان موعد والديَّ في ليلة عيد الميلاد قد أنقذ زواجهما. أفكر في مدى حب جيليان للخيول رغم أنها لم تتمكَّن أبدًا من ركوبها، أفكر كيف لم أحمِ أختي، أفكر في حماية ستيفاني.

ثم تأتي كريسي، تتبختر عبر ساحة انتظار السيارات متجهة إلى ستاربكس، لم أرَها منذ أكثر من عشر سنوات، لكنني أعرف تلك المشية المتعالية. تتهادى كريسي كأنها تملك كل الوقت في العالم. ليست مثلي، أطير من مكانٍ آمن إلى آخر، وأمسح الزوايا حولي بنظري، أحاول أن أرصد أيَّ مفترس محتمل قبل أن يكتشفني.

"أهذه هي؟" تسألني ستيف فأجيبها:

- ابقي منخفضة.

كريسي ترتدي الجينز وسترة قطنية. حقيبة يد كبيرة وثقيلة فوق إحدى كتفيها، قبل موعدها بخمس عشرة دقيقة، تشق طريقها إلى ستاربكس وتختفي داخله.

أقول: "الآن ننتظر".

- إنها تبدو شابة.

تلتقط كيس حلوى السور بريث الفارغ، وتستخدم أطراف أصابعها لطاردة السكر في أركانه، واضعة ركبتيها على التابلوه، وهي تراقب باب ستاربكس، هاتفها في حجرها، أسمعه يهتز.

تقول: "إنها هي".

مددتُ يدي ولمست معصمها، أجد نفسي أفعل هذا كثيرًا، أجد أعذارًا للمسها، كأنني ألمس شقيقتي الراحلة.

أقول "لا تجيبي".

نجلس في السيارة الساخنة، والحقيبة تهتز على حجر ستيفاني بينما تستخرج كل حبة من السكر مثل نملة دقيقة. ثم أطلعتني على رسائل البريد الإلكتروني فور وصولها، كل واحدة منها تتماشى مع مرحلة من مراحل الخذلان الذي تشعر به. في البداية تسأل: (هل أنا في ستاربكس الصحيح؟)، ثم تتوسل: (أرجوكِ، إعلميني عندما تأتين!) ، ثم يأتي الغضب: (لا تتصلي بي مرة أخرى، وسأحرص على أن يعرف جميع المشترين أنكِ كاذبة!)، ثم تخرج كريسي من ستارباكس كالعاصفة متوجهة إلى سيارتها.

أقول "استغرق ذلك ما يقرب من خمس وأربعين دقيقة".

"وبعدها؟" تسأل ستيفاني.

- هذا يعني أن تلك الصور التي عليها توقيعي تستحق أكثر مما كنت أظن.

سيارة كريسي البنية تبحر من أمامنا، تطفو على سحابة كبيرة شاحبة من العادم الأزرق. أنتظر حتى تبتعد قبل أن أشعل المحرك وأنطلق خلفها. في وقتٍ سابقٍ، خضت جدالًا طويلًا مع ستيفاني حول من الذي سيقود السيارة لكني فزت؛ أنا الأخت الكبرى بعد كل شيء.

في البداية، كنَّا نسير وسط مجتمعات عمرانية ومنافذ بيع بالتجزئة، ولكن سرعان ما اختفت المتاجر التي تحمل اسم صاحبها، واُستبدلت بمتاجر رخيصة وكنائس. مررنا بمحلات السجاد التي قاربت الإفلاس، إذا حكمنا باللافتات الصفراء الباهتة التي تطل من الفترينات. نجتاز مراكز التسوق الطويلة التي ليست أكثر من صفٍّ لا نهائي من لافتات "للإيجار". أتتبَّع عادم سيارة كريسي، وأبقي مسافة مناسبة، وأتأكد من أن ستيفاني تتابع الخريطة على هاتفها، أحاول دائمًا إبقاء ما لا يقل عن مسافة أربع سيارات بيننا.

تقول ستيفاني، "إنها تسير على الطريق السريع"، فأفعل المثل.

نصعد منحدراتٍ، وننزل أخرى، ونسلك طرقًا مختصرة بين مواقع البناء، وعندما تغرب الشمس، نخرج من الطريق السريع إلى طريقٍ أسفلتي من حارتيْن. أدعو الله ألَّا تعبر الحدود؛ لست متأكدة من أن هوية دكتورة نيوبيري الخاصة بي يمكنها خداع رجال الأمن الداخلي. مررنا بشيء يُسمَّى مجموعة تروي، عشرات من مواقف السيارات

والمستودعات منتشرة على مساحة فدان من التراب. ثم نمرُّ بمنازل بواجهات من الفينيل وأعلام أمريكية باهتة من حرارة الشمس معلقة على شرفاتهم. أستطيع أن أرى أحواض استحمامٍ ذات أرجل مخلبية مليئة بالنباتات الميتة في ساحاتها الجانبية.

يتلوى الطريق، ويغير اتجاهه وهو يرتفع إلى التلال، ثم نأخذ منعطفًا لأرى سيارة كريسي متوقفة أمام كنيسة بالطوب. نتجاوزها قبل أن أتمكن من التوقف، وينتهي بنا المطاف في شارع جانبي على بُعد نحو ربع ميل.

تقول ستيفاني: "ابقي رأسك منخفضة".

- أنا أعرف ما أفعله.

على الرغم من أنني لا أمتلك رخصة قيادة سارية، وأنني أرتجل كل خطوة من دون تخطيطٍ معتمدة فقط على الثقة، أريد أن أظهر السلطة. يجب على ستيفاني أن تتأكد أن الوضع تحت السيطرة، أحتاج إلى أن أجعلها تشعر بالأمان.

انطلقت سيارة كريسي أمامنا بعد مرور عشر دقائق حابسة للأنفاس، وانطلقنا خلفها. تجاوزنا مساراتٍ كثيفة من الأشجار تنفرج عن مبانٍ متشبثة بمكانها في التقاطعات الريفية، ثم نسلك طريقًا أسفلتيًّا قديمًا، بعدها لا نرى حولنا سوى الأشجار التي تصطف على جانبي الطريق الجبلي. ثم نجد نفسنا في ممرٍّ عميقٍ من أوراق الشجر التي حجبت الشمس البرتقالية، يبدو لنا أن الليل يقترب بسرعة.

يتلوَّى الطريق وينخفض ثم يصعد ويهبط مرة أخرى، وأعتقد لحظتها أننا نقترب من وجهتنا، أركز على إبقاء كريسي في مرمى البصر، وتركز ستيفاني على عدم تشتيت انتباهي، كلانا يعرف أنه إذا فقدناها

الآن، فسيذهب مجهود اليومين الماضيين هباءً، تقرض ستيفاني أظافرها، وهي صحية أكثر من الحلوى.

لا توجد سيارات أخرى على الطريق، لذلك أتقهقر قليلًا، هناك مقطورات رابضة في عمق أراضٍ غير معتنى بها، ولافتات من الخشب الرقائقي معلقة بمسامير على لوحات عرضها متران في أربع عليها: "وجبات أرانب"، و"حلاقة رأس للرجل والمرأة". ينتابني شعورٌ أن أيًا من كان يسكن هذا المكان لا بد أنه هجره منذ فترة طويلة. أحاول خداع كريسي التي تسير أمامنا، أسمح لها بالتقدم، ثم أقترب منها، قبل أن أدعها تبتعد عني مرة أخرى، كل هذا ونحن نتوغل في أعماق التلال.

نأخذ منحنى لنجدها أمامنا مباشرة وهي تبطئ سرعتها لتسلك مسارًا ترابيًا متفرعًا من الطريق. أستمر في طريقي حتى أشعر أن المسافة صارت كافية للتوقف، أقوم بعدها بالدوران قبل أن أستقر بجوار قطعة من الخشب العطن تتكئ على عمود شبكة الهواتف، مكتوب عليه "حطب" بطلاء برتقالي. من هنا يمكننا أن نرى بداية الطريق الترابي الذي سلكته كريسي، لا بد أنها الآن في أعماق الغابة، لو كنا تأخرنا خمس ثوان أخرى، كنّا سنفقدها تمامًا.

"ما الذي ننتظره؟" تسألني ستيفاني.

"لا أريد أن أسلك هذا المدق وراءها بهذا الوضوح، ربما كانت تنتظر منّا أن نسبقها قبل أن تعاود مسيرتها، ربما كان فخًا، نحن بحاجة إلى الانتظار حتى حلول الظلام".

"المزيد من الانتظار؟" قالت، وهي ترجع بظهرها إلى المقعد.

"نعم، المزيد من الانتظار".

الغابة حولنا صامتة، وتتحول ظلالها الخافتة تدريجيًا إلى الأزرق، ثم الرمادي، قبل أن يظلم الطريق تمامًا ويسحق السواد نوافذ السيارة من جميع الجهات. لا تخرج كريسي من الممر الترابي، ولا يسعني إلا أن آمل ألا يكون اختصارًا يؤدي إلى طريقٍ أسفلتي آخر يجري موازيًا لنا عبر هذه التلال، آمل أن يكون هذا هو المكان الذي ذهبت فيه إلى عرينها.

تقوم ستيفاني بطي كيس الحلوى، ثم مرة أخرى، تطويه إلى مستطيلات أصغر حجمًا قبل أن تفتحه، وتضغطه لتفرده، قبل أن تبدأ من جديدٍ. أراقب نقاطنا العمياء، أراقب الممر الترابي والغابة من حولنا، ثم لا يمكنني تأجيل الأمر أكثر من ذلك.

أفتح حقيبة الوسط لأخرج سلاحي الصغير عيار 0.22، وأتأكد من ذخيرته.

تقول ستيفاني: "أنا أيضًا بحاجة إلى سلاحٍ".

"سأذهب وحدي لأتحدث إلى كريسي، إذا لم أعُد بعد ساعة أريدك أن تأتي ورائي".

"من دون سلاحٍ؟" تقول.

"إذا لم أعُد بعد ساعة، أو إذا لم أتصل بهاتفك المحمول بحلول ذلك الوقت، فتسللي عبر الغابة وابحثي عني".

تقول: "عظيم، وسأستخدم لساني معها لأجرح شعورها أم ماذا؟".

أعطيتها عبوة من رذاذ الفلفل من حقيبتي ثم أغلقها بإحكامٍ، أفتح باب السيارة ليشق صريره العالي الليل الساكن.

"هذا البخاخ اللعين معطوب!" تهتف ستيفاني.

أغلق الباب بسرعة لأطفئ نور السيارة، وأستعيد الرؤية الليلية بينما تصرخ صراصير الليل من بين الأشجار. هرولت إلى ناصية الطريق ثم اخترقت الغابة إلى الممر الترابي. تسحق قدماي الأوراق الجافة بصوتٍ واضحٍ وأنا في طريقي عبر الظلام إلى كريسي، الفتاة الأخيرة الخائنة.

***

رغم أنني متحمسة لوجود مخلوق حي آخر معي في بيتي، لكنها مسئولية. بالرغم من قلقي هذا فقد اسميته بالفعل "النبات النهائي" أو فاين، مشتق من كلمة final، ولهذا، فقد سبق السيف العزل. أسمع صوته في رأسي، أفتح له الستائر ساعة في اليوم لحمامه الشمسي اليومي وهو يشاهد برنامجه الكوميدي المفضل. لا اعتقد أنه معجب بمسلسل فريندز، هم لا يغلقون أبوابهم وطيلة اليوم يدخلون ويخرجون من بيوت بعضهم بلا رقيب ولا معايير أمان.

أحياناً أظل أراقبه، أفكر، وفي بعض الليالي أستيقظ مفزوعة ظانة أن مكروهاً ألم به. ماذا لو اضطررت لأخلاء الشقة؟ لا يمكن تحمل مسئولية حياة كائن غيري. لكن مجرد فكرة رميه في سلة المهملات تجعلني أمرض جسدياً.

في أحد الأيام قال لي: "..."

***

أحتفظ بمسدسي في يدي وأنا أتعمَّق في الغابة، من يدري ما الذي سيحدث هنا، من يدري ما الذي ستظنُّه كريسي عندما تراني، من يعرف إلى أي مدى سيسوء الأمر. تتكاثف الأشجار لتمتص ضوء القمر من الهواء وأنا أغوص في الظلام. ثم أرى جثة تتدلَّى من فرع شجرة، سقطتُ على إحدى ركبتي، بينما تنذر معدتي بقيء وشيك.

يدور الجسد حول نفسه ببطء، طفل هو، ربما رضيع، أقترب لألمس قدمه وأجدها مبتلة، متعفنة، رخوة، ثم أكتشف أنه لعبة نمرٍ وردي معلقة من حبل المشنقة. على الجانب الآخر من الشجرة توجد مشنقة أخرى، معلق بها دمية طفل تم تجريده من ملابسه لتكشف عن رأسه البلاستيكي الصلب وجسمه الطري، معلق من رقبته. أرى المزيد منهم معلقين فوقي، بستان من الفاكهة المتعفنة: باربي معلقة من شعرها، ست دمى على أفرع متفرقة، حيوانات محشوة ومتعفنة بسبب المطر، شجرة ميتة معلق عليها بمسامير شخصيات ديزني حتى قمتها، هناك دمية الكلب بلوتو بمسمار يخترق حلقه، وميني مصلوبة على الجذع، ميكي بحربة تخترق جبهته، لا يزال يبتسم، الأشجار مغطاة بسرطانات من الكرتون.

أستمر في السير عبر هذه المقبرة، لكني أبطئ من سرعتي، هذه الغابة مأهولة، يسكنها شخصٌ ما ويعرف دواخلها. وصلت عند غسالة بيضاء ناصعة تقبع في الضوء الضعيف، يخترق أذني صليل سلسلة من مفكات معدنية تحركها الرياح، يصطدمون ببعضهم في جنون. أرى حولي أجهزة منزلية نصفها مدفون، نباتات معدنية صدئة تخرج من الأرض.

أنا داخل عالم مجنون لشخصٍ ما؛ إن كريسي مجنونة.

أمامي تقل سماكة جذوع الأشجار لأرى منزلًا ريفيًا مهترئًا، سقفه مكسورٌ ومحني، هناك نورٌ في الداخل، ويحاط بمبانٍ مغطاة بالشجيرات العفنة. سقيفة تتكئ على جانبها، ومن الناحية الأخرى يوجد بيت كلبٍ مكدسٌ بالخشب المنشور. هناك مرآبٌ في الخلف تكاد الأشجار تبتلعه مع مجموعة من الكتل المستطيلة ملفوفة في الأقمشة الزرقاء. خلف المنزل أيضًا أرى ظلًا أسود ضخمًا: حظيرة هائلة جاهزة الصنع، تلوح في الأفق من فوق السقف لتهدد المنزل الخمسينياتي الذي قارب الانهيار.

تقهقرتُ واصطدمتُ بجذع شجرة دافئ، لكنه كان يتحرك، إنه رجلٌ، ضخمٌ، صلبٌ، يعلو فوقي. غريزتي كانت تقول لي أن أركض، لكني تدربت على مثل هذه المواقف، أضرب بمرفقي في وسطه، ثم أنزل القرفصاء لأركله. أشعر أن مرفقي انكسر، وأن ذقني ارتطم بحذائه، وبالألم ينتشر في ساقي كالكهرباء. أوجِّه ركبتي إلى ما بين ساقيه ليبدو الأمر كأنني ضربت حائطًا.

عيناه صغيرتان، رأسه كرة تنس بلا هوية، يرتدي قميصًا أسود وسروالًا عسكريًا مدسوسًا في حذائه. يمسك معصمي ويطحن عظامي لأفلت مسدسي. أعض يده لكنه لا يرمش حتى، أستمر في الضغط بينما أركل ساقيه، وأدوس على أصابع قدميه، وأطحن بأسناني بشرته القذرة، إنه نتن، رائحته تكاد تخنقني.

شدني من شعري، ودفع رأسي بين ركبتيَّ، أفقد توازني وأتعثَّر وأشعر بالنار في جبهتي وهو يجذبني من فروة رأسي. يرفعني، فأضطر إلى أن أمسك معصمه بكلتا يديه حتى لا ينخلع شعري من جذوره، الألم يكاد يفقدني صوابي، وزني لا قيمة له على الإطلاق.

لو رأت ستيفاني ما يحدث، فستفقد كل ثقتها بي.

نخرج من الغابة ونمشي عبر الفناء، نحو الضوء، نصعد ثلاث درجات من الطوب قبل أن يفتح باب المروحة بقدمه. تصرخ فروة رأسي من الألم فأخرِج قاطع الصناديق من جيبي الأمامي وبتمريرة واحدة أقطع شعري، وبعضًا من فروة رأسي.

تركني بعدها أسقط وأترنَّح قبل أن أستند بإحدى ركبتي الأرض.

المنزل دافئ جدًّا، ومعبَّأ برائحة طعام الأمس. عندما أنظر إليه، أجده يدخل المطبخ. خرجت من الباب وركضت إلى المكان الذي أخذني منه. وجدت مسدسي في الأوراق المتعفنة، ثم عدت إليه في اللحظة التي كان يخرج فيها من المطبخ بسكين، ارتفعت ذراعي تلقائيًّا بالمسدس وأسدده إليه، أضع إصبعًا على الزناد بينما أحتضن السلاح بكلتا يدي.

"توقفي!" تصرخ امرأة.

لكني أضغط بالفعل الزناد فتقف كريسي بيننا، قمت بتحويل هدفي في اللحظة الأخيرة لأصنع ثقبًا في الحائط الجاف، ويملأ الدخان المكان.

صرخت: "كلاكما توقفا!"، ممسكة راحة يد كلٍّ واحدٍ منَّا.

أنا لا أتحرك ولا عديم الإحساس بالألم هذا، ظل يحدق إليَّ، ممسكًا بسكينه، من دون أن يزداد معدل تنفسه، كأنه لا يشعر بشيء.

تقول كريسي: "كان يجب أن أعرف أنه أنتِ يا لينيت، ليس لديك هذه الصور، أليس كذلك؟".

قلت لها: "أخبريه أن يضع السكين جانبًا"، من دون أن أخفض سلاحي.

يقول كريسي: "لقد اقتحمتِ منزلنا".

أحتفظ بفوهة المسدس موجهة إلى متصف رأسه المنكمش. تغطي سجحات عديدة جمجمته بسبب حلاقته لشعره تمامًا، يظل بصري عالقًا بالقشرة السوداء التي تغطي صدغه الأيمن.

"إنها صديقة قديمة يا كيث" تقولها، وهي تتحسس عضلاته. إنه نتن مثل الحصان، كيف تتحمَّل أن تلمسه؟ "لماذا لا تذهب إلى ورشتك قبل أن نلحق بك؟".

يستدير ويعود إلى المطبخ، أسمع درج السكين يُفتح وشيء معدني يُلقى فيه قبل أن ينغلق. الباب الخلفي يُفتح، ثم ينغلق، بعده ساد صمتٌ.

تقول كريسي: "لقد ضيعت فترة الظهيرة بأكملها، كيف يمكنك أن تعوضيني عن هذا؟".

أكذب عليها قائلة: "أردتُ أن أحذرك، شخص ما يحاول قتلنا جميعًا". تقيِّمني كريسي لمدة دقيقة ثم تبتسم، وتقول:

"أعرف ما يمكنكِ فعله، يمكنكِ التوقيع على بعض الكتب قبل أن تذهبي، تعالَيْ إلى المطبخ".

تغادر الغرفة كأنني لا أهمية لي، وسمعت باب الثلاجة يُفتَح، هنا أنزلت مسدسي.

لطالما كنت أعرف أن كريسي خطيرة، بينما كنا نحن الأخريات نحاول ترميم حياتنا الممزقة، نحاول أن نضع وحوشنا الآدمية خلفنا، احتضنتهم كريسي؛ أصبحت المدافعة الأعلى صوتًا عنهم، لاحقت كل نظريات المؤامرة، واستخدمت التسوية التي فازت بها بعد مذبحتها الليلية لتمويل الدفاع عنهم.

كان للدكتورة كارول نظرية، لقد اعتقدت أنه نظرًا إلى اعتماد الادعاء على شهادة شهود عيان كريسي، ولأن وحشها كان الأب الروحي لها، فربما كان لديها شعورٌ عميقٌ بالذنب، وتحتاج إلى أن يسامحها المجرمون أنفسهم. لكن كان لديَّ نظرية أبسط: كريسي مجنونة، والمجانين خطرون.

لكنني لم أقطع كل هذه المسافة لأقف بمفردي في غرفة المعيشة، لذلك أستجمع شجاعتي، وأنزل سلاحي، أتبعها إلى المطبخ لأجد أن إما المنزل لم يكتمل وإما تم تفكيكه بعد بنائه؛ هناك ورق حائط غير مطلي في غرفة المعيشة، إطار باب المطبخ غير مكتمل، والمطبخ نفسه به أنابيب برتقالية تتدلى في كل مكانٍ. هناك إبريق قهوة على المنضدة، بجانب الخلاط، الكاونتر مكتظ بأكياس التسوق، وأواني البسكويت، وأطباق الفطائر.

"لماذا لا أحضر لنا فنجان شاي جميل؟" تقول كريسي من عند غسالة الصحون التي تخرج من تحت الكاونتر، تملأ الغلاية من إبريق.

تقول: "فقط اجلسي في أي مكان".

أنقل كومة من البريد من كرسي غرفة الطعام الخشبي ذي المفاصل المفكوكة وأجلس عليه، ظهري إلى الحائط، حيث يمكنني رؤية الباب والنافذة. أضع مسدسي على المنضدة أمامي، وأرى أن قبضته تلمع بالعرق فأمسح كفي على ساق الجينز. هناك زجاجات حبوب الدواء تغطي المائدة، بريد إعلانات، أكياس تسوق بلاستيكية محشوة بقفازات مطاطية صفراء ومناشف أطباق مع بطاقات أسعارها.

"كان هذا المنزل الأول لوالديَّ"، تقول وهي تضع الإبريق أسفل الحوض الممتلئ عن آخره. "في الواقع هو أقل قيمة الآن مما دفعوه في

الستينيات، أليس هذا جنونًا؟ كنت تعتقد أن الأرض ستكون لها قيمة على الأقل".

أقول "آسفة لذلك".

تقوم بتوصيل الغلاية وتبحث عن الشاي، لا تحتوي أي من خزائن مطبخها على ضلف.

تقول: "هذه بلدة الفحم، ولكن لم يعد هناك فحم. الكيماويات التي كانوا يستخدمونها لغسل الفحم من الشوائب لوَّثت المياه الجوفية. يقولون إنه من الممكن أن نشرب منها، لكن الأطفال يتكوَّن داخل أفواههم دمامل وتقيحات، وتنزف لثَّة من يشرب منها من الكبار، لقد رفعوا دعوى قضائية ضد شركة الكيماويات تلك منذ ثماني سنوات تقريبًا".

تدخل ذراعها كلها في الخزانة التي تربض بجوار الثلاجة لتخرج منها كيس شاي واحدًا، وجدت كيسًا جافًّا آخر في الحوض، وقشرته من أعلى كومة الأطباق المتسخة، ثم تشطف كوبين.

"لماذا عدتِ؟" أسألها.

تقول: "كيث يحب هذا المكان".

يشع الجنون من كريسي كالعطر النفاذ.

أقول لها: "لقد قتل أحدهم أدريان، هل سمعتِ بذلك؟".

تبتسم، يغضبني هذا، تصرخ الغلاية، فتصب الشاي قائلة:

"ها أنتِ ذا"، قالت وهي تضع الكوب أمامي، من دون أن تحاول انتزاع مسدسي وأنا آخذ رشفة. ساخن جدًّا وطعمه مر. تلقي كريسي حقيبتيْ تسوق من على كرسي وتجلس قائلة: "لقد اختلفنا دائمًا حول معنى تجاربنا، أنا وأنتِ".

قلت لها: "لقد حاول مختلٌ عقلي قتلي، هو وشقيقه، حدث الشيء نفسه لكلٍّ منَّا، ما الذي لا نتفق عليه؟".

"كلٌّ منَّا مصيبٌ في رأيه، أنا أرى تلك التجارب رحلة بحث ذات رؤية كاهنيتة، مهمة مقدسة تستخدم المحن لتقودنا إلى رحلة من الاكتشاف الروحي والتوليف والسلام في نهاية المطاف".

أقول "أنتِ على حقٍّ، نحن لا نتفق، لكن في نهاية المطاف، فهناك من يستهدف الفتيات الأخيرات، قتلوا أدريان وبذلوا قصارى جهدهم لقتلي، وضعوا جوليا في المستشفى، وأحرقوا منزل هيذر، يجب أن نتكاتف، هل تعتقدين أنهم لن يلاحقوكي؟".

تقول: "كان هذا دائمًا أكبر عيوبك، لطالما كنتِ ترين الأمر بطريقة خاطئة، ولهذا ستظلين تعيشين في خوفٍ".

- إذن لن تساعديني؟

"بماذا؟"، تجيبني ضاحكة، "بأن أنضم إلى فريقٍ من الفتيات الخارقات؟".

- أنتِ على اتصالٍ ببيلي ووكر وهاري بيتر واردن بانتظامٍ، أليس كذلك؟

تقول: "هؤلاء الرجال لا يستحقون ما حدث لهم".

"وتبيعين..."، أجد صعوبة في العثور على الكلمة المناسبة، "... أعمالهم الفنية؟".

تقول: "لا تعليق".

- لا تكوني خجولة يا كريسي، لقد وجدنا اسمك في قائمة زوار بيلي، ربما سنراه في قائمة واردن هو الآخر، هناك من يستغلك، شخص ما جعلك المرسال بينهم.

ثم أدركتُ أن كريسي لم ترمش مرة واحدة منذ أن جلست، لقد افترضتُ أنها الوسيط، لكن ماذا لو كانت هي من يفعل ذلك؟ ماذا لو لم تطلب الدكتورة كارول من كريسي المساعدة على الإطلاق؟ لقد اعتقدتُ أننا نهرب من الخطر، نبتعد أنا وستيفاني عن الدكتورة كارول، ولكن ماذا لو كنتُ قفزت إلى قلبه؟

"هل اتصلت بكِ الدكتورة كارول؟" أسألها وكلي رغبة في التقاط بندقيتي حتى تشنجت يدي من التوق.

"هل ما زالت تدير دائرة العجائز التي أنتِ عضوة فيها؟" تقولها مبتسمة، أيضًا من دون أن يرمش لها جفنٌ.

"هل طلب منك أحدٌ الاتصال بواردن أو بيلي بالنيابة عنه؟" أسألها، "أنا لا أهتم بهذا الأمر، لكنني أريد أن أعرف".

"بالطبع أنتِ تهتمين"، تقولها ضاحكة، "ما كنتِ ستمضين وقتًا طويلًا في مقاضاتي إذا لم تكوني مهتمة".

"لقد كانت مارلين هي من فعلت، وأخيرًا أسقطت دعواها. في الوقت الحالي، لا أحد يهتم بأنكِ تبيعين هذه الهراء لهؤلاء القتلة وتضعين الأموال في حساباتهم التجارية. أعني، إنه فعلٌ مريضٌ، بل ومرفوض من الناحية الأخلاقية، لكننا الآن لدينا مشاكل أكبر، نعتقد أن من يقف وراء هذا قد يستخدمك كوسيلة اتصال".

تدرسني لمدة دقيقة.

"من أجل ماذا؟" تسألني، "هل تعتقدين أنني عميلٌ لتنظيم غامض يريدك ميتة؟ وتريدون مني أن أنتهك ثقة هؤلاء الفنانين حتى تتمكني من الانتقام ممن حاك حولك مؤامرة لست متأكدة من وجودها مائة بالمائة؟".

- هذا ليس انتقامًا، بل دفاعًا عن النفس".

تقول: "بل شذوذًا فكريًا".

مددت يدي إلى حقيبتي، وأخرجت الصورة الفوتوغرافية لأضعها على المنضدة، إحدى صور الممثلة بارب كورد. تعتدل كريسي في جلستها.

"هذه قطعة نادرة"، تصفر في إعجابٍ، "أنتِ تقللين من قيمتها".

أكذب قائلة: "لديَّ ثلاث أخريات، سوف أوقِّعها مرة أخرى، وأضع عليها تاريخًا، لا يوجد سوى أربع صور أخرى في السوق، سيستحق الأمر وقتك".

تعطيني ابتسامة متملقة وتقول: "لديَّ كل المال الذي أحتاج إليه في الوقت الحالي، أعني بإعادة تنظيم مجموعتي أكثر من الحصول على عناصر جديدة".

"إذن لماذا كنتِ حريصة هكذا على شراء ما كنت أبيعه عبر الإنترنت؟" أسألها، "قبل أن تعرفي أنه أنا؟".

"أوه، لينيت"، تقول بتعجرفٍ وغطرسة، "هل تعتقدين حقًّا أنني لم أكن أعرف أنه كان أنتِ طوال الوقت؟".

أريد أن أصفع تلك الابتسامة المتعجرفة على وجهها، كان في إمكاني التقاط المسدس وإطلاق النار عليها، ليس في أي مكان حيوي، ربما في ركبتها، في مكان من شأنه أن يضر ويؤلم لكن لا يقتل. لا، لم تكن تخدعني أنا لست بهذا الغباء، لم آتِ طواعيةً إلى الفخ.

تقول: "لقد كنتُ أتابع الأخبار من لوس أنجلوس بكثيرٍ من الاهتمام". "كنت أعلم أنه سينال إحداكن. لطالما أحببتك يا لينيت،

لطالما اعتقدت أنه إذا كان هناك من سيأتي إلى هنا ويسألني الأسئلة الصحيحة، فسيكون أنتِ".

نافذة المطبخ عبارة عن لوحة لامعة من الظلام، لا أسمع أي حركة في باقي المنزل.

"هل تعرفين من هو؟" أسألها.

تقول: "لقد لاحظت الأرقام منذ ما يقرب من عامين، وتساءلت عن هويتهم، ألا تتمنين لو كنت أدركتِ ما أعرف؟".

"أي أرقام؟" أسأل.

تقول: "الأرقام الموجودة في رسائل البريد الإلكتروني".

"أي أرقام؟ وأي رسائل؟ من كان على اتصال بك؟".

"لقد كنتِ دائمًا ضحية أكثر من كونك فتاة أخيرة حقيقية، لكنها علامة واضحة، أنكِ هنا الآن، أعتقد أن مأساتك على وشك الحدوث".

تلمع عيناها، وأدرك لحظتها أننا بعيدون جدًّا عن العمران.

تتنفس قائلة: "أنتِ محظوظة للغاية، أعتقد أنكِ على وشك أن تصبحين فتاة نهائية حقيقية".

ساد صمتٌ طويلٌ وأنا أتحقق من الأبواب، مقتنعة أنها تمنح أحدهم فرصة للتسلل والانقضاض عليَّ، لكن المطبخ فارغٌ.

تقول: "لقد جمعت كل الخيوط، أوه، إنه جميل جدًّا، لقد حان وقتك أخيرًا، أنا الخطوة التالية في حياتك".

تضغط بيديها عظام صدرها، وتغلق عينيها في رضا، ثم تقول: "المجد. تعاليْ، جهاز الكمبيوتر الخاص بي ينتظرنا في المتحف".

تدفع كرسيها إلى الخلف وتقف، وأفعل الشيء نفسه، أتبعها عبر صالة قصيرة إلى الجزء الخلفي من المنزل، مرورًا بغسالة الملابس والمجفف.

"كلما ولجت الإنترنت، يجب أن أتجوَّل في متحفي"، تقول وهي تمسك بمقبض باب غرفة المرافق. "إنه يذكِّرني يوميًا بالرحلة التي قطعتها كل واحدة منَّا، والآن ستنطلقين في هذه الرحلة أنتِ أيضًا، هيئي نفسك يا لينيت، أنا سعيدة جدًّا لأنكِ ستعرفين أخيرًا كيف سينتهي الأمر".

تفتح الباب، ويخرج الهواء البارد كما لو كانت فتحت ثلاجة. تتحسس حول إطار الباب وتضيء الأنوار، أسمع وميض الفلوريسنت يدب بالحياة عبر الحظيرة الضخمة الملتصقة بالجزء الخلفي من منزلها. ولكن لا يوجد أمامنا سوى خزانة صغيرة بستائر سوداء في الطرف الآخر، وفوقهم يعلق سكين بطول 10 بوصات، نصله ملطخ بشيء مظلم ولزج، فوقها إطار حديدي متخثر بالشعر، فتفسر قائلة:

"هذه أشياء تخص داني، كان من الصعب للغاية الحصول عليها، لكنهم جعلوني أشعر دائمًا بالقرب منها، إنه السلاح الذي استخدمه شقيقها لتجميل صديقاتها، وهذا هو الإطار الحديدي الذي استخدمته داني لقتل شقيقها. الين واليانغ، المرور أمامهم يلهم التفكير".

أشعر بقليلٍ من الغثيان. تتقدم إلى الأمام وتلتقط مصباحًا يدويًّا من على الرف بجوار الستائر التي تفتحها بكلتا يديها، ما وراءهم يبدو قاتمًا، الأمر كله يبدو كأنه فكرة سيئة للغاية.

تقول: "تعاليْ يا لين، اسمحي لي أن أريك الكثير من العجائب".

"ورسائل البريد الإلكتروني"، أقول لها في محاولة لإبقائها في عالم الواقع.

تقول: "وتلك أيضًا، هذا إذا كنتِ لا تزالين مهتمة بهن بعد أن تريْ متحفي".

أمسح يدي على بنطالي الجينز، وأتأكد من أن سلاحي ليس على وضعية الأمان، ثم أتبع كريسي عبر متحف القتل.

***

كل وحوشنا واحدة: المسخ الذكر. الرجل المذؤوب، مصاص الدماء، الترول العملاق. بانيك، العفريت الروسي، الذي يرتحل ليلاً ويسلخ الأطفال غير المؤدبين، وصاحب الذقن الزرقاء الذي يقتل زوجة ابنه. كلهم ذكور.

وما قصة المينوتور في المتاهة إلا قصة تيدي ڤولكر في معسكر الدم، شباب يُرسلون لمكان ناء حيث لا يستطيعون الهرب من الوحش الذي يقتلهم في طقوسه الدموية.

وحوشنا الآدمية هم زوار الليل، سارقي الأطفال وجزاريهم، يلتهمونهم. تلك هي أقدم قصة، القصة الوحيدة، محاولتنا البائسة لمحاكاة معجزتي الرب: البعث والموت. النساء يهبون الحياة، ولهذا فالرجال يجب أن يكونوا من يختطفها.

وقد صاروا خبراء في المجال.

منزل كريسي عبارة عن حطام غير منظمٍ، نتاج عقلٍ مضطرب، أما في متحفها فيتم حفظ كل شيء مُرَتَّبًا على الأرفف، ومعبأ في أكياسٍ بعلامات واضحة، فهرسة وتصنيف. في الثانية التي ندخل فيها الغرفة الهادئة خافتة الإضاءة تهدأ كريسي، وتصبح حركتها سلسة بلا ذرة قلقٍ.

تضاء الغرفة بعددٍ قليلٍ من الأباچورات، مع سجادة خشنة على الأرض سُرقت من صالونِ عَمَّةٍ ما، مطرزة بورودٍ حمراء منتفخة مثل أعضاء بشرية دامية، ومزيَّنة بأفرع عنب متعرجة وأكاليل متشابكة كالأمعاء.

تقول كريسي: "أعتذر عن المجموعة التي لا تناسب سوى الهواة، ولكنكِ ستندهشين من حجم الطلب عليها".

تبطن جدران الغرفة أرفف عديدة، بطول الحائط حتى أعلى نقطة في الجدران التي غطتها كريسي بشبكة سلكية. فوقهم الظلام، وفوقه أرى العوارض المعدنية التي تحمل السقف الجاهز. على الأرفف، أشياء لن يراها معظم الناس مميزة: مسامير، زجاجات زجاجية مليئة بالتراب، مسدس قديم، حذاء جلدي مجعد، دمية مهرج، صفوف من الحلقات والقصاصات، أكياس بلاستيكية جديدة تحتوي على مسامير، مبرد، فرشاة متخثرة بخصلات من الشعر، مقص أهلكه العمر، مكواة عتيقة على مقبضها بصمات بمسحوق أبيض، طوبة تقف وحدها.

لكني أعرف ما الذي أنظر إليه بالضبط.

المسامير من منزل جريمة إتش إتش هولمز بشيكاغو، حصى من المكان الذي قُتِل فيه بوني وكلايد، مسدس الشمع الذي كان يستخدمه روبرت بيرديلا لسد أذن ضحاياه، حذاء ألبرت فيش، خصلة شعر من

شارلز مانسون، دمية المهرج الخاصة بجون واين جايسي، بطاقة معايدة من تيد بندي، طوبة من منزل شارون تيت.

بالنسبة إلى شريحة معينة من الناس، فهذه الرموز أقوى من سيارة مرسيدس الفئة س أو ضيعة في حي هامبتونز العريق. المكان هنا رائحته مثل متجرٍ في الجحيم، مثقلة بالدم القديم والعرق الجاف، عرق الخوف الحامضي الخاص بأولئك الذين حاولوا النجاة بحياتهم، وعرق الجوع للعنف الخاص بمن أسقطوا المطرقة فوق رؤوسهم.

تقول كريسي: "هؤلاء الحالمون ليس لديهم رؤية، تعاليْ، لا نريد أن نتسكع هنا لوقتٍ طويلٍ، قد يطولنا افتقار هذه الأشياء إلى الطموح".

لا أريد أن أتبعها عبر المدخل ذي الستائر السوداء على الجانب الآخر من الغرفة، لكن لا بد أن أكمل ما بدأته. أتحقق من هاتفي: شرطة واحدة فقط في الشبكة، وقد مرَّت ثلاثون دقيقة، أريد إرسال رسالة نصية إلى ستيفاني وإبلاغها بالتطورات، لكنها كارتي الرابح في هذا المأزق، لا يجب أن أكشفه.

"آتية أنتِ؟" تسألني كريسي من الظلام.

أعرف ما يوجد في بقية منزلها الممتع: زجاجات نبيذ نادرة لزبائنها الأثرياء، من لا يمثِّل الثمن لهم عائقًا. لو كان ما تبتلعه يمثِّل شخصيتك، فمن تكون لو أنفقت 6143 دولارًا على الحربة التي اخترقت مشجعة حبلى وتعلقت عليها على جدار مرفأ عام 1978؟

لكنني لن أستسلم، سأنهي ما بدأته. تجاوزت العتبة ودخلت الظلام لأجد أن كريسي قد حركت الجدران المؤقتة وبنت بها متاهة في حظيرتها. نقف في صالة طويلة تصطف على جانبيها أبوابٌ مغلقة ومداخل مظلمة.

"هل تعرفين كم من الوقت استغرقتُ لبناء هذا كما يجب؟ ست سنوات، هذا جدول زمني لفنان، من يقضي ست سنوات في بناء شيء ليس فنًّا؟".

قلت لها "رائحتها عطنة".

هذا كان تعليقي الوحيد فتستطرد: "بل أريج أجسادهم ممزوج مع عطر أخواتنا. أتعلمين، كنت أشعر دائمًا بكِ يا لين".

- شكرًا؟

- تقول: "لا تشكريني، أنا جادة. كنت أشعر أن موقفك شديد الصعوبة، لقد سمعت ندائي منذ البداية وصار هدفي جليًّا، لكن لا بد أن الأمر كان محيرًا بالنسبة إليك، فقد تم الزج بك مع الفتيات الأخيرات من دون أن تلطخك الدماء، من دون أن تختبري البداية الحقيقية".

"كم من التصرفات والأحاديث الغريبة يجب أن أتحمَّله يا كريسي؟ لأنه إذا تمكنا من إسراع بعض منها فسيكون رائعًا".

"أنت مضحكة للغاية يا لين، تقفين على عتبة شيء مهيب، من دون حتى أن تدركي ذلك".

تتقدمني لتقودني إلى الظلام، شيء ما يلامس وجهي، خفيف مثل شبكة عنكبوت، أجفل وأحاول إبعاده عن شفتي، إنه شال كروشيه متسخ. لقد كان من الخطأ المجيء إلى هنا؛ أنا الآن أخون ثقة الجميع فقط بالاستماع إلى خبال كريسي. من الواضح أنها قد انعزلت في هذه الغابة لفترة طويلة حتى تعفنت، انتظرت ظهور شخص ما حتى تتقيأ عليه جنونها. أقوم بقضم خدي من الداخل بقوة، الألم يعطيني شيئًا أركز فيه، أحتاج إلى معرفة قصة تلك الرسائل الإلكترونية.

- ماذا حدث لنا جميعًا؟" تسألني، "هل توقفتي مرة لتتساءلي؟
- مثل لماذا أنا؟
تجيبني: "لا، بل مثل لماذا كل هذا؟ لماذا كل هذا القتل؟".

نستمر في التعمق أكثر في متحفها، نمرُّ بجوار أرفف عرض مظلمة، صفوف من رؤوس من الفووم ترتدي ما أعتقد أنه شعر مستعار، ثم أدرك أنها فروة رأس بشرية، تتوقف خارج عند ممر مظلم وتنتظر مني اللحاق بالمسيرة.

تقول: "القتل هو محاولة الرجل لسرقة الولادة من النساء. نحن ننجب الأطفال، وهم يقتلونهم، نحن نصنع الحياة، وهم يصنعون الموت، هكذا كان الأمر دائمًا".

"ما علاقة ذلك بوحوشنا؟" الوحوش، أحيانًا تعلق الكلمة بحلقي لأنها تبدو كبيرة جدًّا، غامضة جدًّا، مثيرة جدًّا، ولكن هنا تبدو ملائمة جدًّا.

"ألا ترين؟" تسألني، "إنها مهمة البحث عن رؤية، عن معنى، لنولد من جديدٍ. بالنسبة إلى الوحوش الآدمية، فهم لا يقتلون الناس، بل يقتلون أجزاء من أنفسهم، يقتلون الفاسقة، النابغة المنبوذة، المدمنة، الساخرة، المشجعة، كلها جوانب مختلفة لشخصياتهم".

أقول لها: "ستكون داني سعيدة لسماع أنكِ تعتبرين أصدقاءها جوانب من شخصية شقيقها القاتل".

"ليس حرفيًّا، إنتِ تعارضين ما أقوله من خلال التشبُّث بالدلالات، أنا أحاول إخبارك لماذا يفعلون ما يفعلونه".

- لأنهم مضطربون نفسيًّا.

تقول: "هذه كلمة ضعيفة، هل يجعلك هذا التشخيص تشعرين بأنكِ أفضل منهم، قبل أن تضعيهم فِي ملفٍّ ما في درجٍ صغيرٍ؟ أنتِ تعلمين أنهم أكبر من ذلك، لو كانت مجرد مشكلة نفسية، فيمكننا إيجاد علاجٍ، لكنها مشكلة ميتافيزيقية".

- بل مشكلة عدالة جنائية.

تستمر متجاهلةً كلماتي: "هذه الأجزاء من شخصياتهم سبب كل المشاكل لأنها أجزاء ضعيفة. الوحش يريد أن يكون عنيفًا، يريد أن يكون خطيرًا، يريد أن يكون قاسيًا، لذلك يقتل الأجزاء اللينة من نفسه، لكن الرحلة تنتهي دائمًا في نفس الوجهة: لا يبقى أحدٌ سوى الوحش والفتاة الأخيرة. بغض النظر عن تدميره لتلك الأجزاء الأخرى من شخصيته، فإنه لا يستطيع تدمير الجانب الأنثوي الأساسي من نفسه. الدمار لا يمكن أن يقضي على الخلق. هذا الدافع الأنثوي البدائي، الرغبة الملحة لخلق شيء منك هي شعور لا يمكن التخلي عنه. عندما يغلي كل شيء، عندما يذوب حتى آخر قطرة، هذا ما يبقى؛ الخلق والدمار، إناث ورجال، حياة وموت... ولادة وقتل".

تقودني كريسي إلى الغرفة حالكة الظلام، تميل إلى يمينها لترفع مفتاح النور فتتوهج العشرات من المصابيح الضعيفة، ونجد أنفسنا كأننا في كامب ريد ليك عام 1978. هناك قميصٌ ملطخٌ خاص بأحد المساعدين مثبت على الحائط فوقي، والعديد من شعارات المعسكر متراصة على طول الجزء العلوي من الجدران. تتدلى فوقنا جذوع أشجار منزوعة اللحاء ومشطورة نصفين مع كلمات "خشب كوجر معسكر ريد ليك" محترقة على لحائها الأبيض. تصطف أطباق لعب طائرة مثل أطباق

عرض فرانكلين مينت بجوار كرات القدم ومجداف الزورق الذي ذيلته جميع الفتيات بإمضائهن في كابينة 21.

"الرجل الذي كان يدير متجرًا في المخيم كان يتخلص منهم على موقع أيباي"، تقول كريسي، "ولقد تماديت قليلًا".

هناك تسع صور مؤطرة على التوالي فوق قميص ثقيل، كل واحدة منها يبتسم فيها مراهق مختلف، أتعرَّف على فاليري بيتس، صديقة أدريان المقربة التي تحدثت عنها كثيرًا في محاضراتها. ثم أنتبه إلى التذكارات الأكثر قتامة المنتشرة بين بقايا الصيف السعيد، قوس وسهم رأسه منبعج ومثني، مسدس رمح بشريط مطاطي جاف ومتشقق، منجل.

الغرفة تفوح منها رائحة الصنوبر؛ لا بد أن كريسي استخدمت معطر جو لمنحها تلك الرائحة الخشبية.

ثم تقول: "كامب ريد ليك، هل تعلمين أنه تم بناؤه فوق أراضي هنود المونو؟ لقد آمنوا بنينيتيكاتي، هيكل عظمي أكل لحمه كله لكنه ظل جائعًا، يطارد النساء ليأكلهن هن وأطفالهن. بمجرد أن يبدأ المطاردة، لا يستسلم وكان خيارهن الوحيد هو قتله، لكنه لم يمت. بغض النظر عمَّا فعلن به، كان في إمكان نينيتيكاتي أن يجمع نفسه مرة أخرى، إنها فكرة تسكن هذه الغابة، روح تبحث عن وعاء. لم يكن لدى بروس فولكر أي تاريخ من المرض العقلي قبل ما حدث، وفقًا لكل من عرفه، لم يستطع حتى احتمال رؤية الدماء".

أقول لها: "أنتِ تتفلسفين في حياة الناس، هذه ليست أفكارًا مجردة، لقد كانوا بشرًا حقيقيين".

"لكن من يهتم؟" تسألني، "من يهتم أنهم ماتوا؟ ماتت تسع فتيات صغيرات ومعهم بروس فولكر في معسكر ريد ليك، وماذا في ذلك؟ اجمعي كل أصدقائنا وعائلتنا، كل من ماتوا، وسيصبح لديكِ أقل من خمسين شخصًا، خمسون مليونًا آخرون يموتون كل عام، فلماذا يهتم الناس بنا إذن؟ ما جعلنا مشهورين هكذا؟ كيف أصبحنا تلك الفكرة التي علقت بالأذهان؟ في نهاية الطريق هنا، أدرك سيمونز وايت أنه سيحصل على إعانة إعاقة ثابتة إذا لم يكن لديه ذراع، لذلك فقد استعار منشارًا كهربائيًا من جاره وحاول قطعها. عندما ذهبت ابنته لتمنعه، قطعها قطعًا صغيرة، ثم قرر أن يفعل الشيء نفسه مع زوجته، أتعرفين بكم يمكنني شراء هذا المنشار الكهربائي؟ ثمانين دولارًا. المطرقة الثقيلة التي تنتمي إلى عائلة هانسن، تلك التي قتلت صديق مارلين؟ بيعت قبل خمس سنوات بأربعة عشر ألفًا، ما هو الفرق؟".

أقول "لقد سئمت من هذا، كريسي".

قالت "لا، يجب أن تفهمي، موتنا يعني المزيد. هم أكبر منا، أكثر رمزية، ولصوتهم صدى عميق وعال، ألم تتوقفي لتسألي نفسك لماذا؟".

تراجعت بعدها عائدة عبر المدخل لتقودني عبر القاعة المعتمة، حولي فتحاتٌ سوداء فارغة تتثاءب من الجدران، ممرات تتلوى وتنعطف يمنةً ويسارًا، من بعيد تأتي أصوات طقطقة معدن خلفها تسلل حرارة النهار من السقف المصنوع من الصفائح المعدنية.

أخطو إلى كوة مظلمة أخرى مع كريسي وسمعت صوت فرقعة عالية، وتتجسد امرأة أمامي، تطفو في الجو، كادت أحشائي تقفز خارجةً مني وأنا وراءها قبل أن أرى أنه فستانٌ أبيض منتفخٌ معلقٌ في الهواء.

تقول كريسي: "إنه فستان مارلين الذي كانت ترتديه في حفل الجوهرة في عام 78".

يتدلى من عشرات خيوط الصيد التي تفرده وتعطيه هيئة الجسد كأن به مارلين غير مرئية.

تقول كريسي: "كان محفوظًا في بيت والديها في بلاد الخليج، رأيته في برنامج تلفزيوني خاص وكان لا بد لي من الحصول عليه، دفعت لخادمة المنزل أكثر من ثمانمائة دولار لتأتي إليَّ به، أحيانًا آتي إلى هنا فقط لأتواصل معها".

الجدران ممتلئة بكورسورات، وكؤوس الشمبانيا على حوافها آثار أحمر الشفاه، هناك صورة مؤطرة لجميع المساعدين الذين وظفوا في ذلك العام، ومارلين في المنتصف، مبتهجة، تحاول جاهدة أن تبدو كأنها لم تشاهد صديقاتها قتيلات قبلها بشهرين فقط. وفوق كل ذلك، في مكانٍ مرتفعٍ على الحائط، في الصدارة، هناك مطرقة قائمة.

"هل هذه...؟" لا أستطيع أن أكمل جملتي.

تقول كريسي: "لا أنوي بيع أي شيء في هذه الغرفة. لذلك لا أريد التعليق على مصادري".

أقول "أنت حقًّا مخيفة يا كريسي".

تقول: "كريبي كريسي، هذا ما وصفوني به في المدرسة الثانوية، قبل العودة لبلدتي، بعد عودتي كنت بطلة وناجية وضحية، بعد عودتي، كنت كل ما يحتاجون إليه، وكل شيء كانوا يخشون أن أكونه، كل هذا مجتمعًا".

أقول: "كريسي، أريد أن أرى تلك الرسائل الإلكترونية".

تقول: "سيحدث، لكن يا لينيت، عندما يكون كل ما تبقى هو الفتاة الأخيرة والوحش، ماذا يحدث؟ إنها تهدِّئه، مثل العذراء والحصان ذي القرن، اليونيكورن، هو متوحش وشرس، ولكن عندما يرى العذراء يضع رأسه على حجرها ويهدأ. الفتاة الأخيرة والوحش وجهان لشخصٍ واحدٍ. فكري في الأمر. واحدة تجري بسرعة وتصرخ، لكنها واسعة الحيلة وتقاتل من أجل أصدقائها. والآخر بطيء، عنيد، وصامت. الآخر يُقتَل، وحيدًا".

أقول "وبعد ذلك، تبًّا له، يذهب إلى السجن، أو يُقتل، وهكذا تفوز المرأة، شيء مدهش".

قالت: "لا، هذا لم يحدث أبدًا، ألا تعرفين قصتك؟ إنه يعود، وفي النهاية تقتله. وهذه هي اللحظة عندما يصبح مكتملًا؛ فهي تطلقه وتحرر نفسها بفعلها هذا، إنها الين وهو اليانغ، هي من تعدل كفته، ألا ترين؟".

تُظلم الغرفة فأتبعها إلى القاعة، لا أريد أن أكون وحدي مع هذا الفستان الأبيض الطائر. نتعمق أكثر في المتاهة المظلمة، تدق كريسي على مصباحها اليدوي لينير لنا طريقنا حتى لا يدخل أي منا في أي جدارٍ.

تقول: "أريد فقط أن أريكِ هذه بسرعة، أعتقد أنه قد يكون من الصعب عليكِ البقاء بالداخل لفترة طويلة، لكنه صادمٌ للغاية".

تضغط بابًا متصلًا بسلسلة وتضيء الضوء، نحن الآن نقف في المدخل وأنا أحدق أمامي في الرعب، أريد البكاء.

"إنها تخص هيذر"، قالت مبتهجة، "دعوتُ ملك الأحلام إلى هنا وقام ببنائه بنفسه، اضطررت إلى بيع كل تذكاراتي كي أستطيع تحمُّل تكاليفه، لكنني أعتقد أن الأمر كان يستحق".

لا يستطيع عقلي أن يلتف حول ما أراه.

"كيف ...؟".

لا أستطيع أن أكمل جملتي فتستطرد: "ملك الأحلام يذهب حيث يريد". "سوف يجدون أن الرجل الذي يقضي وقته في السجن لا علاقة له بما حدث، لكنه خادم الملك ولن يخبر أحدًا بذلك، إن ملك الأحلام حريصٌ جدًّا في انتقاء طعامه. أمرٌ صادمٌ، أليس كذلك".

يحاول عقلي نفض جنون هذه الغرفة، ولو كانت هيذر هنا الآن فسوف أسامحها لخيانتها إياي، سوف أسامحها لخيانتها الجميع، إن الأمر أسوأ بكثيرٍ مما قالت.

قالت لي كريسي: "تماسكي، ما زال أمامنا طريقٌ طويلٌ لنقطعه".

أطفأت الضوء وأغلقت البوابة، وأنا أجرُّ نفسي جرًّا بعيدًا عن تلك الغرفة.

"كوني قوية يا لين".

وضعت يدها على مرفقي وانعطفنا إلى حجرة أخرى، أضواء الفلورسنت القاسية تهاجم عيني.

"هذه غرفتكِ"، قالت بحماسٍ، "أفكر فيكِ طوال الوقت".

إنها خاوية تمامًا، مجرد جدران سابقة الصنع، وستارة سوداء فوق الباب. الأرضية خرسانية عارية، والفلورسنت الخافت المعلق في وسط السقف يجعل مقلتيَّ تتألمان.

تقول: "لم تبدأ رحلتكِ بعد، ولكن هناك الكثير من الاحتمالات. أنا متحمسة لأننا سنملأ هذه الغرفة معًا".

تطفئ الضوء ثم توجهني إلى غرفة أخرى، وعندما تضاء الأنوار مرة أخرى، تكون جدران الغرفة بعيدة وهناك ناس حولي، استدرت

لأحدق إليهم، فيستديرون ويحدقون إليَّ، ويتراجعون، رافعين سلاحهم في وجهي.

تقول كريسي: "هذا هو مكان جوليا، تغطي المرايا كل شيء".

أهدئ أنفاسي وأتفحص الجدران لأجدها بالفعل مغطاة بالمرايا. إطاراتها ملفوفة بورق الألمنيوم أو الفضة المطلية بحيث تكاد تكون مرئية. يوجد رفوف زجاجية بارتفاع الخصر على طول أحد الجدران وفوقها رؤوس الشبح، اثنان منهم يتثاءبان، أحدهما في وجه الآخر.

تقول كريسي: "الأقدم فيهما هو في الواقع نسخة طبق الأصل، الثاني كلَّفني الكثير من المال، أحد الأشخاص الذين اخترعوا الفيسبوك يمتلك النسخة الأصلية".

- كم أنفقت على كل هذا يا كريسي؟

هناك صورٌ بالأشعة السينية لعمود جوليا الفقري مثبتة على صندوق ضوئي، ونُسخٌ صورية لتقارير من طبيب العلاج الطبيعي، وعلبة عرض تحتوي على ثلاثة سكاكين صيد ملطخة ومتآكلة، أحدق أنا وصوري في المرايا إلى كل ذلك في حزنٍ وعجبٍ.

تقول: "كان الأمر يستحق".

"حقًّا؟" أسألها، "أعني، أعلم أنكِ تنتشين بهذا كله، ولكن ما هو الهدف منه؟".

تقول: " تعالَي، سأريكِ رسائل البريد الإلكتروني".

قادتني إلى القاعة ثم أسفل ممرٍّ مظلمٍ آخر.

قالت من فوق كتفها: "أتعلمين، أنا فخورة جدًّا بكِ، انظري، داني هي اللاعب، هيذر هي المدمنة، جوليا هي الطالب الذي يذاكر كثيرًا

حتى صار منبوذًا، ومارلين هي العاهرة -آسفة، لكنها تزوجت مرتين- وأدريان هي المشجعة لأنها كانت دائمًا تشجعكم. إنه قادمٌ خلف الجميع الواحدة تلو الأخرى، وسيأتي من أجلك في النهاية؛ ستصبحين آخر الفتيات الأخيرات".

"وماذا عنكِ؟" أسألها.

"أنا خادمٌ متواضعٌ يوضح لك الطريق"، تقولها ضاحكة.

نصل إلى مكتبٍ كبيرٍ في مساحة مفتوحة مقابلة للجدار الخلفي للحظيرة.، هناك مصباحٌ مكتبي منيرٌ على طاولة الحاسوب محاطٌ بمستلزمات للتعبئة، تركع كريسي لتشغل الجهاز، وتقول:

"ألا تدركين الغرض الذي تخدمه الوحوش؟ الوحوش دائمًا ما تحرس كنوزًا، لكن لا يجب أن تكون بالمعنى المباشر. يمكن أن يكون كنزًا من المعرفة، من السمو. في قلب متاهة المينوتور الأسطوري يكمن شيء ثمين: معرفة الوحش نفسه. كل واحدٍ منَّا لديه وحش، يجب أن نواجهه، مصمم لاختبار نقاط ضعفنا الشخصية. وفي النهاية يتسبَّبون في موتنا. هو أيضًا ليس موتًا بالمعنى الحرفي، بل خاتمة هذه المرحلة وبداية أخرى، الموت هو نذير التحول الذي يسبق حياة جديدة. لا، اللعنة، لا أريد تحديث نظام التشغيل". تقولها للجهاز وهي تدق بأصابعها لوحة مفاتيحها قبل أن تستطرد:

"الخوف من الموت هو مجرد مقاومة للتغيير. ها قد انفتح الجهاز".

تضيء الشاشة فتجلس على كرسيها المريح، وتبدأ في تصفح البريد الإلكتروني.

"عندما أدركتُ ما كان يحدث، وضعتُ كل شيء في ملف"، تقول وهي تنقر بالفأرة، "ها هو".

البريد الإلكتروني من orchomenus@hotmail.com. لم أكن أعرف أن هناك من لا يزال يستخدم Hotmail.

مرحبًا،

أنا مُجمع للعناصر غير العادية من الأشخاص غير العاديين، أرغب في الحصول على قطعة فنية صغيرة -يفضل أن تكون بها روح الكريسماس- تخص بيللي ووكر قاتل الليلة الصامتة، هل يمكنك هذا وهل حددتِ لها سعرًا؟ أود أيضًا أن تمرري إلى بيلي الطلب التالي بالكامل:

"عزيزي بيللي،

أنا معجبٌ بعملك، وأشعر أنك متهم خطأ بهذه الجرائم. أعتقد أن شقيقك بطلٌ عظيمٌ وسيعيش إلى الأبد. أريد أن أطلب منك عملًا فنيًّا ضخمًا، مشهدًا للقطب الشمالي بالألوان وعلى أكبر ورقة يمكنك الحصول عليها. أحب سيناريوهات الجن وسانتا كلوز، ويهمني أن أرى إبداعاتك وأفكارك.

80-4 38-18 121-24 163-22 28-13 215-15 247-6 247-14 63-1.

معجب مخلص"

"هل أرسلت هذا؟" أسأل كريسي.

"بالطبع، أزور بيلي كل ثلاثة أشهر ودائمًا لديهم عمولات له، معلومات للمساعدة في الدفاع عنه. أحب أن أحضر له الكتب. لو تعرفتِ عليه، أعتقد أنكِ ستحبينه".

أشعر بمسمارٍ يخترق جبهتي، بين عينيَّ تمامًا، صداع عنيف. لم أكن أعتقد أن الأمر سيكون صعبًا هكذا.

أقول لها: "شيء جميل".

تفتح خزانة ملفات وتخرج مجلدًا محشوًّا بالورق قبل أن تقول: "لذلك طبعت هذا وأخذته إليه، وبعد أسبوعين اتصل بي، وطلب مني أن أكتب ما قاله بالضبط، ها هو".

عمولة مقبولة. 325 دولارًا أمريكيًّا، 25 دولارًا أمريكيًّا/ تحويل × 13 عملية تحويل.

سانتا كلوز يمتطي ظبيًا بجانب ثقب في الجليد، زوجته تراقبه.

134-29 35-3 190-3 190-9 254-2 36-22

تقول كريسي: "لقد جعلني أكرر الأرقام عليه ثلاث مرات، وكان ذلك مجرد بداية".

تقوم بإخراج المزيد من الأوراق من المجلد، رسائل بريدٍ إلكتروني مطبوعة، ملاحظات دوَّنتها في أثناء المكالمات الهاتفية أو في الزيارات، كلٌّ واحدة منها تنتهي بسلسلة من الأرقام. في بعض الأحيان تكرر الأرقام، وأحيانًا لا تفعل، ولكن من الواضح أن هناك نمطًا ما.

"كم عدد الأعمال الفنية التي باعتها لبيلي؟" أسألها رغم أنه يؤلمني الحديث عن بيلي كأنه فنان طبيعي، يعرض أعماله في الصالات ويتفاوض مع المشترين.

تقول: "ستة على مدى ثمانية أشهر، على الرغم من أنه لم يكسب ثلاثمائة وخمسة وعشرين دولارًا مرة أخرى، للأسف أعتقد أن أفضل أعمال بيلي هي الكبيرة الحجم".

"كم عدد الاتصالات التي تمَّت بينهما؟" أسألها، وأنا أتصفَّح المجلد المكتنز.

تقول: "ما يقرب من مائة".

- هناك شفرة، كود في الرسائل.

- بالطبع.

أضع الأوراق جانبًا، تبدو الحظيرة كبيرة جدًّا ومظلمة جدًّا، نبدو نحن الاثنتان كجسدين متناهيي الصغر في هذه المساحة الصغيرة من الضوء الضعيف. أقول لها: "لقد اكتشفتي مغزاها، أليس كذلك".

لم يكن سؤالًا.

"لقد فككت الشفرة من رسالة العمولة الثانية"، تقول وهي تضحك، "إنه رمز كتاب، مثلما فعلوا في رواية ريد دراجون، أول كتاب لهانيبال ليكتر؟ تشير الأحرف إلى أرقام الصفحات والأسطر، الحرف الأول أو الكلمة الأولى في كل سطر".

"أي كتاب؟" أسألها، "يجب أن يكون أوركومينيوس هذا -مرسل البريد الالكتروني- واثقًا أنه كتاب بحوذة بيلي في زنزانته".

تجيبني: "يوميات آن فرانك، لكل سجن نسخة".

أتخيل هذين المنحرفين، وهما يتصفحان نسخَ يوميات آن فرانك في المكتبة المتهالكة، يمرَّان بلا أدنى اهتمام بكلمتها المشهورة: "على الرغم من كل شيء، أعتقد أن الناس طيبون بالطبيعة"، وينسقون أفكارهم المريضة.

- ماذا قالت الرسالة المشفرة؟

أسألها فتجيبني وهي تضحك:

"أوركومينيوس أخبر بيلي عن الرسائل التي كتبتِها لأخيه الأكبر، وقد دفع له ليخبر الشرطة عنها وأن يكذب ويقول إنه دفنها حيث أخبأها أوركومينيوس، عندما كان الوقت مناسبًا. يعرفك أوركومينيوس جيدًا بما يكفي لتزوير خط يدك على بعض الرسائل الإضافية لجعل تواطؤكِ أكثر وضوحًا".

تتشابك أحشائي وتنعصر من التحفز والقلق. ساقاي لا تقوى على حملي، وليس هناك كرسي، ولكن مهما حدث، لن أفقد وعيي أمامها.

"من؟" أسألها.

"ألا تعلمين؟ في نهاية الأمر أنتِ لست فتاة بيلي الأخيرة".

– فتاة من؟

أسألها فتقول: "ربما كنت ستفهمينها في النهاية، قد لا تكونين أذكى واحدة منًّا، لكنكِ كنت دائمًا الأكثر عنادًا، أنتِ فتاة أوركومينيوس الأخيرة".

تبتسم لي، بكل غرورٍ وطمأنينة، وأدرك فجأة أن هناك مساحاتٍ شاسعة من الغابات حول هذا المنزل، وليس هناك عددٌ كافٍ من الناس.

"من هو؟" أسألها، "هذا الـ أوركومينيوس، أنا موقنة أنكِ تعرفينه".

"هل تعرفين ما هي أوركومينيوس؟" سألتني وهي تضع المجلد مرة أخرى في خزانة الملفات الخاصة بها. "كانت مدينة في اليونان القديمة، يقام فيها مرة كل عام عيد ديونيسوس حيث كان الكاهن يمسك بشفرة حادة ويطارد النساء في الليل، إذا أمسك بأي منهن كان له الحق في قتلها من دون عقابٍ، ولقد استمر هذا الطقس لفترة طويلة".

"يمكنني أن أجعلكِ تخبرينني"، أقول ملوحة بمسدسي.

تقول: "اعتقدت أنه سيكون واضحًا، أوركومينيوس هي الدكتورة كارول".

ظننتُ أنني كنتُ مستعدة للأدلة عندما ظهرت، لكن ليس هذه الخيانة، لقد انتصرتُ وانهزمتُ في نفس الوقت. معرفتي بالوحش تسحقني، ببطء، ولا يمكنني توجيه مسدسي نحوها الآن، حتى لو كانت حياتي تعتمد عليه، وأعتقد أنها كذلك.

تقول: "لقد اشتريت تلك الرسائل في مزادٍ لمخازن صغيرة منذ وقتٍ طويلٍ، كنت أراقب تلك الخزنة بالذات لأنني كنت أعرف أنها تخص مدير الحضانة حيث نشأ آل ووكرز، أخذت خطاباتك مباشرة إلى المحامي العام. أعادوها إليَّ بعد ستة أشهر، قالوا إن خبيرًا فحصها ورأى أنها غير ذات صلة، مجرد تصرفٍ طبيعي لفتاة مراهقة، لا يستحق حتى أن يُذكر. تمسَّكتُ بها حتى اتصلت بي أوركومينيوس للشراء، طلبت منها بريدًا إلكترونيًا حقيقيًا، شيئًا يمكنني التحقق منه، بالإضافة إلى ألف ومائتي دولارٍ، الناس يقدرون فقط ما يكلِّفهم المال، شيء محزن حقًّا".

أتنفس بعمقٍ لتهدئة نوبة الهلع التي بدأت أشعر بها تشلّ رئتيَّ، لكنها تتقلص بدلًا من ذلك وأصاب بالفواق. أركع لأستجمع أنفاسي، كم من أسرارنا تعرفها الدكتورة كارول؟ لماذا لم تقتلني في منزلها؟ ما اللعبة التي تلعبها بحيواتنا؟

سمعت كريسي تنقب في أدراجها بينما بدأ صدري يؤلمني. ليساعدني شخصٌ ما، أرجوكم، لكن الدكتورة كارول هي وحشي وليس هناك من يمكنه مساعدتي.

باستثناء ستيفاني.

سوف تأتي، ستأتي مع رذاذ الفلفل، وسيكون كيث في الغابة في انتظارها، وسيكون لديه معول، أو مثقاب، أو سكين جزار، ولديها فقط رذاذ الفلفل الخاص بي، وستكون على حقٍّ: إنه لا يعمل.

تقول كريسي: "اكتشفت لاحقًا أن ذلك الخبير هو الدكتورة كارول. في عام 2004 أخبرتْ الشرطة أن هذه الرسائل ليس لها قيمة، ثم اشترتها مني في عام 2009، يبدو أنها نضجت في تلك السنوات الخمس. مجموعة الدعم الصغيرة الخاصة بك هي مجرد ساحة القتل التي خلقتها من أجل سلسلة التضحيات النهائية التي ستسمو فيها هي (آخر وحش) معك (الفتاة الأخيرة) وترتقيا معًا إلى ما هو أعلى من آدميتكما. كنت في حاجة إليَّ كي أقودك إلى قلب متاهة المينوتور لأنك لا تستطيع مواجهة الحقيقة، لذلك أتيتِ إلى كريسي المجنونة، هل تعلمين أن أشهر العرافات في الأساطير الكلاسيكية كن مجنونات؟".

كانت تعلم بأمر الخطابات، لمدة ست سنوات كانت كارول تعرف كل شيء عنها ولم تقل كلمة، منذ متى كانت تخطط لهذا؟ بل إنها كتبت رسائل جديدة، ورأيتُها في مكتبها، وراء الباب المغلق، منكبة على كرَّاسها، تلفق رسائل حميمة بيني وبين ريكي ووكر، وإذا كنت في حاجة إلى معرفة مدى كرهها لنا، فهذا أوضح دليلٍ.

تميد الأرض بي بشكلٍ خطيرٍ، وتدور الجدران حولي. أسمع صوتًا رقميًا ناعمًا من الحاسوب وتظهر نافذة على الشاشة.

تقول كريسي: "أوه، انظري، كيث أرسل رسالة نصية للتوِّ، لقد وجد شيئًا ما في الغابة".

أنا غبية وبلهاء، وقد قللّت من مدى جنون الدكتورة كارول حقًّا، أرى قدمي كريسي أمامي وأحاول أن أنظر إلى أعلى، أحاول رفع مسدسي، لكن جسدي كله مصابٌ بتشنج عضلي.

شيء ما يعض كتفي الأيمن ثم يسكن، تتوقف ساقاي عن العمل، وأجد نفسي أنظر إلى السقف وهناك ضغط على خصري. أشعر بحقيبة وسطي تُنزع، وأرى أن كريسي تمسك مسدسي في يدها اليمنى ومسدسَ صعقٍ في اليسرى، شعرت أن ذراعي اليمنى مكسورة.

"دعينا نذهب إلى غرفة المعيشة لنرى ما يعده كيث لصديقتك الصغيرة"، تقول ضاحكة، "في بعض الأحيان يحتاج إلى أن أطلقه حرًّا وأفك عنه اللجام".

ستيفاني، أنا آسفة.

لم تكوني بأمان معي على الإطلاق.

***



تدبروا معي، كم من أسطورة بدأت بسفك الدماء. كرونوس أخصى وقتل أبيه، أورانوس. ثم قام كرونوس بالتهام ابنائه حتى جاء زيوس وقتله. في الأساطير النوردية، قتل أودين وڤيلي وڤي جدهم والعملاق يمير. وقد سال من جسد الأخير دماء كالطوفان في الكون كله لتشكل البحار. من لحمه خُلقت الآرض ومن عظامه الجبال حتى صارت جمجمته هي أساس أعمدة الجنة. ثم جاء الإنسان في النهاية ليُخلَق من الدود الذي تغذى على رفاته. منذ البداية، وهذا العالم قد أشيدت حضاراته فوق أكتاف من أكل لحم آبائه.

مورس چانا ڤيتاي: الموت هو بوابة الحياة.

"ماذا وجدت يا كيث؟" تهتف كريسي عندما نصل إلى غرفة معيشتها. - ماذا لديك هنا؟

يفتح كيث الباب الرفراف بجنبه وهو متشبث بكيسٍ من العظام، يمسكها تحت ذراعيها وهي غائبة عن الوعي. عيناه حمراوان كالدم. يسقط قلبي بين ضلوعي لأنه لا بد أن ستيفاني قد رشَّته برذاذ الفلفل ولم يفعل شيئًا، بالضبط كما توقعت هي.

"إنها ميتة"، أقولها فتعلِّق كريسي وهي تضع يدها على ذراعي: "دعينا لا نفترض أشياء، سيبلغنا كيث إذا قرر أن يسلك هذا الاتجاه".

يتأرجح باب العاصفة مرة أخرى لينغلق على كعب ستيفاني قبل أن أسمع صوت كشطٍ حين يجذبها كيث إلى الداخل بعنفٍ لينتزع عن قدمها حذاء تشاك تايلورز المقلد، ثم ألقاها على الكرسي الليِّن المغطَّى بملابس متسخة في الزاوية.

"لقد وجدتَ شخصًا يتلصص علينا، أليس كذلك؟" تسأله كريسي، كأنها تتحدث إلى كلبها.

قام برمي الهراوة ببساطة فوق طبقة أكياس ماكدونالدز على طاولة القهوة.

"فتاة"، يتمتم كيث، وهو يشير إلى ستيفاني ويحكّ ما بين ساقيه.

"ستيفاني"، أقول قبل أن أتجه نحوها.

وجهها شاحبٌ والدم يسيل من انبعاج أسود في جبهتها بينما تلتصق أوراق الشجر بقلنسوتها. عيناها مفتوحتان لكني لست متأكدة إن كانت تراني.

"لا تقتربي منها"، تقول كريسي وهي تمسك بحزامي لتسحبني إلى الخلف، "مزاحمة كيث فكرة سيئة".

نظرت إلى عيني مباشرة، حتى أومأت برأسها بالاستجابة، ثم التفتنا إلى كيث الذي جلس على كعبيه وأراح مرفقيه على ركبتيه، ثم وضع يديه على ساق ستيفاني، بدا كأنه سنجابٌ عملاقٌ يحدق إلى وجهها.

"ماذا سنفعل بها يا كيث؟" كريسي تسأل بنبرة معلمة حضانة.

أقول "إنها ستيفاني"؛ تكرار اسم الضحية المحتملة يخلق تعاطفًا معها، لا أعتقد أنه سيكون له أي تأثيرٍ على كيث، لكن لو جعله يتردد لثانية واحدة، قد يحدث ذلك فرقًا كبيرًا، "من ريد ليك".

تقول كريسي: "نحن نعرف من هي".

تحدق كريسي إلى كيث، وكيث يحدق إلى ستيفاني، وعينا ستيفاني تتجول ببطء حول الغرفة حتى توقفتا عليّ.

"لينيت؟" تقول بلسان ثقيل، "لقد جئت".

أريد أن أجعلها تفكر في أنني أستطيع حمايتها، حتى النهاية، حتى لو لم أستطع، لن تموت خائفة.

"يجب أن نذهب"، قلت لكريسي، وتذكرت ما قالته عن كيث في متحفها الصغير: أحيانًا يحتاج إلى أن أرخي له اللجام، "يجب أن نذهب ولا نضايقك بعد الآن".

تقهقه كريسي، "أنتِ ظريفة للغاية".

يحني كيث رقبته إلى أسفل ويرتعش منتشيًا، الموقف مشحون وفي أي لحظة سيقوم شخصٌ ما بفعلٍ ما ثم لن يتمكن أي منّا من التراجع.

تقول ستيفاني: "أريد أن أذهب الآن، هل يمكننا الذهاب من فضلك؟".

كان لصوت جيليان نفس النبرة عشية عيد الميلاد الملعونة، سمعته يخرج منها عندما دخلت غرفة المعيشة، ولم تفهم ما كان يحدث حتى عندما استدار ريكي ووكر ورآها:

"لينيت"، قالت عندما تقدَّم إليها، "أريد أن أعود إلى الفراش الآن، لن أخبر أحدًا أنني رأيت سانتا، قولي له إنني لن أتكلم، من فضلك، لينيت؟".

تسمرتُ لحظتها في مكاني، متظاهرة بأنني ميتة كي لا ينتبه إليَّ حين ينتهي من بقية ضحاياه، لم أرغب في الموت.

"لينيت؟" كررت جيليان قبل أن يأخذها وتبدأ في الصراخ، وستيفاني تقول ذلك الآن ونحن في غرفة معيشة كريسي المكدسة بالنفايات، عليَّ أن أخرج من هنا.

كيث يحدق بشدة إلى كريسي.

"ما هذا هناك؟" تسأله.

يطالب كيث: "أريد".

تنظر كريسي إليَّ، ثم إلى ستيفاني، ثم إليَّ مرة أخرى، تحسب شيئًا ما، تُقَيِّم الإيجابيات والسلبيات، ثم تبتسم، ابتسامة لا أعتقد أنها تعني شيئًا جيدًا.

تقول: "يحتاج الفنان إلى التدريب وإلا تفقد أدواته دقتها، لا أريد أن يفقد كيث بريقه".

تقول ستيفاني: "رأسي يؤلمني".

أقول لكريسي بشجاعة: "أنتِ لا تفهمين، إنها فتاة أخيرة، لا يستطيع كيث فعل أي شيء لها، عليه أن يحافظ على نفسه من أجلكِ، لديها وحشها الخاص، ولديكِ هو".

تهزُّ كريسي رأسها وتبتسم قائلة: "هذا ليس دينًا، وكيث لن يذهب إلى الجحيم إذا غيَّر نظامه الغذائي". تستدير إليه وتلفت انتباهه، "عليكَ أن تجعلها الأخيرة، حبيبي".

أومأ كيث برأسه ورفع إصبعين، "يومين".

تقول كريسي وهي تشير إلى ستيفاني: "إنه لأمر جيد أن جميع الجيران رحلوا، تبدو كأنها من النوع الذي يصرخ كثيرًا".

- لا يمكنك فعل هذا، إنها فتاة أخيرة.

أقولها لكريسي فتتجاهل ما قلته: "عليكِ أن تنطلقي يا لينيت، فبمجرد أن يبدأ كيث من الصعب عليه التوقف. أنا لستُ في خطرٍ، لكن لديكِ قدرًا يجب تحقيقه".

ألعب بكل أوراقي من دون فائدة.

أقول: "قدري معها، هي في حاجة إلى الذهاب معي، أعدكَ يا كريسي، فقط دعيها تأتي معي، إنها فتاة أخيرة".

يقف كيث ويبدأ في البحث في أكوام القمامة على الأرض، ثم يضع صدره على السجادة، وعقبيه في الهواء، ليصل تحت الأريكة.

تذهب كريسي وتجلس على ساقي ستيفاني لتلعب بشعر مقدمة رأسها، تبعد ستيف رأسها بسرعة فتلتقط كريسي ذقنها بأصابعها وتثبتها في مكانها.

تقول: "هذه ليست فتاة أخيرة، إنها وحشٌ صغيرٌ، يحب كيث العمل مع هذا النوع".

يقف كيث ممسكًا بمضرب بيسبول منبعج مصنوعٍ من الألومنيوم الملون.

"لينيت؟" تقول ستيفاني لأنها الآن ترى المضرب وتراني أتجه نحو الباب الأمامي، عيناها كبيرتان ومبللتان فوق كتف كريسي.

تقول كريسي وهي تمسك ذقن ستيفاني لتنظر إلى عينيها: "إنه الجزار الرقيق الذي أظهر لي كيف أن ثمن الجسد هو الحب. اسلخ الأرنب -كان يقول- فأخلع كل ملابسي".

يلوح كيث بمضرب بيسبول في الهواء ليختبره فيصدر صوتًا حادًّا، تستدير كريسي وترفع حاجبيها نحوي.

تقول: "من الأفضل لكِ أن تبدئي في الركض".

يطيح كيث مرة أخرى بمضربه، هذه المرة، يخرق الحائط.

أجري بكل طاقتي.

أصل إلى الباب بخطوتين طويلتين، ومن زاوية عيني أرى كيث يلاحظ حركتي ويأخذ خطوة نحوي، اخترقتُ سلك باب العواصف من دون أن أفتحه، فيرجع ليصطدم بالحائط، ويكاد يعلو فوق صرخات ستيفاني.

"لين!" تصرخ ستيفاني مرارًا وتكرارًا.

حتى وأنا في الخارج، يمكنني سماع كريسي تضحك.

أنزل الدرج في ثانية، وتنزلق قدمي على الحصى، لكنني أستند بذراعي وأرتكز بقدمي في التراب لأجري بأسرع ما يمكنني. أبتعد عن المنزل وعن صرخات ستيفاني، ليس لديَّ سوى بضع ثوانٍ.

حاولت أن أطرح كيث أرضًا من قبل لكنه كان كأنني لكمت شجرة، أسرع في الطريق المظلم، الظلال على كلا الجانبين، منقطعة الأنفاس، أهرس الحصى، أجبر نفسي على الركض أسرع، يجب أن أكون أسرع.

أنت في حاجة إلى حماية أختك.

وصلت إلى السيارة التشيفي، أقفز داخلها لأشعل المحرك، يصدر طنينه العالي فأوجه المقود إلى اليسار لأسلك الممر الترابي باتجاه منزل كريسي. أستمر في ضغط دواسة البنزين، مؤشر السرعة يصل إلى خمسة وعشرين، ثلاثين، خمسة وثلاثين، إطارات السيارة بالكاد تتشبث بالتراب. أصطدم بحفرٍ وشقوقٍ بقوة حتى يرتطم رأسي بالسقف. تحلق الإطارات فوق الطريق قبل أن تستقر عليه مرة أخرى بعنفٍ، مرارًا وتكرارًا، لو حدث وهبطت الإطارات بشكلٍ خاطئ فسوف أفقد السيطرة وتنزلق السيارة إلى شجرة وأموت، أربعين، خمسة وأربعين، أشعلت المصابيح الأمامية، لأجد منزل كريسي الأبيض أمامي مباشرة. المنزل المصنوع من الصفائح المعدنية والفينيل، الذي تكلف على الأرجح أربعة وعشرين ألف دولار في الستينيات عندما اشتراه والداها، هو سليم من الناحية الهيكلية لكنه صندوق من الورق المقوى الرطب.

تركت چوليا ورائي، تركت ورائي نبتتي فاين، لن أترك ستيفاني.

يتقافز العالم بجنون إلى أعلى وأسفل عبر الزجاج أمامي، أتشبث بعجلة القيادة، تجاوزت الخمسين، خمسة وخمسين، يهدأ صوت الإطارات عندما أغادر ممر الحصى.

أصل إلى ستين ميلًا في الساعة عندما أصطدم بمقدمة منزل كريسي، الجدار يعيق مصابيحي الأمامية، ويسد الرؤية أمامي، ثم يتهاوى المنزل وينهار على السيارة حتى يبدو العالم كأنه انقسم نصفين. تنفجر الوسائد الهوائية في وجهي، ويمتلئ أنفي بالمسحوق الأبيض ليجعلني أشعر كأن أحدهم كسر أنفي.

يستغرق الأمر مني دقيقة لألاحظ أن السيارة لم تعُد تتحرك، الصوت الوحيد هو دوران المحرك بينما أنا أهرس بغباء دواسة البنزين، أنا الآن محاصرة في عالمٍ من الأنقاض. أضع عصا السرعة على وضعية الرجوع، تدور الإطارات، ثم تمسك بالتربة، ينزلق جدارٌ جاف بأكمله من السقف ويهبط على الزجاج الأمامي قبل أن يسقط فوق غطاء المحرك في نفس اللحظة التي تنجح السيارة في سحب نفسها إلى الخلف خارج المنزل. هناك أصواتٌ غير مطمئنة قادمة من تحت غطاء المحرك، وأحد المصابيح الأمامية معطلٌ قبل أن أرى حجم الضرر. لقد انهار جانب المنزل بالكامل، وانهارت صفائح من الحوائط الجافة من نقطة الدخول. وبينما كنت أشاهد السقف يهبط ببطء من الجانبين، قبل أن ينهار سقف المطبخ في غبار أبيض.

أترك السيارة تعمل وخرجت منها لكنها توقفت فور نزولي، إنه لأمر صادم مدى هدوء الليل، الشيء الوحيد الذي يمكنني سماعه هو الصراصير. أشق طريقي بين الركام الذي تقيّأه المنزل فوق التراب، حاولت توجيه السيارة نحو الباب الأمامي، بعيدًا عن الزاوية التي

جلست فيها ستيفاني، لكن حين بلغت المنزل، كنت بالكاد مسيطرة على السيارة. أمسكتُ بحافة الفتحة التي مزَّقتْها بسيارتي ودفعت نفسي إلى الداخل، هناك ألواح كبيرة من الحوائط الجافة تنزلق تحت قدمي وغبار أبيض كثيف معلق في الهواء. تهاوى حطام على الجدار المقابل، ولكن على يساري، تبدو الغرفة نظيفة تمامًا كأنها لم تُمس. تجلس ستيفاني على كرسيها، وقد جعلتها الصدمة تتجمَّد في مكانها، يدها حول رأسها، وركبتاها مرفوعتان إلى صدرها. أطاحت السيارة بالتلفاز في صدر كريسي بالضبط، ليجعلها تخترق لوحًا من الجبس خلفها، تخرج ساقاها من أسفل اللوح لكنني لا أرى كيث في أي مكان.

أبتعد، لا أريد أن أنظر إلى جثة كريسي، أحدد مكانها في ذهني وأقسم ألا أنظر إلى تلك الزاوية من الغرفة مرة أخرى.

"ستيفاني، أنا هنا"، أنادي وأنا أشق طريقي فوق الأنقاض، "هل أنتِ بخير؟".

قالت كالمخدرة: "لقد اقتحمتِ المنزل بالسيارة".

قلت: "لقد عدت، عدت إليكِ".

أساعدها على النهوض عندما يمسك شيء بكاحلي فأصرخ حتى قبل أن أنظر إلى أسفل. تحتي أرى ذراع كيث الأبيض الدامي يبرز من تحت كومة من ركام الحوائط الجافة، يده مثبتة حول ساقي.

"لا، لا، لا، لا"، تصرخ ستيفاني، تنظر إليه وتترك ذراعي وهي تهز رأسها رافضة.

أقول لها: "ستيفاني، لا تجزعي".

اليد تنقبض، تضغط عظامي، فأرفع قدمي الأخرى لأهرس أصابعه بقوة، لكني أذيت نفسي أكثر مما أذيت كيث. تتحرك كومة الأنقاض عندما يبدأ كيث في إخراج نفسه، ركعتُ لألتقط شظية خشبية طويلة وأخذت أطعن يده مرارًا وتكرارًا، حتى تلطخت الشظية بدمه تمامًا، ثم فتح يده أخيرًا لأحرر قدمي منه.

تثور الأنقاض كالبركان حين يقف كيث، صامتًا، وحشًا لا يمكن إيقافه، ألاحظ أن عموده الفقري التوى وأصبح منحنيًا إلى أحد جانبيه، هنا تجمدت مكاني، على بُعد أمتار قليلة منه، وستيفاني بين ذراعي. يأخذ كيث خطوة إلى الأمام فتخونه ساقاه، ينزل على يديه وركبتيه، ثم يدير عينين داميتين بريئتين كأعين الجرو نحوي.

يقول: "إنه يؤلم".

سمعت طقطقة فقراته وهو يقف فتنكسر التعويذة التي ألقاها عليّ، يعرج، يخفق في المشي، ينزلق، ثم يسقط، هنا أسحب ستيفاني عبر الفتحة إلى خارج المنزل. أخذتها إلى السيارة ودفعتها إلى مقعد الراكب. عيناها تتشبّث بشيء ورائي فأستدير، خلفنا، سحب كيث نفسه من الجانب المحطم من المنزل، كان منحنيًا وملتويًا لكنه يتحرك، ومضرب البيسبول بيده مثل عصا يتوكأ عليها. أغلقتُ الباب وركضت إلى جانب السائق، درت حول الجزء الخلفي من السيارة، فلا أريد المرور بالقرب من كيث.

ركبت وأغلقت الأبواب، كيث يقترب، أدرت المفتاح ولا يحدث شيء، يأخذ كيث خطوة أخرى، مترنحًا. أدرت المفتاح مرة أخرى فتطحن التروس نفسها ولكن المحرك لا يستجيب. تعلمت الفتيات النهائيات منذ وقتٍ طويلٍ عدم الاعتماد على الأشياء التي يعتبرها

الآخرون أمرًا مفروغًا منه، نعلم جميعًا أن المصاعد والهواتف لا تعمل أبدًا عندما نحتاج إليها، والسيارات، خاصة السيارات.

يترك كيث جانب المنزل ويأخذ ثلاث خطوات سريعة نحو مصباح سيارتي الأمامي، ثم يراني من خلال الزجاج ويركز للحظة، قبل أن يقترب.

أدير المفتاح مرة أخرى، نفس صوت الطحن قبل أن يشتعل المحرك ويزأر بالحياة فأبكي فرحًا، أفكر لجزء من الثانية أن أضغط دواسة التسارع وأسحق كيث بين المصد الأمامي والمنزل حتى ينفث الدم الأسود من فمه، ثم أتذكر ساقي كريسي البارزتين من تحت جهاز التلفزيون فتتصاعد حوامض مؤلمة من معدتي لتحرق حلقي.

لكني أتقهقر بالسيارة لأخرج من حفرة الجحيم تلك.

تصرخ السيارة في وجهي طوال الطريق، لكنها أوصلتنا إلى عيادة إسعافات أولية على الطريق السريع، ومقابل خمسمائة وخمسين دولارًا، خاطوا ست غرز في فروة رأس ستيفاني وأعطوها بعض الديميرول من أجل الجرح. عدنا بعدها إلى الطريق السريع، وبعد ثمانين ميلًا أعثر على نُزُل وهناك جررت ستيفاني جرًّا إلى الفراش، خلعت حذاءها، وتأكدت من أن لديها ما تحتاج إليه من الماء، لأن الاستيقاظ بفمٍ جاف بسبب الديميرول قد يكون أمرًا مروعًا، وبعد ذلك أتأكد من وضعية سلسلة الأمان على الباب، ثم أسند الكرسي إليه وأحكم وضعه أسفل المقبض قبل أن أنهار في حوض الاستحمام وأبكي.

أنا قاتلة، قتلت كريسي، أنهيت حياة إنسان. لقد كانت كريسي مذعورة مثلي، مُطَارَدَة مثلي، ورأت صديقاتها يمتن مثلي، ثم قتلتها، أعض المنشفة وأنا أصرخ لأنني لا أريد ستيفاني أن تسمع. أيادي

الفتيات الأخيرات الأخريات كلهن ملطخة بالدماء، كان عليهن قتل وحوشهن للبقاء على قيد الحياة، لكن ليس أنا، كان لديَّ طريقٌ للخروج، القتل هو ما فعله الأخوان ووكر بي، لكن ليس أنا، كما قالت كريسي، أنا أخلق، لا أدمر.

بالطبع، ما خلقته كان قلعة خاوية أغلقت نفسي داخلها، حياة بلا أصدقاء باستثناء نبتة كانت على قيد الحياة داخل رأسي فقط؟ وكتابي؟ وتلك الرسائل؟

كل ما خلقته لا يسوي شيئًا.

أفكاري سوداوية ومُطلَقة، لا رجعة فيها، نهائية، لقد قتلت شخصًا ما. كلما شاهدت فيلمًا ورفض أحد الأبطال قتل الشرير لأنه حينها سيكون سيئًا مثله، رفضته باعتباره ترهات أدب أخلاقي ألَّفه كاتب هوليوودي أصلع لم يقتل في حياته سوى لفة من ورق التواليت، لكنهم لمسوا حقيقة كونية، أنا أعيش في عالم جديد الآن، وفي هذا العالم أنا قاتلة.

لا يمكنني التراجع فيما فعلت، لا يمكنني إصلاحه، لا يمكنني تحسينه، لكن يمكنني فعل شيء واحد.

لا أستطيع أن أفعلها مرة أخرى، أقسم بأغلظ الأيمان: لن أقتل مرة أخرى، بغض النظر عن عدد الأرواح التي سأنقذها، بغض النظر عن الخطر تتعرض له حياتي، بغض النظر عن أي شيء؛ لا مزيد من القتل.

في لحظة ما غفوتُ وعندما أفتح عيني مرة أخرى أشعر بالبرد وأعاني من صداعٍ وألمٍ في رقبتي. أقف وأفرد جسدي، أشعر بكل فقرة من فقرات ظهري. يتدفق شعاعٌ من ضوء الشمس عبر النوافذ حيث إنني لم أغلق الستائر تمامًا، ترقد ستيفاني في نفس الوضع الذي تركتها فيه

بالضبط، لكن بعد لحظة عصيبة رأيت صدرها يرتفع وينخفض بهدوء فأسترخي، لم يمت شخصٌ آخر.

لقد فقدت حقيبتي في منزل كريسي، لذلك لن يمر وقتٌ طويلٌ قبل أن يعثر رجال الشرطة على هوية الدكتورة نيوبري المزيفة، وبعد ذلك سيتواصلون مع الدكتورة كارول وستخبرهم عني، سيكون لديهم اسمي وآخر موقع معروف لي، بينما تلاحقني الشرطة، ستعزل الفتيات في مكان ما، سايجفاير، على الأرجح، ملاذها الصحي المريح خارج لوس أنجلوس، يجب أن أحذرهن.

ألتقط هاتف ستيفاني من على طاولة السرير وأخرج من الغرفة. لقد رأيتها تنقر رقم التعريف الشخصي الخاص بها مرات كافية لحفظه (1223). أفتح شاشتها الرئيسية ولا أقرأ أيًا من الرسائل الثماني عشرة غير المقروءة لأنني أحترم خصوصيتها. أحاول الوصول إلى داني ولكن لم تجب، نفس الشيء مع مارلين، رقم هيذر لم يعد في الخدمة، هذا كل شيء. جوليا ما زالت فاقدة الوعي في المستشفى، ثم أدركت: سكاي، لقد كتب لي رقمه، أخرج تلك الورقة، وأتصل به.

"ماذا حدث؟" يسألني بعد أن أجاب في أقل من ثانية فأجبته بعد لحظة صمت:

"سكاي؟ إنني لينيت تاركينجتون".

همس: "هذا ما ظننته، من غيرك عساه يتصل بي في السادسة وخمسة وأربعين في الصباح من رقم لا أعرفه، يا صاح، ماذا فعلتِ؟".

"لا شيء مما يقولونه عني صحيح"، أحذره.

يهمس: "يقولون إنك اختطفت تلك الفتاة، يقولون إنك سرقت سيارة شرطي متقاعد وضربتِه وتركتِه على جانب الطريق، يقولون إنكِ هربت من الحجز وإنكِ هاربة مطلوبة للاستجواب".

"أمم، حسنًا، أعترف، هذه الأشياء صحيحة ولكن كل شيء آخر كذبة".

يقول: "أمي غاضبة للغاية".

"عليك أن تذهب إلى منزل صديق، خذ أخاك الصغير واذهب إلى مكان ما، أخرج من منزلك".

يقول: "لا أستطيع"، "أمي ستأخذ الجميع في رحلة".

قلت له: "لا، لا، هذه فكرة سيئة".

قال لي: "إنها متحمسة جدًّا لها، ستأخذني أنا وباكس ومجموعة من الناس إلى سايجفاير، باكس يحب المكان هناك".

"أي الناس؟" أسأله، "من سيذهب؟".

يقول: "معذرة، يجب أن أذهب، سوف تقتلني إذا اكتشفت أننا تكلمنا".

أنهى المكالمة، وعندما أعاود الاتصال يتم تحويلي إلى البريد الصوتي.

إن لوس أنجلوس بعيدة، وسايجفاير على بُعد ساعة ونصف، لا يمكننا الوصول إلى هناك في الوقت المناسب. أتخيلها وهي تمر على مارلين وداني وهيذر، ثم تذهب إلى المستشفى لاصطحاب جوليا، أتخيلها تأخذهن جميعًا لتنفرد بهن في معتكفها. لا أستطيع تصور ما سيحدث لهن هناك.

اتصل بچوليا، لأنه على الرغم من أنني سأنتقل إلى بريدها الصوتي، فإنني أريد سماع صوت إحداهن.

"من المتصل؟" صوتها قوي وواضح.

"چوليا؟" أهتف.

تقول: "أوه، يا إلهي، لينيت؟".

"أنتِ بخيرٍ؟" أسألها.

قالت: "لا، لستُ بخيرٍ، أصبت ثلاث مرات في رجلي. هل اختطفتِ طفلة؟ هل جُننتِ؟".

أنا بحاجة إلى تقييم حالتها، فأسألها: "هل تتألمين؟".

"بعد تلقي الرصاص في ساقيَّ؟ لماذا تسألين؟ لأني مشلولة؟ هل تعتقدين أنه لا يؤلم؟ إليكِ فكرة يا لينيت، لماذا لا تطلقين النار على شيء لا تستخدمينه، مثل رأسك، ثم تخبريني بما تشعرين، حسنًا؟ رباه، أخبرتني الدكتورة كارول أنكِ تعرضتِ لانهيار".

"هل رأيتِها؟".

تقول: "ستمر بي لاحقًا، سيخرجونني من المستشفى في الصباح، لقد كنتِ محقة بشأن شيء واحد: نحن جميعًا في خطرٍ، منكِ. ستأخذنا الدكتورة كارول إلى مكان آمن حتى يتم القبض عليكِ".

- سايجفاير.

تقول چوليا: "ها قد فشلت الخطة، لا أستطيع أن أصدق أنني أتيتُ إليكِ معتقدة أن هيذر كتبت هذا الكتاب لكن اتضح أنه أنتِ من فعل، والآن اختطفتِ طفلًا، ظننت أنني أعرفك يا لينيت".

قلت لها: "إنها ستيفاني فوجات، الفتاة من مذبحة معسكر ريد ليك، أنا أبقيها آمنة، اسمعي، لقد رأيت كريسي...".

"تحافظين على طفلة آمنة، وتأخذينها لرؤية كريزي كريسي؟" تصرخ، "لقد فقدتِ عقلك حقًّا".

"چوليا، أنت تعرفينني، لذا من فضلك، استمعي دقيقة واحدة. كيف حصل كريستوف فولكر على عنوان أدريان؟ كيف عرف كيف يتسلل إلى كامب ريد ليك؟ لماذا ورَّطني كل من هاري بيتر واردن وبيلي ووكر وداني في نفس الوقت؟ شخص ما أطلق النار عليكِ، أحدهم حاول قتلي في السجن، قام شخصٌ ما بتنسيق كل هذا، وكانت كريسي تعرف من".

"و...؟" تقول.

- إنها الدكتورة كارول، لقد رأيت الدليل.

"دليل من كريزي كريسي؟" تقول چوليا هازئة.

قلت لها: "صدقيني".

تقول: "لقد جعلتِ ذلك أمرًا مستحيلًا".

أقول "إذن كوني حذرة، لا تثقي بأحدٍ، أتوسل إليكِ. اتصلي بهارلين واطلبي من رجال الأمن خاصتها اصطحابك. خذيها هي وداني وهيذر واذهبوا إلى أي مكان لمدة ثماني وأربعين ساعة، هذا كل ما أطلبه. لا تخبريني إلى أين أنتِ ذاهبة، لا تخبري د. كارول إلى أين أنتِ ذاهبة، فقط اذهبي، نحن على قيد الحياة لأننا كنَّا الأذكياء، نحن اللواتي لم نذهب إلى ذلك القبو، لم نفتح ذلك الباب، رجاء".

هناك صمتٌ طويلٌ.

- أتسمعينني يا جوليا؟

- حسنًا، لن أخبرك إذا كنت سأفعل ذلك أم لا.

أقول لها: "حسنًا، بالطبع، رائع"، ثم أفكر في باكس وسكاي.

"انتظري، قبل أن تذهبي، للدكتورة كارول ولدان، انظري لو أمكنها الذهاب معك، أعني، إنها ابناها ولكن لا أعتقد أنها يجب أن تكون بالقرب من أي شخص الآن. ليس حتى..."، الحقيقة هي أنني لا أعرف ماذا سأفعل فأردف، "ليس قبل أن أتحدث إليها".

تقول جوليا: "وداعًا يا لينيت، كرهت كتابك".

أشعر أن تلك المكالمة قد استنفدتني فأعود إلى الغرفة، وأعيد الهاتف إلى جوار رأس ستيفاني، ثم أشرب كوبًا من الشاي البشع عندما ألاحظ أنها تنظر إليَّ، تتحسس غرز جرحها.

"هل أنا بخيرٍ؟" تسأل.

عمود ضوء الشمس القادم من خلال الستائر قوي ومشرق يجعل ذرات الغبار تترافص وتتقاطع فوق بطن ستيفاني.

- قالوا إنه ليس لديك ارتجاج في المخ، اشربي بعض الماء".

تجلس معتدلة على السرير، وتمسك بالزجاجة لتتجرع محتواها ثم تقول غير مصدقة:

"لقد أنقذتِني، حميتِ ظهري، كان سيضربني حتى الموت بذلك المضرب، وفجأة تفجر الموقف وأطاح ذلك التلفزيون بها".

أقول "لا أريد أن أتحدث عن ذلك".

تقول: "لقد استحقَّت ذلك".

أقول: "أنا لست قاتلة"، مما سيجعل التعامل مع دكتورة كارول أمرًا صعبًا للغاية.

تقول: "هذه ليست غريزة جيدة للبقاء".

يغيظني بشدة أنها جعلت الأمر يبدو بتلك البساطة، لكنني لا أريد العراك. أفتح حقيبتي وأركز في اصطفاف ما تركته على المنضدة، أداة لفك البراغي ماركة ليذرمان، كشاف صغير، مدية، جهاز جي بي إس، حبل من النايلون طوله خمسة وعشرون قدمًا، أربعة أزواج من الأصفاد المرنة، 830 دولارًا نقدًا.

تقول ستيفاني: "أوف، أنا كريهة الرائحة". تنهض بعدها من السرير وتترنح إلى الحمام وتشرب من الصنبور، ثم تملأ الزجاجة مرة أخرى وتتجرعها.

"إذا كنت أنا أو هم من سيموت"، قالت وهي تمسح ذقنها، "سيكونون هم، هذا كل ما في الأمر، من الأفضل أن تعتادي ذلك".

أقول لها: "لا أريد أن أعتاد القتل".

"لم أكن أدرك أنك رقيقة القلب هكذا"، قالت وهي تتخبط في طريقها إلى السرير وتعدل الوسائد لتريح ظهرها عليها.

مسدسي عيار 22 هو آخر شيء أخرجه من حقيبتي، أضعه على المكتب وأقول: "سوف نرمي ذلك من فوق أول جسرٍ نجده".

تقول ستيفاني، وهي تنهض وتعبر الغرفة: "لا، هذا لن يحدث، لن يجعلني أحدهم لعبته مرة أخرى. ربما تكونين قد أصبحت مسالمة، ولكنني ما زلت أريد بعض القوة الرادعة".

تلتقطه وتوجهه نحو الباب، تمسكه وتميله على جنبه كما رأت في الأفلام.

أقول لها: "لا أريد أن أقتل أي شخص آخر".

"إذن اتركي الأمر لي"، تقول بحزمٍ وثقة.

إنها لا تعرف معنى القتل، لكنني سمحت لها بالحصول على السلاح. في النهاية، ستعرف عدم جدواها.

في الجزء السفلي من حقيبتي، وجدت War Ghost، الكتاب الهزلي الخاص بباكس إليوت ابن كارول. بدا لي أنه جعلني أدفع تلك المائة دولار ثمنًا له منذ شهرين، وليس من سبعة أيام، آمل أن تفعل جوليا ما طلبتُه؛ لا أريد أن أضطر إلى التعامل مع هؤلاء الأولاد عندما أذهب لمواجهة الدكتورة كارول في سايجفاير.

قلت لها: "سوف نتوجه إلى لوس أنجلوس، يمكننا إعادة ملء عبوة دوائك في الطريق".

أقلِّب الكتاب الهزلي، الرسومات ما كنت أتوقعها: رسومات هواة سيئة، بالكاد أستطيع أن أقول ما أنظر إليه.

تقول ستيفاني: "لا أعتقد أن السيارة ستصمد هذه المسافة، قد نضطر إلى استئجار واحدة، هل لديك بطاقة ائتمانية؟".

أنظر إلى صفحة في الكتاب الهزلي، ولا أستطيع الإجابة. كيان كبير الحجم فمه مفتوح على مصراعيه، مليء بالأسنان الخشنة، وعلامة X مكان عينيه، قد أنشب خالبه في أسدٍ وينتزع رأسه. خربشات حمراء في كل مكان، الفم المفتوح هو علامة على تحرش جنسي؛ وربما تمثِّل مخالب الأيدي عنفًا، كما هو الحال مع الجسد المتضخم فيما يتعلق بالطفل

الصغير الذي يلوح فوقه. قد يكون الإفراط في استخدام لونٍ واحدٍ علامة على عدم التوازن العاطفي، وكذلك علامة X للأعين والأنياب، ولكن المكتوب على صدر الوحش هو ما يذهلني: سكاي.

"إذا كانت لديكِ بطاقة ائتمان، فسنؤجر سيارة، أليس كذلك؟" تكرر ستيفاني.

جاء في التسمية التوضيحية أن سكاي-مان متهورٌ للغاية لدرجة أنه يمزق رأس القطط، قطط كبيرة، قطط صغيرة، قططنا، قطط الحي، سكاي-مان يكره القطط.

شعرت بيدي تتخدر.

"هل تسمعينني؟" تسألني، "أنتِ تقولين إنه أمرٌ ملحٌّ للغاية، لذلك سنعود إلى لوس أنجلوس، ولكن علينا استئجار سيارة".

بأصابع ترتجف أقرأ من البداية، صفحة بعد صفحة يلوح سكاي-مان الوحشي في الأفق، فوق 1 - PX، والأخير هو روبوت صغير ينكمش خوفًا من غضب سكاي-مان، أقرأ التعليق التوضيحي أن في إمكان سكاي-مان إطلاق النار من مسدسٍ بسرعة حقيقية.

"يمكنني إطلاق النار من خلال جدار مبنى عبر الشارع"، هكذا يتفاخر سكاي-مان وهو يحمل بندقية مع منظار. "أنا أقتل السيدات الأخيرات!".

سكاي-مان يحرق مبنى ما.

"خذ هذا، يا ملك الأحلام!" يصرخ سكاي-مان.

سيقتل سكاي-مان الفتيات اللئيمات، هكذا أقرأ التعليق على صورة سكاي-مان وهو يقطع رؤوس ست نساء، واحدة على كرسي متحرك.

ينابيع الدم للتلوين من أعناقهن الستة، هناك ستٌّ منهن، ست فتيات أخيرات.

"هل أنت منفصلة تمامًا عن الواقع؟" تسألني ستيفاني، "مرحبًا؟".

يقول سكاي-مان إنه عندما ينتهي -هكذا يقول التعليق- سنكون الوحيدين في العالم، وسيموت جميع الأعداء، سيقتل سكاي-مان كل الأعداء! ثم ستعود الأم إلى المنزل مرة أخرى!

سكاي-مان، سكاي إليوت.

أفكر كيف تلقَّت كريسي بريدًا إلكترونيًا من حساب الدكتورة كارول،

أتذكر الوقوف في غرفة سكاي وهو يقول لقد قمت بإعداد البريد الإلكتروني لعمل أمي.

أستطيع الآن تخيل ابن الدكتورة كارول، مكتبها الذي في منزلها، جهاز الكمبيوتر الخاص بها، أرى أنه حصل على كتابي ورأى ملاحظاتها، أرى كيف عرف كل شيء عنَّا، كيف جعلنا نقوم بعمله من أجله، الوحش القادم من داخل المنزل.

أسقط المجلة في حقيبتي، وأقول لستيفاني: "نحن في حاجة إلى الذهاب، التقطي هاتفكِ، وأغراضكِ، نحن في حاجة إلى الوصول إلى لوس أنجلوس، وستتصل بجوليا في الطريق".

نتصل بها أربع عشرة مرة قبل أن نصل إلى حدود الولاية، لكنها لا تجيب.

***

جودي هيكس: لو شعرت بالألم أخبرينا وسنتوقف.

جوليا كامبل: هل أنتم متأكدين أنكم أمسكتم به؟

دوايت رايلي: نعم، سيدتي، عندما دفعتيه من النافذة.

جوليا: نعم، مرحى لي.

جودي: هل نستطيع العودة لليلة الجريمة؟

جوليا: كنت قد وصلت لباب غرفتي حين رأيته. لم أفكر طويلاً، وهكذا فعلتها.

دوايت: هل ... أتتألمين؟

جوليا: آسفة، لقد شردت قليلاً.

دوايت: أتريدين رؤية طبيب؟

جوليا: أنا لا أتألم رغم أن ساقيّ مكسورتين. كم دواء مسكن أبتلعت؟

دوايت: انطلب لكِ الطبيب؟

جودي: لابد أن نأتي بـ...

جوليا: لماذا لا أشعر حين أقرص ساقيّ؟

دوايت: لحظة واحدة يا سيدتي...

جوليا: ارجوك، لا تتصنع أنك لا تسمعني. لماذا لا أشعر بشيء؟

***

نطير عبر البراري.

أخذنا الشيفورليه إلى ورشة إصلاح الهياكل، دفعنا للرجل آخر ثمانمائة دولارٍ مقابل مصدات جديدة وزجاج أمامي ثم استعرنا سيارته حتى ينتهي من عمله.

قال لي: "لا تسرعي فوق الخمسة والستين ميلًا في الساعة، ولا تسلكي الطريق السريع".

قلت له: "بالتأكيد".

سلكنا الطريق السريع، ولم أخفض السرعة تحت الخامسة والثمانين.

چوليا لا تجيب وكذلك داني، أما هاتف هيذر فلا يزال خارج الخدمة، لقد حظرت مارلين رقم ستيفاني لتمنعني من الاتصال بها. لقد أدرن ظهورهن لي لأنهن يعتقدن أنني طارحت وحشي الغرام، لأنهن قرأن كتابي، لأنهن يعتقدن أنني مجنونة، دليلي الوحيد مصدره كريسي وكتاب هزلي لطفل فاسد، لن يصدقنني أبدًا.

أضغط دواسة البنزين، هيكل السيارة يهتز بشكلٍ مقلقٍ بينما تثرثر ستيفاني طوال الرحلة.

"يعتقد الجميع أن الذئاب في المتنزه خطرة، لكنه ثور البيسون الذي يهاجم الناس في كل وقتٍ".

تتحدث ستيفاني كأنها في حاجة إلى تذكير نفسها بأنها على قيد الحياة، لا بد أن ما حدث في منزل كريسي هزَّها أكثر مما كنت أعتقد. تقرأ اللوحات الإعلانية بصوتٍ عالٍ، وتعبر عن رأيها في سائقي السيارات حولنا، لا أعلق، أنا في حاجة إلى الوصول إلى كاليفورنيا.

نسلك الطريق 30 للدوران حول مدينة سولت ليك، متجهين إلى ويلز على الطريق 80، لن أقترب من أمريكان فورك، حتى لو كان طريقًا أقصر.

لا نتوقف في المدن؛ المدن مزدحمة بالبشر. نسير عبر طرقٍ سريعة من أربع حاراتٍ ومحاطة باستراحات. المدن عبارة عن مجموعات من اللوحات الإعلانية تقطعها مخارج مائلة وحارات تخرج لتندمج مع الطريق السريع.

تغطي الخدوش والكدمات ذراعي ستيفاني ووجهها وأتساءل متى يمكنني نزع الغرز عن جرح رأسها، لقد توقفت عن الاتصال بوالديها لكني لا ألاحظ إلا بعد عشر ساعات.

"هل استسلمتِ؟" أسأل.

"ماذا سيضيفون؟ الشرطة تلاحقنا بالفعل، أعني، ربما سيذهب كلانا إلى السجن في النهاية، أنا لا أعلم حتى أين نحن نتجه".

تسري رعدة في جسدي، هل هن مع الدكتورة كارول الآن أم أن جوليا استمعت إليَّ وذهبت بهن إلى مكان آمن؟ هل سكاي معها؟ هل هن في سايجفاير؟ أنا بالفعل لا أعرف أين نحن ذاهبتان.

في بعض الأحيان لا تعرف سبب قيامك بشيء ما، لكنك تستمر في المضي قدمًا حتى لو لم تكن لديك خيارات.

تقول ستيفاني: "نحن في حاجة إلى التوقف".

- لا توقف.

- لا بد لي من التبول.

أقول "استخدمي كوبًا"، الجزء الخلفي مليء بفناجين القهوة الفارغة، فالكافيين الذي يسير في عروقي يكاد يجعل عينيَّ تترك مقلتيها وتطفو في الهواء.

- أنا لا أتبول في كوب، أنت تفعلين ذلك، لكن ليس أنا.

أقول: "أفعل عندما أضطر إلى ذلك، وستمسكين عجلة القيادة".

"هذا مقرف"، تقول، وهي تعقد ذراعيها وتنظر من نافذتها.

تكييف السيارة عالق والهواء الساخن يصرخ في وجهنا طيلة الطريق.

"أكاد أحترق"، هكذا تقول ولا أعارضها. قدمي تشعر بالحرارة ومبتلة بالعرق، "...أحترق حية".

حولنا الليل شديد السواد لدرجة أننا إذا قمنا بإطفاء المصابيح الأمامية سوف يختفي الكوكب بأكمله.

يمتلئ المقعد الخلفي بأكياس الأطعمة السريعة، منذ بضع مئات من الأميال، كان لدينا كيس قمامة في مكان ما، لكن الآن أصبح المقعد الخلفي للسيارة بالكامل عبارة عن كيس قمامة كبير.

أخبرها عن سكاي، أقول لها إنه هو القاتل، وإننا في حاجة إلى منعه من ارتكاب جريمة أخرى، لكنني لا أعرف كيف، لا أستطيع أن أؤذيه، لكن لن يصدقني أحد مهما قلته، نفدت مني الأفكار وبلغت خططي نهايتها، أنا الآن أسير بقوة الدفع.

تقول ستيفاني: "اتصلي به".

- لا نستطيع؛ سنفقد ميزتنا.

"أي ميزة؟" تسألني، "إذا كنتِ تعتقدين أنه سيقتل الجميع، اتصلي به".

تجاوزنا رينو؛ كل ما يجب علينا الآن هو الاتجاه مباشرة إلى الساحل ثم جنوبًا، أتصل به على هاتف ستيف وأجد صعوبة في ضغط الأرقام الصحيحة، أتردد قبل أن أضعه على أذني، ثم ألتزم بما قررته.

يرن، ثم ينتقل إلى البريد الصوتي.

أقوم بترك رسالة: "سكاي، إنني لينيت، أنا... نحن... أين... هل ستعاود الاتصال بي؟".

ثم أنهي المكالمة.

تقول ستيفاني: "كانت تلك رسالة جيدة، سأعاود الاتصال بك بالتأكيد لو كنتُ أنا من تركتِ له هذه الرسالة، لقد جعلتِ الأمر يبدو كأنك تطلبين منه الخروج في موعد غرامي".

النعاس يغالبني، وصوت المحرك الرتيب يساعده، رأسي يسقط إلى الخلف قبل أن أجذبه مرة أخرى إلى الأمام.

ستيفاني: "أنت تعرفين كيف يجب أن ينتهي كل هذا، إذا كان هو الجاني فسوف نقتله".

أقول لها: "لا بد أن هناك طريقة أخرى، ربما يمكنني التحدث إليه، يمكن أن يسلك كلٌّ منا طريقه المنفصل، لا يجب أن يموت أحدٌ، يمكننا أن نحظى بنهاية سعيدة لهذه القصة".

أعلم أنني أخرف، كل كلمة تخرج من فمي تبدو أقل إقناعًا من الكلمة السابقة، إن ستيفاني صاروخٌ موجه ثابتٌ على هدفه، وأنا طالبة فلسفة فشلت في امتحانها الشفوي.

"يجب أن نعرف أين نحن ذاهبتان"، تقول ونحن نعبر بجوار مطعم تاكو تايم ثم مزارع تيندر جرين، "هذا ما يجب أن نفعله".

كيف؟" أسألها وأدرك أنها لا يجب أن تشعر أنني تائهة، لا يجب أن تشعر أنني مذعورة، "لا يجيب أحد اتصالاتي! لا أعرف بمن أتصل!".

أنوار مدينة سكرامنتو تلوح في الأفق باللون البرتقالي في نفس الوقت الذي كنت أجري فيه المكالمة التي كنت أخشاها.

- بمن تتصلين؟

أقول لها: "جاريت".

"لماذا تفعلين ذلك بحق الجحيم؟" تسألني بينما أنظر إلى أسفل لأضغط زر الإرسال، الإطارات تنحرف عن مسارها فتصرخ ستيفاني: "اللعنة!".

أرمي الهاتف لأعيد السيارة إلى الطريق، التكييف لا يزال ينفث هواءه الساخن في وجهي حتى صار لون قميصي رماديًّا من العرق. رائحة السيارة مثل حمولة القمامة التي استقرت على المقعد الخلفي، أخرج هاتف ستيفاني من بين ساقيَّ، فتقول:

- فكري في الأمر، لماذا تتصلين به؟

- سيساعدني.

سريعة كالثعبان، تخطف هاتفها مني من دون لحظة تفكير، أتمسك به. لديها ميزة لأن الطريق مزدحمٌ في الصباح، ولا يمكنني إبعاد عيني عن الطريق.

"توقفي عن ضربي"، قالت مزمجرة قبل أن تستطرد: "أنا أقدم إليكِ معروفًا، سوف يلقي القبض عليكِ في الثانية التي تتصلين فيها من هذا الهاتف".

قلت: "جاريت في صفي".

- لقد سرقتِ سيارته، وتركتِه على جانب الطريق، والآن الشرطة تعتقد أنك هربتِ منه وقمتِ باختطافي.

أقول "سوف أجرب حظي".

تقول: "ليس وأنا معكِ في السيارة، سيعيدونني إلى المنزل، وسيحبسني والداي لأصبح لقمة سائغة. إذا كان هذا الفتى قادمًا من أجلك، فهو قادم من أجلي الآن أيضًا، بل سيأتي من أجل عائلتي".

صوتها يتأرجح، ولا يمكنها أن تنطقها، لا يمكنها أن تقول "سيقتل عائلتي" لأنه شيء بشع. آخذ نفسًا عميقًا، شخص آخر يعتمد عليَّ الآن، لا بد أن أفكر في مصلحتها هي الأخرى.

أقول لها: "حسنًا، لن أتصل به".

"ماذا تتوقعين أن يقوله لك على أي حالٍ؟" تسألني ستيفاني، "لقد جعلكِ كتابٌ مصورٌ رسمه طفلٌ صغيرٌ تقتنعين أن ابن معالجتك النفسية قاتلٌ متسلسلٌ؟ هل تعرفين كيف يبدو ذلك؟".

تحاول لافتات سان فرانسيسكو إغراءنا أن نذهب إليها، بعيدًا عن طريقنا، بعيدًا عن الكابوس.

أقول لها: "أعرف كيف أكتشف هذه الأشياء، الصور العنيفة، الأسنان المثلثة الحادة، الحوار الذي لا يمكن أن يكتبه طفلٌ، كان دقيقًا للغاية، أنتِ رأيتِ الكتاب بنفسك".

تقول: "مجرد مجموعة من رسومات طفل".

"يجب أن يكون هو"، قلت لها بالضبط كما قلت عندما اعتقدت أن القاتل هو الدكتورة كارول.

هل هناك نهاية لكل هذا؟ هل سيكون هناك دائمًا من يحوِّل الأولاد الصغار إلى وحوشٍ؟ هل سنكون دائمًا الفتيات الأخيرات؟ هل سيكون هناك دائمًا وحوشٌ تسعى إلى قتلنا؟ كيف نمنع الثعبان من أكل ذيله؟

تنظر ستيفاني من النافذة وتقول: "هناك لافتة استراحة قريبة".

قلت لها: "نحن على بُعد أربع ساعات من لوس أنجلوس".

"وماذا في ذلك؟" تصرخ بأعلى صوتها، أشعر أن كلًّا منَّا بدأ يضغط أعصاب الآخر، مع قلة النوم وخمس عشرة ساعة في السيارة من دون انقطاعٍ، أريد أن أمزق وجهي.

- لا يجيب أحدٌ على اتصالاتك، إلى أين نحن ذاهبتان؟

"لا أعلم!" إنها المرة الأولى التي أعترف فيها بذلك، والآن بعد أن خرجت مني، أؤكدها. "لا أعلم! لكن علينا أن نفعل شيئًا! علينا الذهاب إلى مكانٍ ما! لا يمكننا السماح له بقتلنا! ليس مجددًا! ليس بهذه الطريقة! ليس وأنا يمكنني إنقاذ الجميع هذه المرة".

تركل ستيفاني لوحة القيادة بكلتا قدميها، وتقول: "أريد الخروج من هذه السيارة، توقفي عند الاستراحة".

"لماذا؟" أسألها بعد أن شعرت أنني تماديت.

"لأنني يجب أن أتبوَّل، ولن أفعلها في كوبٍ سخيفٍ!" تصرخ. أجد مكانًا لأقف فيه لينزل كلانا من السيارة، ويبتعد كلٌّ منَّا عن الآخر. أقف وسط عشب أصفر مغطى بسجادة من أعقاب السجائر. كم من هذه اللفائف قام رجالٌ بإشعالها في أثناء تصيدهم ضحاياهم؟ كم منهم تخص أطفالًا هربوا من بيوتهم قبل رحلتهم الأخيرة مع السائق الخطأ؟ أتنفس العادم ورائحة الزيت حتى أهدأ مرة أخرى، ثم أعود إلى السيارة وأبدأ في تنظيف المقعد الخلفي.

ألقيت نظرة سريعة على ستيفاني، ورأيتها تتحدث على هاتفها الخلوي وهي تمشي نحوي. المقعد الخلفي مليء بالأكواب الورقية يتمخض فيها الثلج الذائب، وبطاطس مقلية متحجرة، وأغلفة سندويتشات دهنية، وصناديق كرتون مثلثة لشرائح البيتزا التي تحبها ستيفاني.

"حسنًا، أحبك أيضًا"، هكذا تقول قبل أن تنهي المكالمة، ثم تنظر إليَّ وتبتسم قائلة بصوتٍ ناعمٍ:

- دعيني أساعدك في التخلص من هذه الأكواب.

بالعمل معًا نكشف المقعد الخلفي والأرضية التي كانت ملطخة ورائحتها كريهة من الشحوم الباردة، لكنها على الأقل لم تعُد مكبَّ نفايات.

تقول: "لقد تحدثت إلى أهلي، أخبرتهم أنني سأعود إلى المنزل، وأنني سأراهم قريبًا، كانا أكثر هدوءًا، أعتقد".

"هل تريدين العودة إلى بيتِك؟" أسألها.

تهز رأسها نفيًا.

"متى سأعود مرة أخرى؟" تفاجئني بالسؤال، "كم يستغرق الوقت لأصبح طبيعية؟".

أفكر في جاريت ونساء مجموعتنا، وكيف أنهن جميعًا عاملنني كأنني مجنونة، ربما كُنَّ على حقٍّ.

كيف انتهى بي الأمر محبوسة في هذه الحياة؟ أين أخطأت؟ قام أفراد عائلة ووكر بقطع تذكرة رحلتي هذه وأنا ابنة السادسة عشرة، ومنذ ذلك الحين وكل شيء يقود إلى هنا. وحيدة، مكسورة، عديمة الفائدة في كل شيء عدا الخوف والبقاء على قيد الحياة.

أجيبها: "لا أعرف، ولكن إذا شعرت أنني صرت طبيعية، فسأعلمك بذلك".

"أوه"، هكذا كان كل تعليقها لتبدو فجأة كطفلة صغيرة، ترتعش بردًا، وضعفًا، أقف، آخذ نفسًا عميقًا وأعانقها عناقًا بين تمثالين من الحجارة. رائحة شعرها قذرة، لا يوجد لين أو عطاء عند أيٍّ منّا، ولا ننتظره، أنهيت العناق شاعرة أنني فعلت الشيء الصحيح، ربما هذه هي الحياة، المسؤوليات والالتزامات، من نربط أنفسنا بهم، ربما هذا ما كان ينقصني.

"سنكون في لوس أنجلوس قريبًا"، قالت ستيفاني قبل أن تضيف: "ما هي الخطة؟".

أنا مجنونة وغبية، لكن هذه الفتاة تعتمد عليَّ، إنها مجرد طفلة ويجب أن أعيدها إلى أهلها، يجب أن أذهب وحدي، وأواصل القيادة، ربما إلى كندا، ولا أعود أبدًا، وأفرق المجموعة، لكني لا أستطيع. حتى لو كُنَّ يكرهنني، لا يمكنني التخلي عن واجبي، هذا الفيلم يجب أن ينتهي، لا يمكن أن تستمر هكذا إلى الأبد. لن أدع سكاي يموت، لن يستمر هذا الكابوس في سحق المزيد من الناس، لن أترك الآباء المشوهين يواصلون صنع المزيد من الوحوش، لن أسمح لأبنائهم بالاستمرار في صنع فتيات أخيرات. إنها ليست طقوسًا عميقة المعنى وقديمة الجذور، بل مضيعة لأرواح ثمينة.

أقول لها: "لا أعرف، لا أعرف أين الجميع، لا أعرف ما إذا كانوا مع جوليا أم الدكتورة كارول أم في ساجفاير أم مع سكاي، أنا لا أعرف أي شيء يا ستيفاني".

"لماذا لا نذهب إلى داني؟" تقول.

- داني؟

تجيبني: "أينما كان الجميع، ستعرف مكانهم، وبغض النظر عن ذلك المكان، داني ستكون في مزرعتها، بكل تأكيد. قلتِ إنها وُلِدت عنيدة وذات ميول انتحارية، أليس كذلك؟ نجدها ثم نتحدث معها، نعرف منها مكان الجميع، ربما يمكننا أن نقنعها بالحضور معنا على الأقل للتحقق من أمر سكاي، وسوف يستمع الآخرون؛ الكل يحترم داني".

إنها تتحدث كما لو كانت تعرفنا، ثم أدركتُ أنها بالفعل تعرفنا، نحن جميعًا فتيات أخيرات الآن.

"نعم" أقول قبل أن أعترف، "لكني لست متأكدة من مكان مزرعتها".

تقول: "سأجدها، إنها تدير مكانًا لإنقاذ الخيول الصغيرة التي تتعرض للإيذاء؟ يمكنني البحث عنه على هاتفي".

"هل تعرفين الاسم؟" أسألها.

أطرقت للحظة تفقدت فيها أصابع حذائها الرياضي قبل أن تقول: "لقد كنتُ من المعجبين نوعًا ما، بداني، وليس أنتِ، آسفة".

بالتأكيد، هذا منطقي، داني دائمًا تعرف ما يجب أن يتم، سنجعلها في صفنا، وسيكون كل شيء على ما يرام بعدها.

أقول "أنت توجهيننا وأنا سأقود".

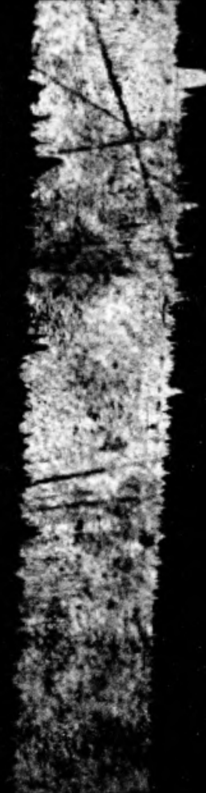
تقول مازحة: "كما تأمرين".

حان الوقت لإنهاء هذا، بعد ستيفاني، لن يكون هناك المزيد من الفتيات الأخيرات.

****

THE DREAM KING CONSPIRACY





مؤامرة ملك الأحلام بقلم بليز سوليفان، مجلة فانجوريا، مارس 2003

لم يكن أحد قد سمع عن هيذر ديلوكا إلا عندما جعلها المنتج آفي بولوس نواة فيلم "الأحلام المميتة" ذو الميزانية الضخمة. وقد أضافت مؤثرات ماد چورج الصارخ و ريك بيكر للفيلم رونقاً هوليودياً مما جعله يدر أموالاً طائلة. لكنه كان بالنسبة لمحبي هذه النوعية من الأفلام لا طعم له ولا مشاعر حقيقية، خصوصاً ذلك الرونق وتلك الهالة الجوقية السطحية.

ومع البحث والتدقيق الذي قام به المراسلون حول قصة الفيلم، وجدوه حالة بائسة لمتحرش بالأطفال، مع بضع حالات انتحار لا تمت للموضوع بصلة وثلاثة حالات وفاة لا يربطهم سوياً سوى موقعهم الجغرافي.

وماذا عن هيذر ديلوكا؟

بدت أقل من كونها فتاة أخيرة حقيقية، مجرد شخص نجا من هجوم ومن الإدانة بعدها بعذر الدفاع عن النفس. الأمر برمته بدا كدعاية مختلقة، مما جعل محبي هذا النوع من الدراما يشعرون بالخيانة.

العلامة الأولى للمتاعب هي اللافتة، التي لا وجود لها.

تقع مزرعة داني بالقرب من بحيرة إليزابيث، على بُعد عشرين ميلًا من لوس أنجلوس في تلك التلال الصغيرة المسطحة التي تبدو كأنها في حاجة دائمة إلى حمام. تلال ووديان ضيقة ذات أشجار مغطاة بغبارٍ يسد ثناياها، عالم بني مغطى بطبقة أوساخ.

يستغرق الأمر منّا ساعة للعثور على الطريق الصحيح، ونصف الساعة للعثور على المسار الترابي الصغير الذي يؤدي إلى مزرعة داني. في الريف لا يفكر أحدٌ في وضع لافتاتٍ للشوارع أو أرقام للمنازل؛ إذا كان عليك أن تسأل، فأنت لا تنتمي إلى المكان، أنا أكره الريف.

كنت أقود بسرعة خمسة عشر ميلًا في الساعة عندما رأينا البوابة.

"هل نفتحها بكل بساطة؟" تسألني ستيفاني بعد أن تركت عيناها الخريطة المنيرة على هاتفها.

أجيبها مشيرة إلى خندقٍ على كلا الجانبين: "لا أستطيع أن أقود حولها".

يهدأ المحرك، وأتفحص البوابة. السلسلة ملفوفة بارتخاء حول قضيب البوابة خمس أو ست مرات، هذا هو المكان الذي تخرجين فيه من سيارتكِ ويخرج الوحش من الحفرة، تنطلق يده من الرمال لتمسك بكاحلكِ.

بعصبية تنزل ستيفاني وتقفل بابها. أراقب الخندق، الرمال، أتفقد المرايا. تصل ستيفاني إلى البوابة ثم تتوقف وتعود إلى السيارة. تشير إلى الأرض فأهزُّ لها كتفي عبر الزجاج الأمامي. تنحني وترفع أحد طرفي لوح غير مطلي قديم قام شخص ما بنقش حروف فيه بالطلاء الأبيض:

ثم رأيت العمود الذي كانت اللافتة مثبتة به، هناك شظايا خشبٍ تتدلى من مسامير كما لو كان هناك من نزعه عنوة، داني لن تفعل ذلك أبدًا، داني التي تتخلص من أكواب قهوة هيذر البلاستيكية، داني التي تستخدم فرشاة الوبر على قمصانها، داني التي تلتقط أوراق الشجر من موقف السيارات وتعيدها إلى التربة.

تلقي ستيفاني اللوحة، وتفك السلسلة ثم تدفع البوابة لتفتحها أمامي.

"اركبي"، أناديها من نافذتي، "نحن في حاجة إلى الوصول إلى منزلها".

لا يمكنني قيادة السيارة بأسرع من خمسة عشر ميلًا في الساعة من دون الشعور بأنها على وشك الانهيار، لذلك زحفنا على الطريق ببطء شديد، وتركنا البوابة مفتوحة خلفنا، قبل أن نرى الدخان.

"هل يحرقون أوراق الشجر؟" تسألني ستيفاني.

يرتفع عمودٌ من الدخان الأسود من خلال أشجار الأوكالبتوس أمامنا. تزحف السيارة ببطء ويتصبَّب العرق مني، يتحسَّس بأصابعه الشبيهة بالأهداب على بشرتي المتعرجة.

نقود السيارة عبر الأشجار حتى نصل إلى منزل مزرعة صغيرٍ وأنيقٍ، البيت مبني على مساحة محاطة بسياجٍ حديدي منفصل مع منطقة انتظار دائرية كبيرة أمامه. هناك مضخة مياه في المنتصف تتمايل كثبان الزهور البرية حولها والتربة تحتها سوداء داكنة، رطبة وجديدة. هذه الزهور هي التي أرادت ميشيل رؤيتها قبل موتها والتي تتباين في وضوحٍ أمام كل هذا الغبار البني كأنها ألعابٌ نارية في ليلٍ حالكٍ.

المنزل قائم في موضع عقرب الساعة الحادية عشرة في المساحة الدائرية. إلى اليمين، عند موضع عقرب الساعة الثالثة تقريبًا، يوجد ممرٌّ يؤدي إلى الإسطبل، تربض شاحنة داني في الممر بينما الباب الأمامي لمنزل المزرعة مفتوح.

لا يمكن لأي منَّا أن يرفع عينيه عن النار المشتعلة وسط موقف السيارات في كراسي غرفة الطعام الخشبية المتراكمة بينما يلعق اللهب البرتقالي الضعيف أرجلهم. وهناك كومة من الكتب المتفحمة يخرج الدخان من تحتها، وبعض المجلات المحترقة تطفو فوق التراب.

لقد جئنا بعد فوات الأوان.

"هل ترين سيارة سكاي؟" أسأل ستيفاني.

"لا أعرف كيف تبدو سيارة سكاي"، تجيبني وهي تُخرج المسدس وتتحقق من ذخيرته مثل المحترفين، كان يجب أن أعيد تسليح نفسي.

أقول لها: "أشك في أنه لا يزال هنا، لكن لنتحقق من هذا".

نترجل إلى النسيم الحار، وأدور لأفتح الصندوق. هناك مفتاح إنجليزي من الألومنيوم المضغوط في صندوقٍ من الورق المقوى، أفضل من لا شيء، تركته يتدلى في يدي اليمنى، واقتربنا من المنزل، بشكلٍ غريزي من جانبين متقابلين.

هناك حركة في الداخل، فأثبت مكاني وأتوتر. تنتبه ستيفاني للباب الأمامي وتسدد مسدسها بكلتا يديها، فتاة نبيهة. يخرج شخصٌ وهو يسحب سجادة ضخمة ملفوفة خلفه مثل ذيل الديناصور، أتعرَّف على الأكتاف المربعة، والجسد الصلب عديم المنحنيات، تتحقق داني من اتجاهها نحو النار وترانا، تمسح العرق عن وجهها، ثم تخفض رأسها وتستمر في اتجاه ألسنة اللهب.

"داني؟" أناديها.

تلقي السجادة الملفوفة على الأرض بجانب النار وتلتقط أنفاسها. حتى من على بُعد ثلاثين قدمًا، يمكنني أن أشعر بحرارة اللهب تلفح وجهي.

"داني؟" أحاول مرة أخرى.

تنحني وتلتقط السجادة من منتصفها، ثم تسحبها وتدفعها إلى الأمام فتسقط كومة الكراسي المحترقة أمامي، مما أدى إلى تطاير خيوط من الشرر الشاحب في ضوء الشمس فتعض إحداها ظهر يدي.

- داني، ماذا حدث؟

توقفت وعادت إلى منزلها لكن يدها تتحرك لا إراديًا إلى جراب مسدس جلوك على فخذها عندما ترى ستيفاني قادمة من الاتجاه الآخر.

- هذه ستيفاني، من مخيم ريد ليك، التي التقت بكريستوف فولكر.

تتراجع داني حتى تتمكن من إبقائنا في مجال رؤيتها، وتقول: "ماذا تريدان؟".

أقول: "رَكَلَ أحدهم لافتتك".

تقول: "كل شيء يجب أن ينتهي".

ثم اندفعت، وتترك مسدسها، متجهة إلى بابها الأمامي. أعطتني ستيفاني نظرة تساؤل، وخفضت سلاحها هي الأخرى، لكنني أتجاهلها. في منتصف المسافة إلى بابها الأمامي، عكست داني مسارها واندفعت نحوي، ضامّة قبضتيها على جانبيها.

"ما الأ..؟" هذا هو كل ما استطعت نطقه قبل أن تلكمني في معدتي.

أنحني وأستند بيدي إلى ركبتيَّ، لأفرغ ما في جوفي على حذائي ويسقط المفتاح الإنجليزي مقعقعًا في الغبار. تقف داني أمامي، لا تتحرك، بينما أنا أسعل عصارة معدتي الصفراء، ثم أُجبر نفسي أن أستقيم فتصفع وجهي. كادت رأسي تترك رقبتي ثم لكمتني مرة أخرى في بطني لأقع على ركبتي في ما خرج من جوفي.

"لا يا ستيفاني!" أصيح، ملوحة لها لمنعها من الهجوم على داني، لكنه لا يثنيها، تشعر أنني في حمايتها.

"أنتِ!"، صرخت ستيفاني. "ابعدي يديك عنها".

لا تعيرها داني انتباهًا، فقط تدفع ستيفاني في صدرها إلى الخلف. حلقت الأخيرة بذراعيها في الهواء مثل طاحونة هوائية، فيطير مسدسها بعيدًا، قبل أن تقع بعنفٍ على مؤخرتها.

أحاول أن أقف على قدمي لكن داني تركلني وتغرس حذاءها في أعماق معدتي، فأبقى على وضعي.

قالت وهي تقف فوقي: "لقد كتبتِ ذلك الكتاب، ذلك الكتاب اللعين، ما الذي كان يدور في رأسك لتكتبي مثل هذه القمامة؟ هل تعتقدين أنني أستغل ميشيل؟ صديقتي الوحيدة الحقيقية منذ طفولتي، وكل ما تبقى لي في الدنيا؟ رفيقة الإدمان والتعافي، أستخدمها لعزل نفسي عن المجموعة؟ هل تعتقدين ذلك؟".

ثم ركلتني مرة أخرى ولا أقاومها، بل أريح خدي المتورم في الأوساخ. أنا أستحق كل هذا. تمسك بياقة قميصي لتسحبني كي أقف وأسمعه يتمزق. أستطيع أن أرى عينيها الرماديتين وبؤبؤيها الأصغر من أطراف الدبابيس.

"هل تعتقدين أن ندمي عل قتل أخي قد أكلني حية؟" تصفعني ثانية، "جعلني مختلة سياسيًّا؟" صفعتني مرة أخرى، "هل تعتقدين أنني أبقي ميشيل في ظلي؟".

ثم صفعة أخرى، أستطيع تذوق الدم في فمي.

"أنا آسفة"، أقولها من خلال شفتي المتورمة، والدماء تتساقط على ذقني. "لم أقصد أبدًا أن يرى أحدٌ ما كتبته، لقد فعلت كل ما في وسعي لإعادة ميشيل إلى هنا لتموت في المكان الذي أحبَّته".

"لا تنطقي اسمها"، تزمجر وتدفع وجهها المكرمش في وجهي. "ليس من حقك أن تنطقي اسمها".

ثم صفعتني مرة أخرى، هناك حركة خلفها، ستيفاني ممسكة بمسدسها بذراعٍ واحدة ممدودة. تتركني داني لأسقط أرضًا مثل كيس قمامة، وتمسك بمعصم ستيفاني، تلويه، ثم تركل قدميها من تحتها، ثم قامت بسحب مسدسها الجلوك ووجهته نحو مؤخرة عنق ستيفاني، يجب أن ينتهي هذا، الآن. من الأرض أجعل داني ترى يدي وقلت لها:

"كانت مذكراتي، كانت لي أنا، سرقها من جهاز الكمبيوتر الخاص بي، نفس الرجل الذي كان يتلاعب بنا جميعًا، جعل فولكر يهاجم ستيفاني ويقتل أدريان. أحرق منزل هيذر وأطلق النار على جوليا. دفع هاري بيتر واردن ليخبر الشرطة أنه من قتل نيك. إنه الشخص الذي حاول أن يجعلك تعتقدين أنكِ قتلتِ أخاكِ من دون سببٍ يا داني، لقد قمت بزيارة كريسي وقالت لي كل ذلك وأنه كان يتواصل مع ووكر باستخدام كودٍ ما، إنه يحاول تشويه سمعتنا يا داني، وبعد ذلك سيصطادنا واحدة تلو الأخرى".

تميل داني رأسها ناحية كتفها كأنها تفكر في نظريتي. تبدأ ستيفاني في رفع نفسها من على الأرض، وتستعد للهجوم عليها مرة أخرى. تتبادلان نظرات التحدي وتحكم داني قبضتها على مسدسها.

"ومن يهتم؟" تقول داني ثم تترك عينيها وجه ستيفاني، وتدور على أحد كعبيها، تتجه إلى منزلها وتضع مسدسها في حامله، تاركة إيانا وسط التراب. 

تقول ستيفاني: "كنت أعتقد أنكِ مريضة عقليًا، لكن هذه حقًا مجنونة".

بدأ دخان دهني ينبعث من السجادة وهي تحترق فوق الكومة، دفقات سوداء دهنية من السخام لها رائحة المواد الكيميائية.

"جنازة الفايكنغ"، أقول وأنا جالسة.

بصقت دمًا. بصرف النظر عن الكدمات، لا أعتقد أنها تسببت في أي ضررٍ دائمٍ.

تذمَّرت ستيفاني: "إنها في حاجة إلى أن تتماسك، هذا أكثر جدية مما حدث لصديقتها".

- ليس بالنسبة إليها.

نرى داني تخرج من الباب الأمامي لمنزلها، تسحب مرتبة ضخمة ومرنة. تعلق منها في المدخل فتضربها وتركلها لتحررها، ثم تسحبها إلينا عبر الغبار. عندما تصل إلى النيران تتركها تسقط فوقها. يتطاير الرماد في سحابة كبيرة ويخنق اللهب على الفور ويتصاعد الدخان البارد إلى السماء الزرقاء.

"اللعنة"، قالت وهي تمسح بندانة مربوطة على جبينها المتسخ.

"هلا تحدثني معي يا داني؟" أسأل وأقترب منها وأنا أعاني في فرد قامتي. "لا أدري ما إذا كنتِ تعرفين ما يحدث، لكن الأمور سيئة حقًا، يجب أن نعرف إلى أين أخذت جوليا الجميع".

تنظر إليَّ كأنها لا تهتم من أكون، وتقول: "لقد راح كوب الماء الخاص بها، ذلك الذي كان في غرفتها، بجانب سريرها، لقد شربتْ نصفه وفي كل يوم منذ ذهابها، كنت أدخل غرفتها لأجد أن منسوب المياه انخفض عن اليوم السابق، كنت أعرف ما الذي سيحدث في النهاية، ولكن طالما بقي القليل في الكوب، كان كأن شيئًا لم يحدث، ثم نظرت بالأمس وكان الكوب جافًا، كان كوبها، والآن هو مجرد كوبٍ فارغٍ، لم يبقَ شيء يا لين، ذهب كل شيء".

وجهها يتراخى وتخمد لمعة الحياة في عينيها، لم أشعر أبدًا بمشاعر صداقة حقيقية تجاه أي شخص كما تشعر هي.

تقول: "لا أريد أن أكون هنا بعد الآن من دونها، لا يمكنني أن أكون وحدي مرة أخرى، لا أستطيع التعايش من دون رفيقة كفاحي، فهي كانت سندي في الحياة وليس أنا كما كنتن تعتقدن".

تستدير وتتجه إلى الحظيرة، تاركة إيانا عالقين.

"ألا يمكنك أن تجعليها تستمع إليكِ؟" تسألني ستيفاني.

تخرج داني من الحظيرة ومعها صفيحة تتخبط على فخذها. وقفت على حافة النار المنطفئة، تفتح الغطاء، وتروي المرتبة بمحتوى الصفيحة وتهزها لتُسقط القطرات القليلة الأخيرة عليها ثم ترمي العبوة. تُخرج علبة من أعواد الثقاب من جيب صدرها، وتشعل كل ما بها ثم تُلقي بها على المرتبة.

فوووومب!

ترتفع كرة نارية في الهواء، وتملأ رائحة البنزين الساخن أنفي التي أشعر أن شعيراتها تحترق. نتقهقر أنا وستيفاني بضع خطوات، لكن داني لا تتحرك، يلمع وجهها باللون الأحمر من شدة اللهب.

أشرت إلى ستيفاني أن تبقى حيث تقف، وأدور حول النيران إلى داني التي كانت تتأمل الدمار الذي صنعته.

أقول لها: "لم أرغب أبدًا في إيذائك، لا أريد أن أؤذي أحدًا".

تقول: "عندما عثروا على جثة ميشيل، كان هناك خنزير عجوز يحاول تقبيلها".

"ربما كان ذلك كارل دي وولف جونيور، لم يكن يعلم أنها فارقت الحياة".

"هه؟"، قالت في شرودٍ، وكان بعدها صمتٌ طويلٌ. "على الأقل كانت في الهواء الطلق، لم تكن تريد أن تموت في غرفة ما، لكن عندما كانت في أمس الحاجة إليَّ، لم أكن معها".

أقول "بسبب سكاي، ابن دكتورة كارول، لقد خطط لكل هذا، إنه مجنون، إنه يتلاعب بنا جميعًا".

تستكمل داني: "أردتُ فقط أن أكون هناك من أجل ميشيل، هذا كل ما أردته، كان العهد بيننا أن نساند بعضنا كلما نقع، وقد خذلتها".

إنها لا تسمعني. نقف هناك، ونراقب أثاثها يحترق، تحدق ستيفاني إلينا عبر وميض الحرارة من الجانب الآخر من النار.

"إن ابن كارول خطير، عليكِ أن تصدقيني، وهو الآن مع چوليا ومارلين وهيذر، ولا أعرف أين هم، علينا أن نجدهم".

هكذا كررتُ فتقول داني: "إنهم في رد ليك".

بالتأكيد.

لقد اشترت أدريان مخيم ريد لايك لأنها كانت تعرف مشكلة الناجين، ينفصلون عن البشر، ينسحبون، يعتمدون على الروتين بدلًا من الشفاء الفعلي للإيحاء بأنهم يتحسَّنون، ثم يصيبهم الخدر.

أستطيع أن أرى المفارقة.

نحن نساء مررن بالنار، نساء يزورهن الموت كثيرًا. أحيانًا نختار طرقًا مباشرة: الانتحار أو الجرعات الزائدة من المخدرات، لكن في أحيان أخرى نكون أكثر لؤمًا، نتزوج من شخصٍ يحب استخدام قبضتيه، أو نشرب كثيرًا ونجلس خلف عجلة القيادة حتى ينفد حظنا في لحظةٍ ما.

لقد رأت أدريان المشكلة ولذلك خلقت حلًّا، أعادت فتح كامب ريد ليك بما كسبته من إيرادات فيلمها، وحاولت إنقاذنا جميعًا. يقسِّم الإخصائيون النفسيون المعسكر فرقًا، ويظل أفراد تلك الفرق معًا طوال فترة إقامتهم، يجتمعون في جلسات العلاج، ويتحمَّلون المسؤولية بعضهم تجاه بعض. لا ينهي أحدٌ سباقًا أو يفوز بلعبة حتى يعبر الفريق بأكمله خط النهاية. رسميًّا اسمهم فرقٌ وزملاء، لكنهم يطلقون على مجموعتهم أسرة وعلى أنفسهن أخوات.

تُظهر دراسة أدريان أن أكثر من ستين بالمائة من هذه العائلات تستمر، وأن الأخوات يبقين على اتصال بعضهن مع بعض لسنوات، وبعضهن ينتقلن ليكُنَّ أقرب إلى بعضٍ، مثل حال ميشيل وداني ولا يرحلن، يبقين لينقذ بعضهن بعضًا. تركت العائلات الأولى ريد ليك

في العام 1991، مما يجعل أعمارهن اليوم نحو ستة وثلاثين عامًا، اثنتان منهم متزوجتان بينما يعمل ستٌّ منهم في ريد ليك، الكل نجا، لم يمت أي منهن، لقد أنقذت أدريان حياتهن.

"تعاليْ معي؟" أقول لداني، "رجاء؟".

أعرف ماذا سيحدث إذا اصطحبت ستيفاني وغادرت، عندما تنفد داني من الأشياء لتحترق، ستركع بجانب النيران، وتواجه التلال، ثم تستل مسدسها لتلحق برفيقة كفاحها، لا بد لي من إنقاذها.

لكنها لا تحول عينيها عن النار.

أقول "مارلين وهيذر وجوليا في خطرٍ، لقد حافظتِ على سلامتنا دائمًا، نحن نحتاج إليكِ الآن، للمرة الأخيرة".

عندما تتكلم، يكون صوتُها ضعيفًا جدًّا، "لقد انتهيت".

ظهرها محنيٌّ، كتفاها مرتخيتان، وجفونها ثقيلة، بينما تقوَّس فمها كأنها على وشك البكاء فألحُّ عليها: "أرجوكِ يا داني".

إذا رحلنا، فستضع المسدس في فمها وتطلق النار، أينما ذهبت تموت فتيات أخيرات، لقد سئمت من هذا.

تهز داني رأسها، فأقول لها: "لا أستطيع أن أفعل هذا بمفردي، لقد كنتُ وحدي طوال حياتي، وها هي النتيجة. أحتاج إليكِ يا داني، فرد واحد لا يساوي شيئًا لكنَّ اثنين يكمل أحدهما الآخر، أليس هذا ما علمتِني إياه؟".

بعد دقيقة توقفت عن التأرجح، ونظرت إليَّ قائلة: "دعيني أعتني بشيء ما".

تمشي نحو حظيرتها فأعود إلى ستيفاني لأقول لها: "إنها قادمة، عليها فقط أن تغلق منزلها".

تقول ستيفاني "رائعٌ، امم، لكن، ماذا تفعل؟".

ألتفت لأرى داني تتجه إلى الحظيرة، تستل مسدسها وتختفي في الظلال. بعد بضع دقائق، خرجت ستة خيول، بلا فرسان أو سروج، تلمع ظهورها في شمس الظهيرة، ثم يشمون النار فيجفلون، ويدورون في دائرة بعصبية، محاولين التراجع إلى الداخل، تسد داني عليهم الطريق، ثم تطلق الرصاص في التراب بين حوافرهم.

أشعر بمعدتي تتقلص مع كل طلقة نارية وهي تفرغ ذخيرتها في الأرض والهواء، لترسل الخيول بعيدًا، بأعين واسعة من الرعب، وأفواه مليئة برغوة الهلع.

تقول داني: "لديهم فرصة أفضل بمفردهم" هنا أدرك أنها لا تخطط للعودة.

نفد وقود السيارة المستعارة لذلك تكدَّسنا في شاحنة داني ذات الأربعة مقاعد. آخذ بندقية من ترسانة داني بينما اتخذت ستيفاني مجلسها في الخلف.

"هل تعرفين كيف نصل إلى ريد ليك؟" أسأل داني، فتقول: "منذ عام 1991".

زأر المحرك فحركت عصا السرعات لنبدأ في الابتعاد عن المزرعة. استدرت لأطمئن على ستيفاني لكني وجدتها قلقة. خلفها أرى سحابة غبار من الخيول تختفي في التلال بينما يتصاعد دخان النيران إلى السماء الزرقاء الصافية.



ب. ديكر: أدرك أنك ستتكلمين حين تكونين مستعدة لهذا، لكن أبويك قد فقدا أحد أبنائهم، ولسوف يسعدهم سماع صوتك.

داني شابهان: لا، لن يسعدهم.

ديكر: لماذا تقولين هذا؟

داني: لأنني مسخ.

ديكر: أنا أرى أمامي سيدة صغيرة شجاعة.

داني: لقد قتلت شقيقي.

ديكر: لتنقذي حياة طفلين.

داني: من هذه اللحظة، ستتغير نظرة الجميع إليّ.

لم تنطق داني إلا ببضع كلمات طيلة الرحلة التي استغرقت ثلاث ساعات، لكنني تمكَّنت من استخلاص القصة منها. علمتُ منها أن جوليا اتصلت بها بالأمس، وأخبرتها أنها تتجه إلى ريد ليك مع هيذر في إحدى سيارات مارلين المصفحة الكبيرة، وأنهن يمكنهن اصطحابها أو مقابلتها هناك، قالت لهن ألا ينتظرنها.

- ماذا عن سكاي؟

"لقد تشاجر مع والدته"، هكذا أجابتني وهي تنتقل إلى حارة أخرى لتتفادى سيارة بطيئة الحركة. "أخبرتها كارول أن لديهم مكانًا آمنًا لكن لن تخبرها بمكانه، أخبرتها أن أطفالها يمكن أن يأتوا لكنها لن تستطيع. اختلقت حجة أنه يجب عليهم الانتشار، أخبرتها أن أطفالها لن يذهبوا إلى أي مكان من دونها، ومع ذلك، لم تستطع منع أكبر أبنائها من المغادرة، بقي الصغير في البيت".

أقول: "هذا خبرٌ جيدٌ".

تمر سيارات أخرى بنا. لو كنت أنا في مقعد السائق، فسأقف فوق دواسة البنزين حتى تخترق الأرضية، سنطير فوق الأسفلت، وسنصرخ بأعلى صوتنا لإنقاذ أصحابنا، لكن داني تقود السيارة كأنها في طريقها لالتقاط بعض التبن. كتبتُ أرقام جوليا وهيذر ومارلين وأعطيتهم إلى ستيفاني، ظلت تتصل بهم منذ مغادرتنا المزرعة.

"هل حالفك الحظ؟" أسألها وأنا أنظر إليها في الخلف، كانت منكبة على هاتفها الخلوي، تكتب رسائل نصية، وهي تقول: "يحوِّلني إلى البريد الصوتي. لقد حاولت إرسال رسائل نصية، ولكن لا أرى أن أيًّا قد قُرئ. طلبت تقريرًا لوصول الرسالة ولكن لا يبدو أنها تصل إليهن في الأساس"

- هل يوجد خط أرضي في المخيم؟

تجيبني ستيفاني: "بحثت في جوجل واتصلت بالرقم لكني تلقيت بريدًا صوتيًّا".

أريد حقًّا من داني أن تُسرع قليلًا، ربما يكون سكاي قد بدأ بالفعل في ارتكاب مذبحته، على الرغم من أننا لا نزال بالنهار، معظم الوحوش تحب انتظار الظلام.

أقول "نحن في حاجة إلى خطة، حتى لا نتساقط فوق بعضنا كالبُله، هل تريدين التخطيط معًا؟".

تقول داني: "لا".

وهذا هو كل ما توصلنا إليه بخصوص الخطة، والآن أريد أن أدوس قدمها الراقدة في سلام على دواسة الوقود، ولكن عليَّ أن أكون على نفس موجة داني إذا كنت أريد أن ينجح الأمر، لذلك أنتظر.

بعد عشرين ميلًا سألتني السؤال الأهم:

- ماذا تقترحين أن نفعل بصبي الدكتورة كارول؟

- لا أعرف، لا أريد أن أؤذيه، لا أريد أن يتأذى أحدٌ، لقد سئمت من الموت.

تقول داني: "قبل شروق الشمس غدًا، سيموت أحدٌ، أنا متأكدة من ذلك".

تتكلم بطريقة رعاة البقر لدرجة أنني كدت أضحك، لكن لا أفعل لأنني في داخلي أعرف أنها محقة، هي دومًا كذلك.

علقنا في حركة مرور مكدسة خارج بيكرسفيلد، وبحلول الوقت الذي صرنا في طريقنا إلى الجبال كنَّا قد أصبحنا بعد الظهر. هدأ إيقاعنا

وتخدرت أحاسيسنا بسبب القيادة الطويلة، وعندما سلكنا الطرق الجانبية، كنت أشعر بالأدرينالين ينسحب من عروقي، كنت أشعر بالإنهاك.

تقول ستيفاني "هناك، هل هذا هو المخيم؟".

أمامنا نرى لافتة معسكر ريد ليك، فتبطئ داني السرعة، مكان صغير وسري على جانب الطريق، كما تحبها أدريان، فقط طلاء أصفر على ألواح حمراء داكنة تقول كامب ريد ليك. تدير داني عجلة القيادة فتترك الشاحنة الطريق الترابي، وتنزلق إلى الطريق الأسفلتي الصاعد أعلى التل حيث تقع ريد ليك. المقاطعة ليست مسؤولة عن هذا الطريق، بل مخيم ريد ليك، مرصوف بالأسفلت الأسود الذي لا تشوبه شائبة لدرجة اللمعان.

في منتصف الطريق إلى أعلى الجبل صارت الظلال طويلة بسبب نزول الشمس، وحين يلوح المخيم أمامنا تأخذ داني منعطفًا.

"ماذا تفعلين؟" تسأل ستيفاني.

تقول داني: "يجب أن أتبول، من الأفضل أن نفعل قبل أن نصل إلى هناك، يجب علينا أيضًا إخراج الأسلحة من الخلف".

ثم تقف في موقف سيارات يطل على الوادي، توجد طاولة نزهة بها علبة دايت كولا فارغة عليها، ولوحة منظر خلاب: طريق مرسوم بطبشور أبيض يتجه ليختفي بين الشجيرات.

تقول داني: "انتظرن هنا".

نزلت من السيارة، انعطفت لتأخذ علبة الكولا وترميها بعيدًا، ثم دخلت في صفٍّ من الشجيرات على بُعد نحو ثلاثين قدمًا، لاحظت أن ستيفاني تعبث في حقيبتها في المقعد الخلفي.

"نحن في حاجة حقًّا إلى خطة"، أقولها، وأنا أبدأ في الالتفاف، تضربني مطرقة ثقيلة في مؤخرة رأسي فيصبح كل شيء أسود.

عندما يعود بصري، كان رأسي متدليًا خارج النافذة، وضوء الشمس يطعن عيني ويجعلني أشعر أن جمجمتي بحجم كرة الشاطئ. أريد أن أرفع رأسي لكي أنظر إلى داخل الشاحنة، لكني أشعر بالألم كأن هناك شظايا زجاج مكسور في رقبتي. تزحف ستيفاني إلى مقعد السائق، وتستقر خلف عجلة القيادة. أرى مسدسي في إحدى يديها ولا أستطيع شم أي شيء، وجهي لا يتحرك، جسدي بالكامل لا يعمل.

نظرت ستيفاني إليَّ وأمسكت كتفي، أحاول أن أرفع ذراعي لكني أشعر بوخز دبابيس فيه كله. تفتح ستيفاني الباب وتلقي بي على الصخور، أكتشف أني ما زلت عالقة في حزام المقعد قبل أن أتحرر وأتمدد على الأرض.

بطرف عيني أرى داني تخرج من بين الشجيرات، وهي تحكم سروالها الجينز، أريد أن أصرخ لأحذِّرها لكني لا أستطيع. ينغلق باب السيارة ورائي، ويدور المحرك. تمر الشاحنة فوق قدمي لكنه لا شيء مقارنة بألم رأسي. تهدر الإطارات فوق الحصى قبل أن أسمع اصطدامًا وزجاجًا ينكسر حين ترتطم بداني، طارت الأخيرة إلى الخلف واصطدمت بشجرة، في منتصف الجذع، ثم انحنى جسدها عكسيًّا وانكفأت إلى الأمام لتتكوم على حافة ساحة انتظار السيارات.

تعود ستيفاني إليَّ وتوقف الشاحنة ثم تنزل منها. أريد أن أرى إلى أين هي ذاهبة لكن لا يمكنني أن أدير رأسي. أسمع أبواب السيارة تُفتَح وتُغلَق ثم أفقد وعيي لفترة وجيزة، وعندما عدت إليه سمعت خطوات تسحق الحصى في اتجاهي.

تقول وهي تجلس القرفصاء بجانبي: "أنتِ وإحصائيات الغبية".

هل اعتقدتِ أن داني سوف تؤذينا؟ أو كانت تتوق إلى الانتحار بحيث لا يمكن الوثوق بتصرفاتها؟ هل كانت حائرة وتائهة؟ هل فعلت شيئًا لأجعلها تعتقد أنني سأؤذيها؟ لكني أعرف ما هو الجواب الحقيقي. إنها ليست واحدة منًّا، لم تكن أبدًا فتاة أخيرة، كانت كريسي على حقٍّ، إنها وحش.

تقول وهي تحمل مسدسي الصغير: "إنه مسدس تافه، لكن الفكرة هي التي تهم، أنتن حمقى بمناجلكن وفنونكن القتالية. إذا كنت ترغبين في زيادة عدد الجثث، فأنتِ في حاجة إلى سلاح حقيقي".

أشعر أنني مشلولة، ومستنفدة، كل ما يمكنني فعله هو الاستلقاء على الأرض والموت. نظرت إلى أعلى ذراعها الطويلة، وأرى أن وجهها عبارة عن شمس سوداء تشع بموجات من الكراهية والازدراء وهي تقول:

"أتعتقدين أنك قوية؟ هل تعرفين كم أنت مثيرة للشفقة؟ لقد شاهدت بعينيَّ كيف هزمك الجميع، وعندما جاء دوري كان الأمر أسهل مما كنت أعتقد. كان لديك من يمسك بيدك طوال حياتك، أنت لست حتى فتاة أخيرة حقيقية".

تميل إلى أسفل وتضع إصبعها تحت أنفي وتقول: "اللعنة، ما زلت تتنفسين. حسنًا، أعتقد أنني في حاجة إلى شيء أثقل من المطرقة، لا تتحركي".

تتجه نحو الشاحنة، وسمعت الأبواب تُغلق قبل أن تفتح المؤخرة. أسمع بعدها سَحَّابات علب أسلحة تُفتَح وصوت بندقية خرطوش يُشد أجزاؤها. ارتدت ستيفاني حذاءها الرياضي، وسارت فوق الصخور عائدة إلى مجال رؤيتي.

لقد خُدعت، لقد كنت بلهاء وأحضرتها هنا، إلى قلب مخيم ريد ليك. كنت مخطئة بشأن سكاي، كنت مخطئة بشأن كل شيء، والآن سأموت.

في الواقع الموت هو لحظة صفاء، وفي هذه اللحظة أعرف أن ستيفاني على حقٍّ، كنت في حاجة إلى مساعدة الآخرين طوال حياتي. ما زلت أعتقد أنني قد عزلت نفسي، لكن كان هناك دائمًا آخرون، الشيء الوحيد الذي سأفعله بمفردي هو الموت.

لا أشعر برأسي المتورم، حتى الرمش يؤلمني لذا أتوقف وأحدق إلى ستيفاني التي تقف فوقي، أشعر أنها طويلة للغاية، وأرى أن معها واحدة من بنادق داني تحوم بها فوق وجهي، إنها تثبِّت فوهتها إلى وجهي، تلك الدائرة السوداء الكبيرة، تستقر على جبهتي، يرسل دماغي إشارات إلى جسدي كي أركض وأبتعد عنها، لكنَّ عضلاتي كلها أعلنت إضرابها.

تقول ستيفاني: "لقد شعرتُ بالفزع حقًّا عندما ظهرتِ أمام باب منزلي، اعتقدتُ أنكِ اكتشفتِ شيئًا، ولكن بعد ذلك اصطحبتِني في رحلة روحية كأننا شقيقتان تسعيان إلى الترابط؟ لقد أردتِ لسنوات أن يريحك أحد من بؤسك، لذا استرخي، أيتها الانتحارية، أنا آخر فتاة أخيرة، وأنتِ فتاة العام الماضي فقط... ما الذي يجعلك تبتسمين؟".

بترت جملتها الأخيرة لأنها لمحت عيني تتحول إلى اليمين رغمًا عني، ثم رفعت طرفي شفتي، تتبَّعت نظري لتُصدم بما تراه.

"اللعنة"، تقول بحرقة، لقد اختفت داني.

آمل أن تركض الآن بأقصى سرعتها، آمل أن تكون في طريقها إلى ريد ليك لتحذير الجميع، والحصول على المساعدة، والاستعداد لهذا الوحش. فلأكون أنا التضحية التي تجعلهم يكسبون بعض الوقت، فلتصل داني إليهم، وبعد ذلك سوف ينزلون بستيفاني عقابًا إلهيًّا.

تتجه ستيفاني إلى الشجيرات، وقد أسندت بندقية الخرطوش إلى كتفها، مستعدة في أي لحظة أن ترفع ماسورتها إلى الأعلى وتصنع ثقبًا في داني في الثانية التي تظهر فيها، توقفت للحظة واستدارت إليَّ، حائرة في الاتجاه الذي يجب أن تسلكه.

أريد أن أصرخ: اركضي يا داني! اهربي! لكن رأسي مهشمة وأعتقد كل ما يمكنني فعله هو جعل خدي الأيمن يرتعش، هذا كل شيء، أتساءل كيف أبدو ونصف جمجمتي مفقودة.

ربما صدرت مني حركة ما، لأن ستيفاني لاحقتني بنظرها، قبل أن تتجاهلني وتعود إلى الشجيرات، لكن الأوان كان قد فات. ربما كانت جاهزة لي، لكن ليس لداني. تخرج ست أقدام من عضلات المزرعة الصلبة من بين الشجيرات لتمسك ماسورة البندقية وتحولها ببراعة بعيدًا عن نفسها ثم تقوم بضرب ستيفاني في حلقها.

جعلت قوة الضربة ذقن ستيفاني ترتطم بصدرها، وتنطلق خرطوشة من البندقية. تقف داني ملتوية، محنية، متألمة، وقد انكسر شيء بداخلها، لكنها تتحكم في ماسورة البندقية وتبقيها موجهة بعيدًا عنها وهي تضرب

جانب رأس ستيفاني بقبضتها مرارًا وتكرارًا. ثم قامت بتلويح البندقية، لتنتزعها من قبضة ستيفاني، وتضرب ظهر ستيفاني المحني بكعبها.

تنبطح ستيفاني أرضًا على وجهها، وتعرج داني مبتعدة عنها متجهة نحوي. وجهها شاحب، شفتاها تتحركان بلا صوتٍ، وأسنانها ملطخة بالدماء، ثم سقطت على ركبتيها، ووضعت البندقية أرضًا، وأدركت أنها تبكي، أنا متأكدة من أنه من فرط الألم.

خرج صوتها مخنوقًا: "لين"، ومدَّت يدها المصابة إلى جانب وجهي، وذلك عندما لمحت ستيفاني خلفها.

شعرت داني بأن هناك خطبًا ما فتستدير لتقابلها مؤخرة البندقية في جبينها. أريد أن أصرخ بشيء، أريد أن أحذرها، لكن وجهي لا يعمل. أعتقد أن عقلي ربما يكون قد تسرب من أذني لينساب فوق الحصى. تدق مؤخرة البندقية منتصف وجهها بالضبط لأسمع بعدها صوت شيء ينشطر. تبتسم ستيفاني، قبل أن تمسك داني بكاحل ستيفاني وتسحبها لتلقي بها إلى الأرض، ثم نهضت لتركض، تتأرجح في جريتها، تعرج بعيدًا عني، تاركة قطرات كبيرة من الدم في أعقابها، ثم تختفي مرة أخرى في الأدغال. تهب ستيفاني واقفة، وتوجه البندقية إلى الشجيرات، وتضغط الزناد لتنطلق الخرطوشة.

تركض ستيفاني إلى حيث اختفت داني، وهي تطلق قذيفة تلو الأخرى، ثم تتوقف وتمسح المكان لمعرفة ما إذا كان في إمكانها اكتشاف داني، ثم تطلق النار مرة أخرى. لا أعتقد أن هذا الرعد سيتوقف أبدًا، لكن أخيرًا، هناك صمت، ويبدأ الطائر في الغناء.

أفيق لأجد ستيفاني فوقي مرة أخرى، أدرك أنه يجب أن ألعب أقدم خدعة في الكتاب، تلك التي استخدمتها من قبل مع ريكي والكر، خدعة البوسوم. تنحني ستيفاني وتتحسَّس أنفاسي، لكنني أتوقف عن التنفس، أشعر بسحبها شحمة أذني اليمنى وأعتقد أنها تقرصها، لكن رأسي مصنوع من الخشب، لا أتحرك. تبصق بعدها على إحدى عينيَّ الواسعتين المحدقتين، ما زلت ثابتة كالجماد، ثم تضحك.

تقول: "هذا لا يُحتسب، لقد قتلت نفسها تقريبًا".

تمشي إلى الشاحنة، وتلقي البندقية في مقعد الراكب، بندقية تلقي بندقية، هكذا أفكر بغباء. قامت بتشغيل المحرك وظلَّت الشاحنة واقفة لمدة دقيقة حتى اعتقدتُ أنها غيَّرت رأيها، لكن لا يمكنني أن أدور برأسي للنظر لأنني أعرف أنها تراقبني.

يغمرني شعورٌ بالراحة كالمخدرات عندما تزأر السيارة وتتحرك مبتعدة، تاركة سحابة من الغبار الأبيض عالقة في الهواء. أستلقي بلا حراكٍ لدقيقة، تنساب دمائي لتبلل التراب، وأتساءل عمَّن سيذهب ويحذِّر ريد ليك. أتساءل عمَّا إذا كانت داني قد وصلت هناك وأخبرت الجميع بما يحدث، أتساءل عمَّا إذا كانت ستيفاني ستصل إلى هناك قبلها لتدير فيهم القتل مثل الرصاصة، أستلقي هناك، وأتساءل عمن سيكون المنقِذ. تتجمع الدماء حول رأسي لتصنع بركة، وأموت.

***

الآن أستطيع أن أفهم أن الخوف أحياناً يمكن ان يصبح ممتعاً. عن نفسي، أحب ألعاب الملاهي الخطرة، تلك النغزة المثيرة حين يقللون من احتياطات الأمان. الإثارة التي تنتابك حين تكاد أن تطير في المنعطف الخطر ظاناً أن القطار السريع الذي تركبه حتماً سيخرج عن السيطرة. ثم إحساس الرضا حين تعود سالماً. لكن متى صار قتل النساء من وسائل الترفيه؟

تذهب لمشاهدة الفيلم المثير الجديد مع أصدقائك، تلتهم فشارك، ثم العشاء، تتكلمون فيه على حبكات الفيلم وتشابكها. مجرد جزء من أمسية. لكن تلك التي ماتت في الفيلم، لا تعود لبيتها سالمة، يبقى جسدها معلقاً على الشاشة حتى بعد انطفاء الأنوار.

دعونا نفكر قليلاً في معنى هذا.

دعونا نفكر فيما حدث لنا.

تنسحق الشجيرات أمام غضبي، أنطلق بين الأشجار، متسلقة الجبل، حتى يؤلمني كعبيَّ كما تؤلمني رأسي المتورمة والمكسورة.

- غبية!

لا أقولها بصوتٍ عالٍ كيلا تؤذي جمجمتي المحطمة. ينحصر عالمي كله في صعود هذا التل، قدمًا بعد الأخرى، وبغض النظر عن مدى أنين عضلاتي، بغض النظر عن آلام صدري، لا أتوقف، سأتوقف فقط عندما أموت، وهو ما قد يكون أقرب مما أعتقد.

كررتها لنفسي: "فتاة غبية"، ثم أتخذ خطوة أخرى فيميد بي العالم، "بلهاء وغبية".

أتخذ خطوة أخرى.

- فتاة غبية وحمقاء.

كان الوقوف في ساحة انتظار السيارات أصعب شيء فعلته على الإطلاق، وقد كاد الألم يطرحني على الأرض، حتى التعلّق على قرون الوعل التي نفذت في جسدي لم يؤلمني هكذا، الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يجعلني أقف هو أدريان.

"لماذا ترقدين هنا يا لينيت؟" سألتني وأنا أتخيَّلها تنظر إليَّ من فوقي.

"لا أستطيع..."، أجبتها.

يجيبني طيفها: "بل يمكنكِ، أتعرفين لماذا؟ لأنه إذا لم تفعلي فسيكون كل الوقت الذي استثمرته فيكِ مضيعة، وسيعني أنني فشلت، وأنا لا أفشل، لقد نشأتُ في بيئة من ضغوط شديدة يا لينيت، ولهذا فإنني لا أتقبَّل الفشل بسهولة، وإذا استسلمتِ أنتِ، فإن أدريان المثالية قد انهزمت هي الأخرى، وهذا لا أستطيع تقبُّله".

ركعتُ أمامها، وشعرتُ أن يديها تنزلقان تحت إبطيَّ لترفعني، ثم بجسدي ينحني عكسيًّا، تصرخ الأوتار، وترتعش العضلات، ثم نجحت في الوقوف، في منتصف موقف السيارات، أتأرجح فوق بركة من دمي. وحدي.

سأصعد هذا الجبل حتى لو كان آخر شيء أفعله، وقد يكون نهايتي بالفعل لأن جسدي كله يصرخ من الألم، ثم أسقط على ركبتي في نفس اللحظة التي تلاشت فيها الغابة من حولي لأجد نفسي وسط أشجار الصنوبر على حافة مخيم ريد ليك. على الجانب الآخر، هناك لافتة كبيرة من خشب الصنوبر ترحب بالزائرين، وخلفها ممرٌّ عشبي أخضر واسعٌ يؤدي إلى الكوخ الرئيسي، حيث تتوهج أخشابه البرتقالية في الشفق الوردي.

"ألم تعلمي أن بيلي ووكر قد سبقكِ إلى جمجمتي؟" سألتُ ستيفاني داخل رأسي المعذب الذي ينبض بالألم، "هناك لوحة تيتانيوم لعينة في رأسي، أيتها الحمقاء".

لم أتخيل مطلقًا أن أحد الأخوة ووكر سينقذ حياتي يومًا ما، ولكن بعد أن تركني ريكي بنصف جمجمة مهشَّمة، كان عليهم إدخال لوحة معدنية لتجميع أجزائها، أطلقت ستيفاني النار مباشرة في منتصفها بسلاحها عيار الاثنين والعشرين. جروح رأسي اللزجة تنزف مثل خنازير عالقة في الوحل، أخشى أن أنظر في المرآة، لكنني ما زلت على قيد الحياة.

لكنها تؤلمني، يا ربي كم تؤلمني. أجبرت نفسي أن أقف على قدمي وأتأرجح إلى الأمام بسبب كاحليَّ المكسورين، عيني ثابتة على الكوخ الرئيسي، أتعثَّر فوق أسفلت صلب وأنظر حولي لأجد نفسي في ممشى دائري يمر حول معسكر ريد ليك، وحين أنظر أمامي مرة أخرى أبدأ في البكاء.

"هذا ليس عدلًا" همست، "ليس عدلًا".

أمامي تربض سيارة داني الحمراء الهائلة، باب السائق مفتوح ويصدر رنينًا آليًّا، تنساب إرادتي مني حين رأيت أن ستيفاني قد وصلت هنا بالفعل. لم أسمع أي طلق ناري لكن رأسي يرن هو الآخر، شلال هادر من الألم.

كل معاناتي في التسلُّق أعلى التل، الرغبة في الموت في كل خطوة على الطريق من الألم، كل هذا كان بلا طائل لأن ستيفاني هنا بالفعل، ولا بد أن كل من أعرفه قد مات.

أتكئ على سيارة دفع رباعي متوقفة، ربما تكون واحدة من سيارات مارلين المدرعة، وأتجنَّب النظر إلى انعكاسي في جوانبها اللامعة. حتى مع وجود لوحة التيتانيوم، فإن رصاصة ستيفاني تؤلمني، والتلف الذي أصاب دماغي يعذبني.

حتى لو مات الجميع، سوف أردع ستيفاني.

بدأت أعرج نحو الكوخ الرئيسي، لا أريد أن أؤذي أحدًا، لكن عليَّ أن أوقفها قبل أن تؤذي المزيدَ من الناس. تطول خطوتي، حتى تغرق قدمي في العشب الناعم، ويتأرجح الكوخ أمامي، رأسي عبارة عن لمبة ألم نابضة بارزة من رقبتي.

دفعت نفسي إلى أعلى الدرجات، ثم بين الأعمدة الضخمة التي لا يزال شريطٌ أصفر خاص بمسرح الجريمة ملفوفًا حولها، أجرُّ ساقي فوق الشرفة المكسوَّة بألواح الصنوبر، وأدفع الباب الأمامي لأفتحه، ثم أخطو إلى الداخل.

كل شيء تنبعث منه رائحة الخشب، تدعم الحزم الضخمة المطلية بالورنيش السقف الذي يعلو طابقين، بينما يجعل نور ما بعد الظهيرة العوارض الخشبية تضيع بين الظلال. هناك مِدفأة عملاقة من الحجر تصل أحد طرفي الردهة الواسعة بطابق الميزانين. قام أحدهم بتدبيس صور بولارويد لأخوات مبتسمات مع عائلاتهن على كل سطح ممكن، وهناك أوراق تسجيل، ولوحات إعلانات، وجداول مطبوعة، وملصقات تعليمات السلامة، تظهر وتختفي تلك الملصقات من وإلى الظلال داخل رأسي الذي يخفق بالألم.

أمامي مكتب الاستقبال الدائري مثبت عليه حروف حديدية عتيقة تقول: كلنا أخوات.

باستثناء ستيفاني، إنها القطعة الشاذة، الشخص الذي لا ينتمي.

أين الجميع؟ أين أخواتي؟ هل يختبئن؟ وماذا عن الموظفين؟ لقد أغلقوا المكان بعد كريستوف فولكر، لكن لا يزال هناك طاقم من الموظفين الأساسيين. هل كانوا ثمانية أشخاص؟ عشرة؟ يخبرني صوتٌ هامسٌ داخل رأسي أن هذا الهدوء لا يأتي إلا عندما يموت الجميع.

هناك علامتان على شكل سهم معلقتان على جانبي المكتب، وتحتها حروف من الحبال تقول إحداها: إلى المتجر، والأخرى تشير إلى شرفة الطعام الخارجية، وهو ما أريده، إنها تقريبًا الخامسة، وسيرغب من هنا في تناول الغداء.

عرجاء وبلا سلاح، دخلت متاهة المينوتور، أدفع باب مروحة من الخشب الخشن لا يزال مغطى باللحاء، ودلفت قاعة الطعام. ألواح كبيرة من خشب الصنوبر الباهت متراصة حولي في صفوف منظمة مثل طاولات التشريح بمقاعد خاوية على كلا الجانبين. يتدلى زورق من

السقف، بينما هناك أبواب زجاج في نهاية القاعة تؤدي إلى شرفة تناول الطعام. كفٌّ ملطخٌ بالدماء في منتصف أحد تلك الأبواب هو العلامة الوحيدة أن هناك حياة هنا، أو كانت.

هناك لافتة مكتوب عليها سالاد بار تتأرجح برفقٍ فوق كومة من الغسيل على الأرض، أنخفض، فتصدر ركبتي فرقعة خافتة، قبل أن أدرك أن كيس الملابس هذا هو جسد امرأة، أقلّبها لكنه لم يبقَ هناك ما يذكر من جمجمتها، وجهها ملطخ على الأرض، أتساءل لو كانت جميلة، أتساءل لو كانت سعيدة، أتساءل عمن هن أخواتها، ترتدي قميص ريد لايك والعلامة على ثديها الأيمن تخفيها دماؤها، أمسحه بإبهامي لأقرأ اسمها.

"أنا آسفة يا مارسي" أقولها وأنا أعنيها أكثر من أي وقتٍ مضى.

أنظر إلى المطبخ حيث يرقد شخصٌ آخر ووجهه إلى أسفل، قميصه مشبعٌ باللون الأحمر الداكن، يبدو كرجلٍ.

ستيفاني كانت هنا.

كم من الناس ماتوا لأنني وثقت بها؟

صوت خافت لشيء يصطدم بحائط فألتفت كالملسوعة، ويصرخ جانب رأسي ألمًا. أرى باب خزانة مغلقًا بإحكامٍ، وأشق طريقي لأقف إلى جانبه فهو لديه كوة في منتصفه، ولا أريد أنا يراني من بداخل الخزانة. ثم أعطي الباب دفعة. إنها لا تتحرك، ربما تكون ثقيلة فقط، أقوم بتدعيم قدمي وأدفعها مرة أخرى فتهتز لكن القفل يعيقها. أسمع صريرًا بالداخل، لماذا ستحبس ستيفاني نفسها في خزانة؟ إنها هنا لتقتل، أضع وجهي على الزجاج لأنظر بالداخل.

الجو مظلم لذا أظلل بكفي فوق عيني وأدقق النظر، شيء ما يتحرك في الظلام.

"يا...؟" أهمس.

أدعو أن صوتي لم يذهب إلى أبعد مما أريد، أنقر بإصبعي الزجاج. مهما كان الذي تحرك بالداخل فهو يفعلها مرة أخرى.

- إني أراك.

أقولها فيتدحرج مبتعدًا، أعمق في الظلام.

"هل بك أذى؟" أسأل.

"لينيت؟" يخرج الصوت المكتوم عبر الباب، في منتصف بطني.

- جوليا؟

ينفتح القفل وفي نفس اللحظة يومض شيء ما عند حافة رؤيتي فأنحني وأدور حول نفسي، كان سربًا من الطيور ينطلق فوق العشب الواسع بالخارج، وقد انعكس الضوء على أجنحتها الفضية. تخرج جوليا من الخزانة بكرسيها، نموذج قوي بعجلاتٍ كبيرة متينة تنحني إلى أعلى. خلفها رأيت مراهقين ذاهلين وامرأة متوترة تبدو كأنها تأتي إلى المخيم كثيرًا.

قالت لهم جوليا: "أقفلوه ورائي، سنأتي لنأخذكم عندما يكون الوضع آمنًا".

يطيعونها لكني أشعر بالإنهاك لأنها جوليا فقط، لأنه لا يزال هناك المزيد ممن يجب العثور عليهم، لأن ستيفاني لا تزال بالخارج، تقتل.

"ما الذي يجري بحق الجحيم؟" تسألني جوليا.

- إنها ستيفاني، ستيفاني فوجات.

ينعقد جبين جوليا لمدة دقيقة ثم يلين وتسألني: "فتاة ريد لايك؟ الفتاة التي اختطفتِها؟ يا إلهي يا لينيت، إن مهاراتك في التعامل مع الناس في حالة يرثى لها، إنها تتجول هنا بمدفعٍ رشاشٍ".

"لا أعتقد أن معها مدفعًا رشاشًا"، أقول متذكرة بندقية الخرطوش التي كانت رابضة في الجزء الخلفي من شاحنة داني.

تقول جوليا: "لنقف هنا ونتجادل حول نوعية السلاح الذي تستخدمه كي تقتل الجميع، الفتاة نفسها التي كنتِ تعتقدين أنها أفضل صديقة جديدة لكِ".

تخفق رأسي بألمٍ يجعلني أرغب في التقيؤ.

تقول: "تبدين في حالة مذرية، لذلك فأنا أسامحك. خدمة الهاتف الخليوي معطلة هنا، ولكن هناك خطًّا أرضيًّا في مكتب التمريض يمكننا تجربته".

"ماذا عن هيذر ومارلين؟" أغمغم بين شفتي المخدرتين ونحن نتحرك فقالت لي: "عند البحيرة مع البقية، جئت إلى هنا للحصول على كريمٍ واقٍ من الشمس، هناك نحو عشرين من الموظفين يقيمون حفل تأبينٍ لأدريان".

لكني لم أكن مصغية، بل كنتُ أقف بلا حراكٍ. من هذه الزاوية أستطيع أن أرى ما وراء بصمة اليد الملطخة بالدماء على الأبواب الزجاجية. حول الشجرة الوحيدة التي حجبت رؤيتي من قبل كان هناك شخصٌ ممددٌ على العشب، تعرفت على القميص المصنوع من الفلانيل، تنظر جوليا إلى حيث أحدق وتغمغم:

"هل هذه...؟".

أقول لها: "اذهبي أنتِ إلى الهاتف، وأنا سآخذ داني".

أتحرك لأخرج لكن چوليا تعترضني عند الأبواب الفرنسية الطراز.

"هل تعتقدين أنني لا أستطيع استخدام السلالم؟" تقولها وتتجاوزني حتى تصل إلى حافة شرفة الطعام، تميل إلى الخلف بكرسيها المتحرك، وتضع إحدى يديها على الدرابزين، وتقذف نفسها فوق الدرجات الثلاث إلى الأرض، تمتص عجلاتها الصدمات وألحق أنا بها.

"أسرعي"، هتفت بي وكرسيها المتحرك يطير فوق العشب. الجري يجعل رأسي يأن، لذلك أمشي بسرعة، أنظر خلفنا، أتحقق من الزوايا المحتملة للهجوم، اليسار، اليمين، الأمام، الخلف. تنتشر الأشجار في أماكن متفرقة فوق العشب، ولكن بخلاف ذلك يكون مكشوفًا تمامًا. خطوط الرؤية واضحة من كل اتجاه. بعيدًا إلى اليمين يوجد مدرجٌ ومسرحٌ، أمامنا خط الأشجار، والهواء بين جذوعها صار أرجوانيًّا مظلمًا. بين تلك الأشجار توجد الكبائن، وبعدها تقع البحيرة حيث ينتظر عشرون ضحية أخرى نهايتهم على يد ستيفاني.

داني لا تبدو بخير، كل ساق في اتجاه مختلف في وضع منافٍ للطبيعي، وجهها مغروز في التراب، وفمها مفتوح، لاحظتُ بارتياحٍ أن أكتافها تتحرك؛ إنها تتنفس.

تقول چوليا: "ضعي ساقيها على مقعدي للمساعدة في رفعها، يجب أن نعود إلى الداخل ونصل إلى الهاتف".

لا أستطيع.

"سأرتاح دقيقة"، أغمغم لچوليا ملوحة بيد واحدة.

أنا في قمة التعب والأرض تجذبني إلى أسفل، أنا في حاجة إلى الجلوس، أترك نفسي أهوي، فلم أعد قادرة على الجلوس برفقٍ.

"ماذا تفعلين يا لينيت؟" تصرخ جوليا من بعيدٍ.

أنا في حاجة إلى الراحة.

"ماذا تفعلين يا لينيت؟" يسألني طيف أدريان الذي كان يمشي معي فوق العشب، ملابسي قذرة كريهة الرائحة بينما هي ترتدي سترة بيضاء وسروال جينز.

"أحاول ألا أُقتَل؟" أجيبها.

"أهذه كل مقدرتك؟" تسألني، "أن تتنفسي فقط؟ أهذا كل ما يمكنِك تقديمه إلى العالم؟".

"يكفي كبداية"، أجيبها آملة أن تتوقف عن إشعاري بالذنب.

عليكِ حماية أختك، هكذا قالت أمي بينما كانت جيلي تبكي على كتفها.

"أنا لست يودا"، قال لي طيف أدريان، "لكنكِ تعتقدين أن في إمكانك الاستسلام بعد أن ماتت أختك؟ هل تعتقدين أن بما أن تومي قد مات هو الآخر يمكنك التوقف عندما تتعقد الأمور؟ في الحياة هناك ما هو أكثر من مجرد البقاء على قيد الحياة".

تأوّهت وقلتُ: "اخرسي يا أدريان".

"لم تكنِ لتشعري بالذنب لو لم تعلمي أنني على صواب"، تنتصر عليَّ الجاذبية أخيرًا فأسقط بمؤخرتي على العشب، صدمة قوية رجَّت عمودي الفقري بينما تفيض من رأسي الدماء الساخنة، يميد العشب بي فأترنَّح مبتعدة عن الكوخ.

خلفي في الكوخ نفسه، أرى حشرة سوداء تتجه نحونا، أتابعها وهي تكبر حتى تصير في مجال رؤيتي، إنه رجلٌ يرتدي زيًّا تكتيكيًّا أسود بكل عتاده، يرتدي قناع غاز، تتدلى بندقية أوتوماتيكية على ظهره، ويحمل في يديه فأسًا، تمامًا كما كان يفعل ريكي ووكر، تتحرك رجلاه بسرعة، تقطع العشب الذي بيننا كأنها تأكله.

هنا تقول جوليا وهي تنحني لتلتقط داني: "اللعنة، اللعنة، اللعنة".

لقد رآنا، ولا أعرف من هو، يسير بخطى حثيثة، أشعر بالتعب الشديد لكني أحرك رأسي لأنظر إلى خط الأشجار، هو ليس ببعيد.

تحمسني أدريان قائلة: "تستطيعين فعلها".

أقف على قدمي فيدور العالم حولي بكسلٍ، رأسي يسبح في بحرٍ من الألم، وأدعو الله ألا يكون قد حدث تغيير كبير هنا خلال السنوات العشر الماضية كي لا أتوه.

تقول أمي، عليك حماية أختك.

أمسكت بحزام داني، وحاولت ألا أستمع إلى أصوات الفرقعة التي صدرت منها وأنا أحملها إلى أعلى، أرفعها بحركة سريعة فتضرب ساقاها صدر جوليا، فتركتها تأخذ بعضًا من وزن داني وأتأرجح بها إلى الأمام.

"كبائن!" هكذا صرخت، أعتقد.

تتذمر معدتي، وينبض رأسي بالألم، وأتعثَّر في طريقي إلى خط الأشجار، تلحق بي جوليا، تحرك كرسيها بكلتا يديها بعنفوان، فيطفو بجانبي. يكاد رأسي ينفجر مع كل خطوة أخطوها بينما يهتز خط الأشجار في الأفق، حتى يظهر الجزء الخلفي من الكابينة الأولى من بين جذوعها فأصحح مساري في اتجاهه.

هناك من يتكلم ورائي، وهناك شيء يرفرف فوقي، لقد توقف ليطلق النار، أو هكذا آمل، كل خطوة تبعدنا عنه أمان.

تخرج هيذر من بين الأشجار، محنية الظهر، في يدها زجاجة بيرة خضراء، ظهرت مارلين بجانبها في فستان صيفي وقبعة كبيرة من القش، وحقيبة يدها العملاقة تتدلى على إحدى كتفيها، هنا هتفت بجوليا، "افتحي هذه الكابينة!".

"الكابينة المصنوعة من الخشب؟ الكابينة المليئة بالنوافذ؟" صرخت هي الأخرى.

وبعد ذلك تمرق بجواري بكرسيها فوق العشب، تمضغه الإطارات مثل ماكينة جزٍّ للحشائش، لقد وثقت بي أخيرًا، أتأرجح تحت ثقل داني بعد رحيل جوليا، لكن مارلين معي، تنحني لتنزل تحت ذراع داني الأخرى وترفعها، ثم خلعت قبعتها المصنوعة من القش، ويرفرف فوقنا شيء ما مرة أخرى، رصاصة ثانية، فدفعت داني إلى الأمام وأشعر بتأثير الدفعة ينتقل مباشرةً إلى باطن قدميَّ المتألمتين.

"ارفعيها يا لينيت!" هكذا صرخت مارلين في أذني، فنجرُّ داني بيننا، وإذا بالأشجار المظلمة تحيطنا. أرى جوليا تقوم بدوران جريء بكرسيها، الذي كاد أن ينقلب بها، تنثر الأتربة من حولها وترمي بنفسها فوق الدرجات الثلاث إلى المقصورة، تضرب الباب بجسدها لتفتحه، تاركة كرسيها بالخارج مطروحًا على جانبه، تدور إحدى عجلاته بلا توقف.

هيذر تدخل بعدها قبل أن أجد القوة لأدفع نفسي إلى أعلى الدرج وعبر الباب، ومعي داني، ثم تغلقه مارلين في نفس اللحظة التي يرتطم فيها الموت بالجانب الآخر.

"إنها مصنوعة من الخشب اللعين!" تصرخ جوليا من على الأرض.

تصدر مارلين أنينًا حيوانيًا عميقًا وهي تمر بالنوافذ الست الكبيرة التي تصطف بطول الجدار، ثلاث على كل جانب، متوهجة بضوء ما بعد الظهيرة. يروْن الجدران الخشبية، الأرضية الممتلئة بالشظايا، الألواح الخشبية على الباب، لكن لم يقضِ أيٌّ منهن وقتًا هنا مع أدريان كما فعلتُ.

أترك داني لمارلين، وأنقض على السرير على يميني، أستلقي فوقه، أفرد جسدي، وأدعو. ضربتْ قدمٌ في حذاء ثقيل الباب ورَجَّت إطاره.

أدفع بإصبعي عبر فتحة في الحائط عند رأس السرير فيكشط الخشب الجلد حول مفصل إصبعي، فأقوم بانتزاعه، وأدخل إصبعي مرة أخرى في المربع الخشبي كأنه خاتمٌ بينما ألكم الزر الأحمر الخفي بيدي الأخرى.

تنقسم الكابينة نصفين، تصرخ مارلين، تسقط الزجاجة من يد هيذر، تغطي جوليا أذنيها بينما تصرخ المحركات والتروس والمسامير في آذاننا. تنغلق ستة أقفال أتوماتيكية في الباب وتسقط الألواح الخشبية من أعلى إطار النوافذ. أركض إليها، متجاهلة الدوار، أرفع فخذي لأعبر فوق الأسِرَّة، وأمسك بالمقابض المزدوجة وأجذبها إلى أسفل، لأغلق المصاريع المعدنية فوق الشبابيك.

"ساعدوني!" أصرخ بهن.

نجحت مارلين أن تغلق اثنين، وأنا أربعة، في النهاية، أتقيَّأ عصارة رقيقة.

"رغم كل هذه الاحتياطات لكنه لا يزال خشبًا!" تصيح چوليا من على الأرض، ونسمع صوت المدفع الرشاش، أتعرَّف على التوِّ على الصوت؛ حتى من دون الصدى الذي يخلقه وادي شارع لوس أنجلوس، إنه نفس السلاح الذي جعل من شقتي حلبة لإطلاق النار.

الكابينة مظلمة الآن، يهتز الباب في إطاره مرة أخرى، ولكنه يصمد. انفجار آخر، يتطاير الزجاج ولكن المصاريع الفولاذية لا تتأثر بينما يرقص الرصاص على سطحها من الخارج.

"كبائن الهلع"، أقول وأنا ألتقط أنفاسي بصعوبة، "قامت أدريان ببنائها حتى أشعر بالأمان، مصاريع من الصلب، الباب والجدران بهم ألواح من الصلب بين أخشابهم، بينما تم صب خرسانة تحت ألواح الأرضية".

"هذا رائع"، تقول هيذر، وتمشي إلى الباب لتصرخ، "اللعنة عليك يا أعرج!".

أيًا كان من بالخارج، فهو يفرغ نصف مشبك ذخيرة آخر في الباب، نسمع الرصاص ينحر في الفولاذ.

ثم تقول هيذر: "نحن الآن عالقات، يا لها من خطة عظيمة يا لين".

أقول لها: "لنطلب المساعدة، من منكن هاتفه يعمل؟".

هيذر: "لا أحد، لقد قضي أمرنا".

"داني تنزف بشدة"، تقول چوليا وهي تضغط ظهر داني، هناك دماء جديدة تبلل ملابسها وذراعيها ووجهها.

هيذر: "إذن نحن عالقات في هذا الكوخ، وهناك قاتلٌ بالخارج يحمل مدفعًا رشاشًا، داني ستلقى حتفها في أي لحظة، وليس لدينا وسيلة لطلب المساعدة، أعتقد أنني سأضطر إلى إنقاذنا جميعًا بقوتي الخارقة".

تستلقي بعدها على أحد الأسرة وتلقي بطانية فوقها وهي تحتضن الوسادة.

"أستنامين في هذه الظروف؟" تسألها چوليا.

"لديَّ حالة مرضية"، تقولها هيذر بأعين مغلقة.

تدخلت مارلين قائلة، وهي تمد يدها إلى حقيبة يدها المصنوعة من القش لتلتقط هاتفًا أضخم من المعتاد: "سأتصل بالشرطة".

هيذر: "لا يوجد استقبال هنا".

"ألم تسمع إحداكن عن الهاتف الذي يعمل عبر الأقمار الصناعية؟" تقول مارلين.

لا أستطيع سماع أي شيء في الخارج، لا أعرف ما إذا كان الوحش ينتظر بالباب أم ذهب إلى البحيرة، لا أعرف أين ستيفاني أو ماذا تفعل، لا أعرف حتى ما إذا كانت هذه ستيفاني، من أين حصلت على كل هذه المعدات في الأساس؟ لكن لا يهم، دفعت السرير جانبًا.

هيذر بأعينها المغلقة: "توقفي عن إحداث الضوضاء".

"مرحبًا"، أسمع مارلين تنطق بها، "أود الإبلاغ عن حالة إطلاق نار".

وضعتُ إصبعين في فتحة أخرى، هذه المرة كانت على الأرض، ورفعتُ لوحًا كبيرًا لأكشف عن بابٍ سحري مثبت بمسامير.

"بحق الجحيم؟" تهتف چوليا مذهولة.

أقول "هناك عشرون من أقارب وأصدقاء أدريان عند البحيرة".

جوليا: "لا يمكنك..."، لكنني لا أستمع لها، فقط أفتح الباب السحري وأقفز في الرمال الناعمة والباردة أسفل الكابينة ثم أقف لأقول لهن: "إغلقن الفتحة ورائي".

أنبطح لأستكشف، شق الضوء بين الكابينة والرمال واضحٌ، لا توجد أرجل في بنطلون أسود، ولا أحذية عسكرية. أتدحرج عبر الرمال باتجاه مقدمة الكابينة، ورائي، سمعت صوت قفل الباب المسحور ينغلق، أحسنتن.

أخرج على يدي وأقف مترنحة، أشعر بالأشجار والكبائن يتأرجحن حولي، وتتدافع الظلال حول أطراف رؤيتي، لكني أرى ضوءًا براقًا أمامي من بين الأشجار، وأدرك أن هذا هو اتجاه البحيرة. لا بد أن ذلك المسلّح لم يصل هناك بعد، سيتعيّن عليه اجتياز ثلاثة صفوفٍ أخرى من الكبائن، خيمة الاسترخاء، مرصد الطبيعة، ومنفذ الحلوى.

من ورائي، تظهر الواجهة الفولاذية للكابينة مليئة ببثورٍ متفحمة إثر طلقات الرصاص، أتعثّر وأنا أركض جهة اليسار، موازيًا للبحيرة، وعندما أصل إلى نهاية صف الكبائن، أحيط فمي بكفيَّ، وآخذ نفسًا عميقًا، ويتحوّل جسدي كله إلى صرخة واحدة.

"ستيفاني!" أزأر بأعلى صوتي، وأسمع صداها في قمة الأشجار، "ما زلت حية، أنتِ تريدين القضاء عليَّ، أنا هنا".

أنا متعبة ومستنفدة. تومض بقعٌ سوداء وتتأرجح في مجال رؤيتي ثم يندفع أحدهم نحوي لغرضٍ ما، وأدركتُ أنه ينخفض على إحدى ركبتيه ثم أرى وميض نارٍ عند كتفه قبل أن تمرَّ الرصاصة فوق رأسي، ليتطاير شعري إثرها.

هنا أستدير وأجري.

يلوح أمامي في الظلام نُزُلٌ كان مخصصًا للتعافي، جدار أحمر كبير من الخشب بقمتين على طرفيه كأنها حواجب مرفوعة، إنه أكبر مبنى في ريد لايك بعد النُّزل الرئيسي، وقد شُيِّد في أوائل التسعينيات عندما تولَّت أدريان زمام الأمور هنا. به غرف المعالجة البصرية ومكاتب الطب السردي وأستوديوهات العلاج بالفن، به الكثير من الغرف في الواقع، الكثير من الأبواب، متاهة يمكنني التخلُّص فيها ممن يسعون ورائي، أغضبه، أجعله يضيع الوقت فيها، وأجعل تركيزه كله منصبًّا عليَّ، وليس على العشرين هدفًا بجانب البحيرة. سأقوده من خلال جانب المبنى، ثم عبر الأستوديوهات إلى نهاية الطابق الثاني حيث توجد مساحة سرية للزحف في الجدران، سنلعب الغميضة وحين يستسلم ستكون الشرطة هنا.

تظهر الأبواب الفرنسية أمامي ومددتُ يدي لأفتحها، وفي نفس لحظة اقتحامي ينفجر في وجهي وابلٌ من الخشب والزجاج، أتذكر بعد فوات الأوان أنهم لا يُفتَحون للداخل، بل للخارج، ثم أتعثَّر فوق الإفريز السفلي المحطم، وأنزلق عبر أرضية ردهة المدخل على كعبي يدي.

كان هذا مؤلمًا، يسبح رأسي في بحرٍ من الوجع، كل شيء حولي تنبعث منه رائحة عشب الليمون والقرفة، والرنين اللطيف لمياه فنج شوي في الزاوية كان من شأنه أن يخفِّف ألم جمجمتي، هذا لو لم أكن قد تلقيتُ رصاصة في رأسي منذ دقائق. تطفو السلالم متسلقة أحد الجدران إلى الطابق الثاني حيث صار نور السماء ضيًّا ورديًّا يتدفق من هناك. على الحائط نَقَشَ شخصٌ ما بخطٍّ انسيابي:

في بعض الأحيان كل ما تبقى لدينا هو أمنية وأمل.

ثم ينفجر الهواء خلفي، ويخترق الرصاص الأماني والآمال، أجبر نفسي على الوقوف، ليس هناك وقتٌ، فهو ورائي، أرى أن السلالم مكشوفة، فأتأرجح يمينًا، وأقتحم باب الأستوديو الأول.

بالكاد أغلق الباب قبل أن يضربه جسدٌ ما بقوة حتى كاد ينفصل عن مفصلاته، لكنني تمكَّنت من إحكام وضعه. يسود الصمت من الجانب الآخر للحظة، ثم يخترق نصل فأسٍ خشب الباب، كاد يشق يدي اليسرى، أسحبها إلى الخلف وأدفع بالقفل إلى مكانه بينما يهتك الموت الباب، ويحوِّله إلى شظايا، أسمع نفسي أبكي.

ينهار الباب أسرع مما توقعت، أعتقد أنني أخطأت التقدير. يتكوَّن النُّزل من الآمال والأماني، وليس من الفولاذ المجلفن والخرسانة المسلحة.

ينفجر الباب فيخرج من إطاره ويفترش الأرض، يكاد يسحقني تحته، أركض متجاهلة صراخ الألم في رأسي، قبل أن أنزلق على شيء. في المرايا إلى يميني أرى نفسي كفزاعة ملطخة بالدماء تتعثَّر في كرة يوجا.

أستدير لأقف وأعطيها ركلة فتنطلق الكرة الوردية مباشرة نحو الباب المنهار، في اتجاه المسلح، لتطيح بركبته من تحته، يقع ويطلق النار فتنفجر المرآة إلى مثلثات فضية ودوائر مشروخة لتملأ الأرض.

كل أستوديوهات نُزُل التعافي لها بابان، وأنا الآن أطير من خلال الباب الثاني لأتعثَّر في حاجزٍ من الموسيقى العالمية وأصطدم ببلورات الشفاء، ثم أرتطم بطاولة تدليكٍ في فخذي. أصواتٌ كونية حالمة تدور حولي، قيثارات متناغمة، وأجراس رنانة، بينما تحل مفاتيح كريستالية ألغاز الحياة، أتعثَّر في حصائر التاتامي بينما تأخذني موسيقى روحانية

بعيدًا. أخرج من الباب التالي بينما أسمع اقتراب المسلح، وهو يسحق البلورات تحت حذائه.

الأستوديو التالي مصمم على شكل حرف L وهو للعلاج بالموسيقى، لكن المسلح أقرب من أن أفعل أيَّ شيء سوى الجري. يطلق النار فينفجر الإكسليفون، وتزأر الصنج في جنون بينما يمزق الرصاص مجموعة من الطبول، وتنشطر القيثارات بصوتٍ أجوف، ويمتلئ الهواء بالشظايا.

أنعطف عند زاوية الحرف L فتنزلق قدمي من تحتي حتى كادت جمجمتي تنشطر نصفين حين ترتطم بالأرض بقوة. أهب لأقف وأستمر في الجري، لكنني أدركت أن خطتي فشلت؛ لن أستطيع أن أتخلص منه. فهو قريبٌ جدًّا. أغرس قدماي في السجادة وأنطلق عبر الباب لأنني لم أعد أمتلك خطة، لكن حينها أصبح لديَّ خطة.

تقول أمي: عليك حماية أخواتك، بينما كانت جيلي تنتحب.

سأكون أنا الفخ، الإلهاء، الضحية التي ستشتِّت انتباهه، أنا فقط في حاجة إلى إبقائه هنا بينما يهرب الجميع. أنا فقط في حاجة إلى الاستفادة من كل ثانية.

كانت أدريان على حقٍّ: هناك ما هو أكثر في الحياة من البقاء على قيد الحياة.

ينفتح الباب، ولكن ليس بالسرعة الكافية فيرتد ويرتطم بجبهتي، أجد نفسي بعدها في غرفة طويلة مليئة بلافتات وردية وبيضاء وبالونات الهيليوم بألوان أدريان المفضلة. هناك كعكة ومشروبات غازية جعلتني أعود بالزمن إلى الوراء، إلى الصف الأول. جزء من عقلي يعرف أنه حفل استقبال ذكرى وفاة لكن جزءًا آخر لا يزال تلك الطفلة، أصرخ، أركض، أنا سريعة مثل الأرنب يا أمي.

يصل المسلَّح أسرع مما توقعت، أقرب مما توقعت، ويمطر الغرفة بوابلٍ من الرصاص يفرقع بالونات ويمزق اللافتات، يحفر في الجدار البعيد المرسوم عليه تصميمات قبائل بدائية. فجأة أُصْبِح كلَّ فتاة هربت من مسلح، كل فتاة ركضت للنجاة بحياتها في أماكن كان من المفترض أن تكون آمنة فيها. اقتحمت الأستوديو التالي لأصبح چوليا التي تركض في مسكنها، هيذر التي تجري في قاعات مدرستها الثانوية، مارلين التي تحاول النجاة بحياتها في تكساس، داني التي تركض عبر المستشفى، أدريان التي تجري في هذا المعسكر، المعسكر الذي ستكون فيه دائمًا فتاة تجري وتصرخ.

أنا لينيت، أجري أخيرًا، فلا يمكنه اللحاق بي، فأنا سريعة مثلهن مجتمعات، أنا أسرع من بيلي ووكر، أسرع من الشبح، أسرع من عائلة فولكر بأكملها، أنا أسرع فتاة في العالم.

أقوم بدفع نفسي لأركض، الدم يتدفق في ساقيَّ، ورأسي يتأرجح فوق رقبتي. هذا هو، السباق الأخير، أغلق الباب الخشبي ورائي لأجد نفسي في هالة من الكلور الرطب في أستوديو للعلاج المائي. يمكنني خداع المسلح كي ينزل في واحدة من هذه البرك في الأرضية الخرسانية، واستغلال ثِقَل معداته ضده، لكنه بلغ المدخل بالفعل، ولم يعُد لديَّ الوقت حتى لإغلاق الباب في وجهه. فتحه بمرفقه، بندقية مسددة إلى الأمام، فأسقط متعثرة في سلم حمام السباحة الفولاذي الذي اعترض طريقي. تنزلق إحدى قدميَّ في الماء الدافئ فأخرجها وأعرج عبر الغرفة بأسرع ما يمكن متجهة إلى الأبواب الثلاثة، المنفذ الوحيد المتبقي للهرب.

الألم في رأسي لا يُحتمل، يكاد يصيبني بالعمى، الباب في أقصى اليمين أمامي مباشرة، سأقتحمه ولن أتوقف بعدها، سأحطم النافذة على الجدار المقابل وأخرج منها لأختبئ في الغابة، لكني الآن بالداخل ولا توجد نافذة، لا يوجد بابٌ آخر، لا يوجد مهربٌ.

إنها غرفة علاج مائي فردية، أرضيتها بلاطٌ من الحجر الرملي، بها مسبحٌ أبيض كبيرٌ ومرحاض وحوض وطاولة للتدليك. ينفتح الباب خلفي فأندفع إلى الأمام وأتعثّر، قدمي في الهواء، يرتطم فخذي بحافة المسبح، فأنقلب على رأسي وأستقر في القاع محدقة إلى أمي بينما تصرخ جيلي على كتفها.

أغمض عينيَّ بقوة فيندفع الدم الأسود خلف جفني، أنا لا أريد أن أموت، الألم في رأسي كأنه امتلأ بزجاجٍ مكسورٍ يمزق باطن جمجمتي اللّيّن، أفتح عينيَّ وألتفت لأرى الموت يقف على الحافة، يبدو أكبر من العالم كله.

يوجه مسدسه نحوي، إحدى البنادق المنتشرة في ألعاب الفيديو التي يعتقد الأولاد أنها رائعة جدًّا، إنه سلاح سيئ، لكن ليس من هذه المسافة. يرتدي الموت معداتٍ عسكرية سوداء، مغطى بأحزمة وحقائب وأشياء من التي يعتقد الأولاد الصغار أنها ستجعلهم أقوياء. قناع الغاز يخفي وجهه والقفازات تغطي يديه وهناك خوذة سوداء فوق رأسه، كل هذا يعوضه عن مدى شعوره بالضآلة، ثم أنظر إلى حذائه بحركة غريزية.

حذاء عسكري ماركة أندر آرمور، هنا يسطع شيء في رأسي.

"سكاي؟" أسأله.

أين ستيفاني؟ هل تساعده؟ أم هو من يساعدها؟ هل ماتت؟

هل كنتُ مخطئة وهي بالفعل فتاة أخيرة انضمَّت إلى ضحاياه.

يخرج أنفاسه من خلال قناع الغاز، ثم يقول شيئًا يكتمه القناع، لكن كل قوتي تتخلى عني حين أسمع الكلمات.

"ستموتين وحدك ولا أحد يهتم".

أمي تضم جيلي بقوة وتقول: واجبك حماية أخواتك، ولم أتمكَّن حتى من فعل ذلك، أنا آسفة يا جيلي، آسفة يا دكتورة كارول، آسفة يا أمي وأبي، أنا آسفة يا مايك وليز، آسفة يا فاين، آسفة لكم جميعًا.

أنا آسفة لأنني لم أعُد أقوى على القتال، سكاي يضم قبضته بقوة على سلاحه، أنا آسفة يا أدريان.

يوجِّه سلاحه إلى وجهي، وأرى فوَّهته مثل ثقبٍ أسود كبيرٍ يتثاءب، كبير بما يكفي لابتلاع العالم.

ثم تنقض هيذر عليه، من العدم، في يدها غطاء مرحاضٍ من الخزف الأبيض الثقيل، تضربه على مؤخرة رقبته، يتهشَّم غطاء البورسلين عند الاصطدام إلى ألف شظية وتغمر وجهي. ينحني جسد سكاي في اتجاه ورأسه في اتجاه آخر، ثم يسقط إلى الأمام ليرتطم وجهه بحافة المسبح ولا ينهض بعدها.

للحظة طويلة، لا يوجد صوتٌ حولنا سوى أنفاسنا.

"أين الجميع؟" تمكَّنتُ أخيرًا من النطق.

هيذر: في الكابينة، متحصنين".

لا أجد معنى لما يحدث.

"لكن كيف وصلت إلى هنا؟" أسألها.

تلهث لكنها شبه تبتسم، وتقول: "كما قلت لكِ، لديَّ أشياء خارقة لا يمكن تصورها".

بعد الذي رأيته في متحف كريسي، لا أشك في كلامها.

خرجت من الجاكوزي، بينما انحنت هيذر لتفك خوذة سكاي وقناعه.

"هل هو على قيد الحياة؟" أسألها.

"في الغالب"، تجيبني وهي تفك حزام ذقنه، وأخيرًا تحرِّره.

أقول: "لا تحركيه، رقبته قد تكون مكسورة".

تنزع خوذته وقناع الغاز لأرى وجهه، هناك دوائر سوداء حول عينيه، شعره مبلل بالعرق، جفونه ترتعش، إنه حقًّا سكاي.

لا بد أنه كان يكرهنا جميعًا.

تقف هيذر، وتسدد ركلة قوية بين ساقيه، ركلة من القوة أن حركت جسده مثل كيس الغسيل.

"لا يجب أن نحركه"، تكرر هيذر كلماتي وهي تكيل له المزيد من الركلات في نفس المكان. "بالطبع لا... لا نريد فعل... ذلك... أو إصابة... الحبل الشوكي".

أتقدَّم تجاهها فتميد الدنيا بي، أضع إحدى يديَّ على كتفها لأثبت نفسي.

"توقفي، خذي بندقيته".

تنحني وتلتقطها، ثم تضع فوهتها على صدره، وتتأمل الوحش الممدد على الأرض في حطام حمام صديق للبيئة.

"هيذر، إنه ابنها".

لا تعبأ بما أقوله، ويتجمد المشهد لبرهة شعرت أنها طويلة جدًّا، وأخيرًا، خفضت البندقية، ثم ألقتها في المسبح قائلة:

- فليذهب كل شيء إلى الجحيم، أليس كذلك؟

"لن يموت أحدٌ اليوم"، كانت إجابتي.

"يا لجمال هذه اللحظة"، هكذا تقول ستيفاني عند الباب، تلتفت هيذر، لكن ستيفاني سددت بندقيتها إلى رقبتها، ووجهي خلف رقبتها مباشرة، تقف ستيفاني متأهبة، بلا حراكٍ، كعب البندقية مستند إلى كتفها، خدها ملتصقٌ بخزانتها، مستعدة لارتدادها القوي، ويدها التي ليست على الزناد توجه فوهتها، تعطي هيذر إليها ظهرها، وأنا على الجانب الآخر من هيذر، جسد سكاي يشغل نصف الحمام، ولم يتبقَّ مكانٌ للركض.

ستيفاني: "هذه هي المرة الثانية التي تنقذين فيها نفسك بتمثيل أنكِ ميتة، كيف فعلتِها؟".

أقول لها: "هناك لوحٌ فولاذ في رأسي".

قالت بهدوءٍ: "اللعنة، لأكون صريحة معكِ، بالكاد قمتُ بقراءة صفحتك على ويكيبيديا، أنا لست مهتمًا بضحية عارضة، أما هذه المدمنة الخبيثة، فهي تستحق".

هيذر: "معجبون ملعونون".

ستيفاني: "قولي كما يحلو لكِ يا جدتي، أنا ورجلي كنَّا نتلاعب بكِ لأسابيع مثل الفأر في متاهة، والآن سنطلق النار عليك مثل السمك في برميل. أنتن أيها الرهط العجائز ليس لديكن الكثير لتفخرن به، كان هذا كله أسهل من تقليم الأظافر".

ما يعلق معي هو كلمة: رجلي، فأقول لها: "سكاي...".

ستيفاني: "التقينا عبر الإنترنت، بعد هذا لن يتذكركم أحدٌ أيتها الفاشلات، سنكون أبطالًا، أنا وسكاي، سيتحدث الناس عن الرسالة التي قدَّمناها هنا لسنواتٍ قادمة، أنتِ مجرد حنين إلى الماضي لا طائل من ورائه، ونحن هنا لنضعك في مكانكِ، في سلة المهملات، يجب على الجميع أن يتخلوا عن التشبُّث بالماضي".

هيذر: "اضغطي الزناد أو اخرسي"، لكن يمكنني رؤية وجهها الشاحب وأدرك تمامًا أن الشجاعة في صوتها فقط قبل أن تردف: "أنت مملَّة مثل صديقي الأخير".

تبتسم ستيفاني وتقول: "حسنًا".

يجب أن أبقي هذا الحديث دائرًا، فأتدخل قائلة:

"هل فعلتِ كل هذا لتكوني مشهورة؟ قتلتِ كل هؤلاء من أجل الظهور على التلفاز؟".

"هل هناك أهم من هذا؟" تسألني ستيفاني.

أتذكر الملف الموجود في منزل الدكتورة كارول، الملف الذي كانت عليه صورة ستيفاني، أدرك كيف وجدها سكاي.

"لقد اتصل سكاي بك أولًا، أليس كذلك؟" أسألها.

ستيفاني: "ليس لدينا وقتٌ لاسترجاع قصة مواعدتنا".

قلتُ لها: "لقد أعَدَّكِ، قال لكِ كم نحن شريرات لأنه يكره والدته، ثم جهَّزكِ كي تشاركيه رحلة الدم هذه".

تجيبني: "لم تقتربي من الحقيقة"، لكن يمكنني أن أرى أنها لا تحب أن تكون شيئًا وليس موضوعًا.

"هذه ليست قوة الفتيات"، أقول وقد تمكَّن مني الذعر، "أنت دمية سكاي، في المحكمة سيدافع عنكِ محاميك بحجة الإكراه العاطفي، أنتِ لست مسؤولة عن أفعالك، بل سكاي، ستكونين مجرد ضحية أخرى لرجلٍ قوي تلاعب بها".

ستيفاني: "لا تحاولي التلاعب بي يا لينيت، نحن متساويان، أنا وسكاي، هكذا هو الحب هذه الأيام".

"هل تعتقدين أن الأمر يتعلق بكِ وبسكاي؟" أسألها، "بل به هو وأمه، أنت لقيطة هوسه النفسي، مجرد ملاحظة في ملف قضيته، سيكون هناك حفلات تأبين، وسنكون نحن أبطالها. أما هو، فستحتضنه مجموعة من الأولاد البائسين عبر الإنترنت، وأنتِ، لن يكون لكِ مكانٌ، لأن كل ما فعلتِه هو قول نعم، سيدي و لا، سيدي، وضغطتِ الزناد عندما أمرك".

تصيح في وجهي: "اللعنة عليكِ".

أقول لها: "تعلمين أنني على حق، إلا إذا قتلتِه هو الآخر"، أعطيها وقفة وجيزة لتفكر، "هو لا يزال على قيد الحياة".

تحرك هيذر عينيها يمنةً ويسارًا، تقول لي لا بفمها المغلق، هي تعرف ما أفعله لكني أتجاهلها مستكملة: "إصابته كبيرة، أراهن أنه يمكنك القضاء عليه بيديك، ويا لها من رسالة تتركينها".

أنا ملتزمة تمامًا بخطتي، ولأول مرة منذ سنواتٍ، لستُ خائفة. تضيق عينا ستيفاني وهي تنظر إلى سكاي وهذا كل أحتاج إليه، أدعو أن أكون بالسرعة الكافية.

كل شيء يحدث مرة واحدة، أنحني متجاوزة هيذر وأقفز إلى الأمام، متجاهلة السوار الحديدي المثبت داخل جمجمتي، أدفع ماسورة البندقية بعيدًا كما رأيت داني تفعل قبلها بلحظاتٍ. ينفجر الهواء حولي وتحترق راحة يدي وتلتصق بماسورة البندقية الساخنة، ينخلع كتفي وتمتلئ الغرفة بدخان رمادي، تسقط هيذر في الحوض بجانبي.

قدمي لا تلمس الأرض وأنا أنقض على ستيفاني وأصارعها، يرتطم رأسي بإطار الباب بقوة لدرجة أنني كدتُ أن يُغمى عليَّ قبل أن أجبرها على النزول، لكنني لم أنسَ أن أهبط على جسدها. تشهق وتفرغ رئتيها من الهواء لحظة ارتطامها بالأرضية الخرسانية بكل وزني فوقها، بينما حوصرت البندقية الملتهبة بين صدورنا.

نستلقي نصفنا داخل مسبح العلاج المائي والنصف الآخر خارجه، وأجد أنني أضعف من أن أضربها أو حتى أجرحها، أو أطلق النار عليها، لذلك أحيطها بذراعي ورجلي وأمسكها بإحكام.

تتلوَّى وتصرخ وتقاتل، تحاول الوصول إلى الزناد، لكنها مجرد طفلة في نهاية الأمر، أبقيها على الأرض، أحكم وضعها فوق البلاط، أحرص على حرمانها من أي ميزة تمكِّنها من التغلب عليَّ، أحيط ساقيها بساقيَّ لأمنعها من النهوض. أستخدم ذقني المهشَّم لإجبار رأسها على البقاء مكانها وأقوم بتثبيتها على الأرض، أنفاسنا تتعانق.

تبصق في وجهي وتصرخ وتعوي، لكنها لن تذهب إلى أي مكانٍ، وبعد فترة تدرك هذا، ثم بدأت بالصراخ في أذني بصوتٍ عالٍ كاد يصيبني بالصمم.

في النهاية أفهم ما تقوله.

"اقتليني!" تصرخ مِرارًا وتكرارًا، "اقتليني! اقتليني! اقتليني!".

قاموا بسحبي من فوقها في النهاية، من جاؤوا لإنقاذنا، كان معهم أصفادٌ لسكاي، ووضعتْ مارلين وهيذر زوجًا آخر على ستيفاني، وبينما كانوا يسحبونها إلى الجانب الآخر من الغرفة، ظلَّت عيناها تحدق إليَّ.

"كان يجب أن تقتليني، أيتها اللعينة"، ثم تبصق.

كل خلية في جسدي تأنُّ من الألم.

أقول بصوتٍ منهكٍ ضعيفٍ: "ستذهبين إلى المحاكمة، ثم إلى السجن".

"اللعنة عليكِ!" صرخت، "سأهرب!".

لقد سئمت من كل هذا الايذاء والقتل، سئمت من هذه التهديدات، وهذه السلسلة التي لا تنتهي من الخوف التي صارت إليها حياتي.

أقول لها: "لا، لن تفعلي، أنتِ لست بهذا الذكاء، فلتبقي حية، أنت وسكاي، كي تريا كم كانت جرائمكما صغيرة، ولا معنى لها. لقد قتلتِ الكثير من الناس، أتعرفين ماذا أنجزتما؟ العالم كما هو، غير متعاونٍ وعنيدٌ، ويستمر في الدوران دونكما.

الموت ليس هو الشيء المهم، إنه ليس أكثر من علامة الترقيم في نهاية حياتك. كل ما جاء قبل ذلك هو المهم، علامات الترقيم، معظم الناس يتخطون تلك العلامات، لا يلاحظونها، فهي ليست لديها حتى صوتٌ.

***

التاريخ: 2/ 13/ 09

من: ستيفان فوجيت.

إلى: سكاي إيليوت.

الموضوع: تنا-غم

لا يمكنني أن أصدق. تتبعني قاتلة بطيئة للغاية، بسلاح غير عملي لدرجة البله، خطاف مركب، يا للقرف. مدية، سيخ، أو سلاح ناري، لا يفرق. هؤلاء اللعينات يظنن أنهن قويات، حتى يواجهن قوة رادعة حقيقية. كل هذه الأساليب القديمة لا تصلح الا للعجائز والأطفال الرضع. يمكننا أن نجلب معنا تكتيكات حديثة في هذا الصراع الكلاسيكي بالسكاكين.

إطلاق نار بمدرسة + سفاح متسلسل = تناغم.

أنا لا أكترث بسمعتهن، فهن مجرد مجموعة تعسة باكية حين يصبحون في مرمى طلقاتنا.

فتيات أخيرات! يا للسخرية. هن مجرد أكياس لحم مهترئة لا يستحققن الصيت الذي نلنه. كل ما قمن بالتصدي له هم قتلة بلهاء لا يستطيعون إعداد ملحمة قتل محترمة.

دولفين مصنوع من الكروم يقفز عبر أمواج فوق بنفسجية.

ثلاثة فيلة وردية يتأبطون أذرع بعضهم، ويركلون بأرجلهم وينشدون: يوم زيارة سعيد!

في بعض الأحيان تبدأ أكبر الرحلات بأصغر الخطوات، هكذا يقول الإعلان الذي لا يظهر فيه سوى زوج من الأحذية.

هذا مناسب لي، فكل ما يمكنني القيام به الآن هو خطوات صغيرة.

عندما عبرت من خلال جهاز الكشف عن المعادن، لم تصدر اللوحة الجديدة في جمجمتي صوت طنين لأنها من بوليمر ذي جودة عالية، لكنهم أمضوا وقتًا طويلًا في فحص عكازيَّ بالأشعة السينية وصادروا دوائي، وهو أمر سيئ لأنني أشعر بصداع قادم. قاموا بتفتيشي بمنتهى الدقة، وعندما سمحوا لي بالدخول إلى السجن، شعرت بأنه قد مرَّ عليَّ أعوامٌ في منطقة التفتيش.

اتضح لي أن الإصابة برصاصة في الرأس هو علاج عبقري لنوبات الهلع. عندما استيقظت في المستشفى، أخبرتني جوليا أنني كنت في غيبوبة لمدة ثلاثة أيام حتى شفت إصابة رأسي. انتظرت أن تتشنَّج رئتاي أو أن تنسد قصبتي الهوائية، لكن كل ما حدث كان ارتفاعًا طفيفًا في معدل ضربات القلب، أعتقد أن جسدي أدرك أنه إذا كان هناك شخصٌ آخر في عصابة ستيفاني وسكاي، لكان قد قتلني بالفعل. ما زلت لا أشعر بالأمان، لكن للمرة الأولى منذ أن كنت في السادسة عشرة من عمري، لستُ خائفة.

"هل الجميع بخير؟" سألت جوليا حين استيقظت، أعطتني إجابة ما لكني فقدت الوعي مرة أخرى.

التلفزيون مفتوحٌ دائمًا في غرفتي، وأناس يدخلون ويخرجون لإخباري بأشياء لم أستطع فهمها لأنني كنت تائهة بين الوعي والإغماء، عائمة على أمواج هائجة في بحرٍ من المسكنات.

في لحظات وعيي شاهدت محامي سكاي، عقد مؤتمراتٍ صحفية يومية قرأ فيها من مذكرات موكله. اتضح أنه ناشطٌ كبيرٌ في مجال حقوق الرجال، وخطته هي الادعاء بأن سكاي كان ضحية مؤامرة نسائية خرجت عن السيطرة. تم بث سموم سكاي وأغرقت الإنترنت، كان سيكون من الأفضل للدكتورة كارول لو تركتُ هيذر تطلق النار عليه.

أصبحنا مشهورات مرة أخرى. مشهورة لدرجة أنني حين خرجت أخيرًا من المستشفى، وجدت أن مارلين أرسلت سيارة واثنين من رجال الأمن لاصطحابي. أجرينا محادثة لطيفة للغاية في سيارتهم حول العنف الذي استخدمه أحدهم معي في بيت مارلين. عندما أتمكن من المشي مرة أخرى، فسوف يعلمني ذلك التكنيك.

ظلَّت شقتي مسرحًا للجريمة، ورفع صاحب العقار قضية عليَّ وطالبني بالآلاف من الدولارات كتعويضٍ، لم يكن لديَّ مكانٌ أذهب إليه، ولا حياة أعود إليها، لم يكن لديَّ أي شيء سوى طابور لا نهاية له ممن أرادوا أن يستضيفوني في الأخبار من أجل "عرض قصتي"، يريدون أن يعرفوا كيف "أشعر".

لا يسألني أحدٌ عن شعوري وأنا أجلس في منطقة الزوار في صالة الانتظار بإحدى القنوات، أحدق إلى الملصقات الملهمة على الجدران. لو سألوني عن شعوري فسأخبرهم أن فكي يؤلمني، وأن فروة رأسي تحكني حول الصفيحة الجديدة، وأن هناك صداعًا بشعًا يخفق خلف عيني، وأنني قد بدأت أشعر أنني قد ارتكبت خطأً في المجيء إلى هنا.

تصل مارلين قبل أن أغيِّر رأيي وأغادر، المجوهرات المسموح لها بها تقتصر على عقدٍ واحدٍ وخاتمٍ واحدٍ، والفساتين من دون حمالات ممنوعة، ولا يمكنها ارتداء ملابس باللون البرتقالي أو البيج أو الأزرق أو الأخضر، لكن مسموح بقبعات الشمس، وقد جاءت وفي يدها واحدة بيضاء ضخمة.

تعطيني قبلة على كل خدٍّ.

"هل سمعت من دكتورة كارول؟" أسألها وأنا أمسح أحمر شفاهها.

تجيبني: "لقد كتبت لها ملاحظة، أعتقد أنه سيتعيَّن علينا تقبُّل اختفائها لبعض الوقت".

قضيت اليومين الأوَّلين بعد خروجي من المستشفى في محاولة الوصول إلى الدكتورة كارول، لكنني لم أنجح. ألقت بيانًا عامًّا واحدًا تم بثه مرارًا وتكرارًا. تقرأ فيه الدكتورة كارول من ورقة تهتز بشدة في يديها، تهتز لدرجة أنها اضطرت إلى أن تسندها إلى المنضدة، قامت بتلاوة مجموعة من الجمل القصيرة القاسية، تطلب فيهم من الجميع احترام خصوصيتها في هذا الوقت الصعب، لكن هذا لم يجدِ نفعًا؛ طاردوها حتى اختفت، لم يستطع أيٌّ منَّا الاتصال بها عبر الهاتف، ولا عبر البريد الإلكتروني. كنت أرغب في مساعدتها، أردت أن أقول لها إن كل شيء سيصير على ما يرام، فقد فعلت الكثير من أجلي، لكن لم تتح لي الفرصة.

"داني ليست معك؟" تسأل مارلين.

بعد خروجي من المستشفى، دعتني مارلين إلى بيت الضيافة لكني أردت أن أكون في مكان هادئ، سألتُ داني إذا كان في إمكاني البقاء في مزرعتها، لم تقل لا، لذلك اعتبرتها نعم. أنا أحب المكان هناك، أستطيع أن أرى أي شخص قادم من مكانٍ بعيدٍ. عادت جميع خيولها، وأنا أحب

قضاء الوقت معهم، أحب رائحتهم، حركاتهم، أحب الطريقة الحذرة التي يفحصون بها العالم، أعتقد أن جيليان كانت تحب الخيول، لكنها لم تتمكن من ركوبها، أنا أستعد للقيام بهذا، ربما.

قلتُ لمارلين: "داني مع جوليا".

سيتعيَّن عليهم إعادة بناء ساق داني اليسرى ووركها الأيسر وركبتيها بالكامل، وفي اليومين الأولين، رفضت الخروج من سريرها في المستشفى، وفي اليوم الثالث، دخلت جوليا غرفتها وصفقت بمرح.

قالت بينما كانت ممرضة تدخل بكرسي متحرك فارغ: "إن حفلة الشفقة هذه انتهت، لقد حان الوقت للخروج من هذا التابوت والعودة للحياة مرة أخرى".

تحب جوليا معرفة المزيد عن أي شيء أكثر من أي شخص آخر، وهي بالتأكيد تعرف عن الكراسي المتحركة أكثر من داني. جاءت إلى المزرعة وقضينا نحن الثلاثة أسبوعًا كي نجعلها مؤهلة للكرسي المتحرك، كلاهما على كرسي، وأنا مع عصاي، ثلاث فتيات أخيرات محطمات واثنان من المقاولين من المدينة، تمكنت داني من التحرك بكرسيها لدرجة أنها ذهبت به إلى عمق الصحراء واختفت لأيام.

في المرة الأولى التي اختفت فيها أصابني الهلع، عندما رأيتها تعود في اليوم التالي عند الغسق، تدفع عجلات كرسيها، وتثير التراب، ركضت وانفجرت فيها، انتظرت حتى نفثت غضبي، وقالت:

"أحب النوم تحت النجوم، أراقب الصقور، والقيوط. زارني طيف ميشيل وجلست معي لفترة، لم تقل الكثير لكنها استمعت، أعلم أنني سأراها مرة أخرى قريبًا".

تحركت بكرسيها المتحرك باتجاه المنزل، ثم توقفت، وقالت: "كنت أحبك أكثر عندما كنت لا تتحدثين كثيرًا".

***

"هل تكرهينني؟" أسأل مارلين، ونحن ننتظر معًا في غرفة الزيارة الخاوية بالسجن، حولنا طاولات بلاستيكية مثبتة بأرضية المشمع، ولا توجد نوافذ، هناك مساحة للعب في الزاوية بها رسوم متحركة راقصة على الجدران، تبدو أتعس كافيتيريا مدرسية في العالم.

"هل أكرهك؟" تكرر مارلين.

أهز لها رأسي مؤكدة سؤالي، أفكر في رسائلي، أفكر في كتابي، أفكر في وصفي لها بمدمنة الكحول، أفكر في كل الأخطاء التي ارتكبتُها.

"دعيني أريكِ شيئًا"، تقول وهي تضع حقيبتها الكبيرة المصنوعة من القش على حجرها، وتخرج هاتفها الضخم لتريني شيئًا. في البداية لا أفهم ما أنظر إليه ثم يتضح لي فجأة فأصيح: "فاين!".

لقد نقلته من أصيصه إلى أحد أحواض الزهور الطينية الناعمة المحيطة ببيت الضيوف، لقد كبر منذ أن تخليت عنه، تفتحت أوراق جديدة، وظهر الفلفل الأخضر الصغير في براعمه، وقد مدَّ فاين جذوره بعيدًا عن جزعه،

أشعر كأنها لمسة رحمة لا أستحقها.

تقول مارلين: "أتمنى ألا تمانعي".

"فاين"، أقول محرجة فأنا لا أتحدث إلى نبات بل صورة له على هاتف، لكن لا يمكنني منع نفسي. "انظر كم كبرت، وإلى تلك السراخس الرائعة التي تحيط بك".

مارلين: "لقد كان محبوسًا في هذا القدر، لم يكن هناك مكان لينمو فيه، أعني أن جذوره الصغيرة المسكينة كانت محشورة، أتمنى أن أكون قد فعلت الصواب".

فاين لن يتحرك معي بعد الآن، لن يجلس على مقعده ويشاهد التلفاز معي مرة أخرى، لم يعُد لي.

أجبتها: "إنها مثالية له، أعتقد أنني كنت أعوقه".

مارلين: "هناك شجيرة فلفل جميلة بداخله تنتظر الخروج، سوف ينمو وينمو وفي المرة القادمة التي ترينه فيها، أراهن أنكِ لن تتعرفي عليه".

أرأيت؟ أقول له داخل رأسي، سوف تكون أفضل من أي وقتٍ مضى.

مارلين: "والآن لديك عذر".

- لماذا؟

تقول: "لتأتي وتزوريني".

ثم دسَّت هاتفها في حقيبتها. جلست أنا على كرسي بلاستيكي صلب أحدق إلى آلات بيع الحلويات على الجانب الآخر من الغرفة، أحاول معرفة سبب شعوري بتلك الوحدة.

أخيرًا قلت: "أفتقد أدريان".

مارلين: "أنا أيضًا".

"كانت واحدة منَّا، أفضلنا"، أردفت بصدرٍ منقبض.

أدرت رأسي إلى لوحة جدارية على الحائط البعيد، لوحة لغروب الشمس على شاطئ استوائي يبدو كما لو أنه تم طلاؤها بدرجاتٍ مختلفة من الطين.

"لا"، تقول مارلين، وهي تأخذ ذقني وتدير رأسي في مواجهتها، "أنتِ الأفضل منَّا يا لينيت، أنت لا تستسلمين، لا شيء يستطيع أن يوقفك، لقد أنقذتِ الجميع".

تلمع خطوطٌ باهتة حول عينيها، وتزين ثقوب صغيرة شفتها العليا. أستطيع أن أرى شعرة على ذقنها، لم أرَ أحدًا بهذا القرب من قبل، لم يرَني أحدٌ بهذا القرب من قبل.

تميل إلى الوراء، وتبحث في حقيبتها عن العلكة، وهي تقول:

"لقد جعلتني داني في حالة ترقب، تنص قواعد الزيارة على الالتزام بملابس معينة، تُرى، ماذا سترتدي؟".

بعد أن اختفت داني في ذلك اليوم، وقفت بمفردي لبعض الوقت ونظرت عبر الصحراء، أعداد لا نهائية من حشرات السيكادا تحك سيقانها معًا فوق أشجار الأوكالبتوس، تحرك شيء عن يميني، فالتفتُّ لألمح ذيل ثعبان يختفي تحت شجيرة كريوزوت.

يرفرف العث الأبيض بين الشجيرات القصيرة تحت قمر أزرق شاحب في سماء المساء الباكر. بعيدًا عبر التلال، كانت أنوار السيارات تلمع مثل الجواهر الصغيرة، فكرت لحظتها في كم الأشخاص الموجودين هناك، كان هناك الكثير.

نقر شيء ما قدمي فقفزت مفزوعة، ثم أدركت أنه مجرد صرصور زرع، استقر على حذائي، ينبض لجزء من الثانية، وبعد ذلك بلحظة، اختفى. سمعت من بعيد صوتَ أحد الخيول يصهل.

الحياة مستمرة، ربما ليست حياة الجميع، ولكن الحياة نفسها. لا يتوقف الأمر على أحد، كريسي قالت إن هناك قوتين فقط في العالم، توازن كلٌّ منهما الأخرى: الحياة والموت، الخلق والدمار، لكنها مخطئة؛

هناك قوة واحدة فقط، لأنه مهما حاولنا، لا يمكننا إيقاف الحياة، بغض النظر عن معاركنا، بغض النظر عن عدد القتلى، فإن الأشياء تتغيَّر، تنمو، تعيش. يتوه البشر، يسقطون، ثم ينهضون، يولدون، ويمضون قدمًا، وبغض النظر عن صعوبة كل هذا، لكنها الطريقة التي تستمر بها الحياة.

"يا فتيات!" تصرخ مارلين بجانبي وتلوح بذراعٍ واحدة، "نحن هنا". أرى چوليا وداني تقتربان بكراسي متحركة من أقصى نهاية الغرفة، چوليا تتحدث إلى داني، التي كان كل تركيزها منصبًّا على توجيه كرسيها، شقّتا طريقهما عبر الطاولات البلاستيكية إلى حيث نجلس أنا ومارلين.

قالت چوليا: "لقد حاولوا إجبارنا على استخدام الكراسي المتحركة الخاصة بالسجن، سألتهم كيف سيكون شعورهم لو رفعت عليهم قضية، وقد كدت أفعل لولا أنهم سمحوا لكل منا باستخدام كرسيها".

أنظر إلينا بكراسينا المتحركة وغرز جروحنا وشاشنا وعكازاتنا، نبدو مثل عارضات في معرض توريد المعدات الجراحية.

"رجلك ينتظرك في الخارج"، قالت داني وهي تتوقف بجواري.

عند وصولنا هنا لم أرَ جاريت، لكنه أمامي الآن، يرتدي قبعة رمادية اللون تتناسب مع البدلة ورابطة عنق ماركة بولو، ولا أعرف كيف اشتقت إليه، لحق بي وأنا أعرج عبر الرصيف إلى المدخل وقال:

"الامتنان شعورٌ صعبٌ عليك، أعلم هذا"، ثم ألقى السيجار الهولندي وفركه بكعب حذاء رعاة البقر، "ولكن مع ذلك، أعتقد أنه يجب عليك أن تشكري بطل تنفيذ القانون الذي جعل كل هذا ممكنًا".

"مرحبًا جاريت".

"لقد ناديتك ثلاث مرات، على الأقل".

"أنا آسفة، الألم من إصاباتي يجعل المشي أمرًا صعبًا، لذا عليّ التركيز فيه، لا بد أن هذا ليس على هواك".

بمجرد أن أبدأ المشي، لا يمكنني التوقف لفترة طويلة وإلا بدأت مفاصلي في التصلب، لذلك أواصل السير ولكن ببطءٍ شديدٍ مما سَهَّل على جاريت اللحاق بي، وهو يقول:

"لقد اضطررت إلى التحايل على الكثير من القواعد، وطلب الكثير من الخدمات لتحصلن على بعض الوقت بمفردكن هنا، لا يفعل رجلٌ ذلك من أجل امرأة تعامله بالطريقة التي تعاملينني بها".

قلت: "أنا ممتنة حقًّا يا جاريت".

"بعد ظهر هذا اليوم سأتصل بوكيلي بخصوص كتابنا، لقد وعدتِني أننا سنكتبه معًا إذا نفذت لكِ رغبتك هذه، وأعتقد أنكِ ستوافقين على أنني قمت بدورٍ بطولي، حتمًا سيظهر اسمي أولًا على الغلاف".

توقفتُ وواجهته.

"جاريت، عندما قلتُ إنني سأكتب معك كتابًا، كذبت".

ثم بدأتُ أعرج مبتعدة مرة أخرى عن صوته وهو يسبني بكل الألفاظ واللغات.

داخل غرفة الزيارة تتساءل مارلين، "متى يبدأ هذا؟ الكل هنا".

لا أحد يعرف مكان هيذر، لكننا نفترض أنها بخيرٍ، أود أن أخبرها أنني لا ألومها لاستدعاء الشرطة ولكن، كما هو الحال دائمًا، هيذر لن تمنح أي شخصٍ ذرة من الرضا. لقد أنشأت لها مارلين حسابًا مصرفيًّا صغيرًا وأخبرتنا أنها تسحب منه بانتظامٍ من أجهزة الصراف الآلي، ربما قتل شخصٌ ما هيذر وأخذ بطاقتها، ربما تبحث عن ملك الأحلام، أو ربما تكون في مكانٍ ما، تتصرف بطبيعتها.

نستدير جميعًا عندما نسمع الباب في أقصى نهاية الغرفة يُفتح، لكنه مجرد ضابطٍ طويلٍ ذي بطن كبير دخل ليتنقل بين الطاولات، يرتدي قميصًا بيج وسروالًا أخضر داكنًا، وكما الحال مع أفراد هذا المجال، ما زال هناك من يعتقد أنه لا بأس في وجود شارب.

"أنا الكابتن وينسلو"، قالها لنا لكن لم ينهض أحدٌ منَّا.

يدور حول دائرتنا، ويقدم نفسه إلى كل واحدة منَّا، أندهش من مدى نعومة يده عندما نتصافح.

"أريد أن تعرفن يا سيداتي أنني يجب أن أتواجد هنا معكن طيلة الوقت"، قال وهو يبدي الحزن حيال ذلك، "لكنني سأحترم ثقتكن، فقط تظاهرن بأنني جزءٌ من الجدار".

أومأنا برؤوسنا، ثم رحل، ولم تنطق إحدانا بشيءٍ. الجلوس يؤلمني ومفاصلي تؤلمني، ثم أصبح الهواء في الغرفة ثقيلًا بحيث لا يمكن تنفسه. شعرنا بالتردد حيال الأمر كله، ولكن قبل أن تتمكَّن أيٌّ منَّا من تغيير رأيها، ينفتح الباب، ويقود الكابتن وينسلو ستيفاني إلى الغرفة.

كانت من دون مكياج، شعرها كثيفٌ ولامعٌ، ويبدو أنها كانت تعتني بأظافرها. ترتدي قميصًا وسروال جينز أزرق فاتحًا، وهناك قيودٌ على معصمها مربوطة بسلسلة حول خصرها. هناك نظرة رعب في عينيها حتى أنها تبادلت مع الكابتن وينسلو مكانها.

كانت هذه فكرتي. كل ما توقعته في غرفة العلاج المائي في معسكر ريد ليك تحقق، لم تقتل ستيفاني أحدًا، فقط وضعت داني في كرسي متحرك ووضعت عكازًا في يدي. حقيقي أنها أطلقت النار على أحد عمال خدمة الطعام مما جعله يفقد إحدى عينيه، لكن بقية جرائم القتل كانت تخص سكاي.

لقد بذل الاثنان الكثير من الجهد في الأمر، ولكن بينما كان سكاي يحسب كل شيء بدقة وبرودٍ، كانت ستيفاني تدفعه إلى الجنون بارتجالاتها. لقد أنجزت الجزء الأول وفقًا للخطة، وأقامت صداقة مع كريستوف وواكر، وسمحت له بالدخول إلى ريد لايك. أخبرته بالمكان الذي تعيش فيه أدريان، ثم دفعته من فوق الجرن لأنها اعتقدت أنه سيجعل الأمر يبدو أكثر واقعية. وعندما وصلتُ إلى منزلها، قرارها أن تأتي معي كان ارتجاليًا وغير مُخطط له، كانت على الهاتف مع سكاي في المحطة في طريقنا إلى لوس أنجلوس، تطمئنه أن كل شيء لا يزال على المسار الصحيح.

كانت خطته الرئيسية تقضي بقتل كل من تهتم به والدته، أن يدمر حياتها المهنية بحيث لا يمكن إصلاحها أبدًا، أن يهينها أمام العالم بأسره، لكنه تعاون مع شريكة مخبولة تثيرها الارتجالات والمجازفات. من المحتمل أنه كان سيطلق النار على ستيفاني في النهاية بدافع الغيظ لو لم تمنعه هيذر أولًا.

كانت ستيفاني ستصبح الضحية رقم تسعة.

منذ فترة حاولت مشاهدة أحد أفلام "ذبح الصيف" لأدريان، لكني أوقفته بعد عشرين دقيقة، عندما أدركت أنهم لن يتكلموا عن أي من الضحايا. أتذكر كيف شعرتُ بالاشمئزاز حين رأيت أنهم يتعاملون مع دماء الضحايا كمؤثراتٍ بصرية من دون أن يذكروا حتى أسماءهم.

كان هناك راسل ثورن.

والمرأة التي فقدت إحدى عينيها في رد ليك كانت تدعى إيفا واتانابي.

جاك بوريل.

بريندا جونز.

مارسي ستانلر.
إدنا هوكيت.
يوليوس جاو.
أماندا شيبرد.
تذكروا أسماءهم لكن انسوا سكاي إليوت.
انسوا ستيفاني فوجاتي.

أوكل والدا ستيفاني محاميًا ادعى أنها تعاني من اضطراب ما بعد الصدمة، جعلها من المهووسين بالقتلة؛ وقعت في حب وحش آدمي تحت مسمى: "إذا كنت لا تستطيعين حماية نفسك منهم، انضمي إليهم". لا أعتقد أن محاميها كان مخطئًا، أمضى سكاي عامين في إغوائها، وتهيئتها، وتحويلها إلى رفيقته المثالية، فتاة أخرى ليضيفها إلى قائمة الضحايا. حصلت ستيفاني على حكمٍ بخمسة وعشرين عامًا مقابل كل تهمة من التهم الثلاث الخاصة بهجومها باستخدام سلاحٍ فتاكٍ، وثلاثة للضرب الذي تسبب في إصابة جسدية خطيرة، ستكون في السجن هنا لبقية حياتها.

لقد فكرت في الأمر مليًا، لكنني لم أستطع رؤية حلٍّ آخر. من الناحية العملية، قد لا تتناسب ستيفاني مع هذا الوصف، ولكن بغض النظر عن نظرتك إليها، فقد وقعت ضحية وحش، وأنا أتحمَّل المسؤولية. لن أتخلى عن أحدٍ، هذا ما قالته لي أدريان ذات مرة عندما أخبرتها أنني أعتقد أنني لا أستحق البقاء على قيد الحياة.

قالت لي: "هذا غرورك الذي يتحدث، أنت فقط تريدين أن تكوني مميزة، دعيني أخبرك بشيء: ليس هناك غائبٌ بلا أملٍ في العودة، ليس هناك أحدٌ ضائعٌ بلا أملٍ في العثور عليه، أبدًا".

ربما لن ينجح ما أخطط له، ستقاوم ستيفاني كل ما نفعله لها، ستسخر من محاولاتي، وستقاتلنا على طول الخط، ولكن إذا كان هناك شيء واحد تعلمته من أدريان فهو أنه لا يهم أي من هذا، لا يمكننا التخلي عن هذا الدور، هذا هو ما نقوم به، أنتِ لا تتوقفين أبدًا عن محاولة إنقاذ أخواتك.

ما زلت لا أصدق كيف وافقني الجميع، لكن، ربما نحتاج جميعًا إلى سببٍ كي نتقابل، ربما نحتاج جميعًا إلى سببٍ للعيش.

أجلس الكابتن وينسلو ستيفاني على كرسي قابل للطي، ثم يختفي في الجانب الآخر من الغرفة. رسمت ستيفاني تعبيرًا بالملل على وجهها، يشع بالازدراء، مصممة على تجاهل مناشداتنا كي تعود إلى طبيعتها الأفضل، تفتح فمها لتقول شيئًا صادمًا.

لكني سبقتها.

"ستيفاني، مرحبًا بكم في مجموعة دعم الفتيات الأخيرة".

هل تساءلت يومًا ماذا يحدث لتلك الفتيات الأخيرة؟ بعد أن تذهب كل محاولاتهن سدى، وتفشل كل خططهن وأسلحتهن؟ بعد أن تنهار دفاعاتهن وبعد أن يُصبن برصاصة في الرأس؟ بعد أن يثقن بالشخص الخطأ، بعد أن يقومن بالخيارات الخاطئة؟ بعد أن يكشفن أنفسهن في أسوأ اللحظات الممكنة؟ بعد أن تنتهي حياتهن في الثامنة والثلاثين من العمر من دون مليمٍ في البنك، بلا أطفالٍ، بلا زوجٍ، بلا شيء باسمهم سوى اثنين من الأشباح وحفنة من الأصدقاء المحطَّمين؟

أنا أعرف ما يحدث لهؤلاء الفتيات، يتحولن إلى نساء.

ويستمررن.



"مجموعة دعم الناجيات من القتلة المتسلسلين رواية تنبض بالحركة والأصالة، فكرتها لامعة وحادة كالمشرط".

-تشارلين هاريس، المؤلفة الأكثر مبيعًا طبقًا لجريدة النيويورك تايمز.

"صل حتى الصباح، تضرع كي تصبح سريعًا، كن هادئًا قدر استطاعتك؛ ولن يشكل ذلك فارقا؛ فالمجموعة تعرف أين تجدك.".

-ستيفن غراهام جونز، مؤلف: The Only Good Indians

"مجموعة دعم الناجيات من القتلة المتسلسلين رواية مضحكة ومخيفة وممتعة للغاية، يضع غريدي هيندريكس لمسته الخاصة بها، وقد أحببت هذا".

-سامانثا داونينغ، كاتبة الرواية الأكثر مبيعًا طبقًا لجريدة (يو إس إيه توداي): My Lovely Wife

"مزج عشق أفلام السفاحين والتهكم والنقد بطريقة مقنعة، مع شخصيات سلسة وحبكات ملتوية تحبس الأنفاس، ووضعهم معًا في خلاط، ثم.. الآن لديك هذا الكتاب المصاغ بذكاء جنوني، والذي يجب عليك قراءته".

-بول تريمبلاي، مؤلف كتاب Survivor Song الأكثر مبيعًا على المستوى الوطني.

"لُب هذا الكتاب هو التعاطف، وقد وُظِّف في صورة مثيرة تشويقية تسير بسرعة البرق. قراءته كانت تنفيسًا عن النفس، لا يمكن تفويت قراءته".

-مالوري أوميرا، مؤلفة كتاب The Lady from the Black Lagoon الأكثر مبيعًا على المستوى الوطني.

"مسلية للغاية، ومكتوبة بذكاء شديد".

-ريتشل هاريسون، مؤلفة رواية The Return




9 789778 201529



تصميم الغلاف
عبد الرحمن الصواف